

العلامة محمود بن محمد شاكر كما عرفته

إضاءات من سيرته الذاتية والعلمية والأدبية ورسائله إليّ

تأليف

الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان

أستاذ الأدب وعميد المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود سابقًا

ورئيس النادي الأدبي بالمدينة المنورة

العلامة محمود بن محمد شاكر كما عرفته

إضاءات من سيرته الذاتية والعلمية والأدبية ورسائله إليّ

تأليف

الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبد الرحيم عسيلان

أستاذ الأدب وعميد المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود سابقًا

ورئيس النادي الأدبي بالمدينة المنورة

© نادي المنطقة الشرقية الأدبي، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عسيلان، عبدالله بن عبدالرحيم
العلامة محمود بن محمد شاكر كما عرفته - إضاءات من سيرته الذاتية والعلمية والأدبية ورسائله. / عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان - الدمام، ١٤٤٢هـ
٣٣٦ ص؛ ١٤ سم
ردمك: ٩-٠-٩١٤٩٣-٦٠٣-٩٧٨

١- شاكر، محمود محمد، ت ١٤١٨هـ ٢- العلماء المصريون أ. العنوان
ديوي ٨١١،١٠٠٩ ١٤٤٢/١٧٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/١٧٩
ردمك: ٩-٠-٩١٤٩٣-٦٠٣-٩٧٨



نادي المنطقة الشرقية الأدبي

نادي المنطقة الشرقية الأدبي
الدمام - الرمز البريدي: ٣١٤٨٢
ص ب : ٨٤٣٨
هاتف : ٠٠٩٦٦١٣٨٤٣٣٧٣٧
فاكس : ٠٠٩٦٦١٣٨٤٣٤٧٨٥

@adabi_east
@adabi.east
@adabi_east
نادي المنطقة الشرقية الأدبي

www.aladabi.org



مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@Services_Book
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

مسؤول النشر : للتواصل
0597777444

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
@Adab_Book
00966594447441

حمل تطبيق
مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع



دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

احترت في أمري ؛ من أي النواحي أتحدث عن أستاذي العلامة محمود شاكر ؟ هل أتحدث عنه أديبًا عملاقًا ؟ أو كاتبًا مبدعًا متألقًا ؟ أو باحثًا مدققًا متعمقًا ؟ أو قارئًا نهمًا مستوعبًا لما يقرأ ؟ أو عالمًا متبحرًا في فنون العلم والمعرفة ؟ أو محققًا بصيرًا متقنًا ، أو متحدثًا فصيحًا ؟ أو محبًا لتراث أمته غيورًا عليه ؟ أو عاشقًا للغة العربية ومنافحًا عنها في وجه الهجمات المغرضة حولها ؟ أو عاشقًا للكتب وللقراءة ؟ منقطعًا لها ، لا يلتفت إلى سواها ، أو إنسانًا كريم المحتد ، وكريم الوفادة مكرمًا للضيف ؟ أو حانيًا على أفراد أسرته ؛ زوجته أم فهر ، وابنه فهر ، وابنته زلفى ؟

عرفته قامة علمية شامخة ، وبحرًا مترامي الأطراف ، بعيد الغور ، علمًا ودراية ، ومعرفة وإحاطة بعلوم اللغة العربية ؛ نحوًا وصرفًا وبلاغة ، وأدبًا وشعرًا ونقدًا ، وما يتعلق بذلك كله من علوم ومعارف .

عرفته أديبًا متألقًا ، تفيض شباة قلمه أدبًا وكتابة أدبية رصينة ، وبيانًا مشرقًا ، وأسلوبًا راقيًا ، يذكرك في لغته وبلاغته بكبار كتَّاب العربية قديمًا وحديثًا ؛ من أمثال الجاحظ ، وأبي حيان التوحيدي ، ومصطفى صادق الرافعي .

عرفته قارئًا نهمًا لأمهات الكتب في اللغة والأدب ، والشعر والبلاغة ،والعلوم الأخرى .

قرأ بعض الموسوعات في اللغة والأدب أكثر من مرة ، كما هو الشأن في كتاب لسان العرب ؛ حيث قرأه مرتين ، إحداهما على أستاذه سيد المرصفي ، ووشى نسخة من لسان العرب التي تبلغ عشرين مجلدًا بتعليقات مفيدة بخط يده على هوامش صفحات الكتاب .

وقراءته للكتب قراءة تأمل ووعي بما يقرأه من سطور الكتب ، واستيعاب تام ، واستحضار مدهش ، ينم عن القراءة الباصرة والبصيرة .

عرفته فارسًا مغوارًا ، حاز قصب السبق ، وأوفى إلى الغاية في ميادين العلم والمعرفة ، خاض لجج البحار ، يستخرج كنوزها من الأعماق ، علمًا ومعرفة وأدبًا وسعة اطلاع .

عرفته جريئًا يصدع بالحق ، ولا يخشى لومة لائم ، يقول : « وأنا امرؤ لا أحب الهمس والدندنة في الآذان سرًا ، ولا أحب التناجي الخفي بالإثم والعدوان تحت ستار من الظلمة ، وأكره من يدور باللائمة من مجلس إلى مجلس غير معالن ولا مصرح »[1] .

---

(١) أباطيل وأسمار ، ص ١٧٩ .

ويقول : « أحبُّ شيء إلي أن أقول ما أريده جهرة بلا مداهنة ولا استخفاء ولا مداورة »[١] .

عرفت العلامة محمود شاكر أول ما عرفته معرفة القارئ لمن يقرأ له ، ثم عرفته معرفة الابن لوالده ، ثم عرفته معرفة التلميذ لأستاذه ، ثم عرفته معرفة المتذوق لما يكتبه في أسلوب مشرق وبيان وبلاغة ، ثم عرفته معرفة المستفيد من علمه وبحوثه ودراساته وكتاباته الرصينة المتعمقة .

وقد حظي العلامة محمود محمد شاكر بدراسات ومؤلفات عديدة تناولت سيرة حياته وعلمه ومؤلفاته ، ولاحظت أن اللاحق منها يكرر ما ذكره السابق ، واذكر هنا بعض ما وقعت عليه منها :

١-شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهر محمود محمد شاكر للأستاذ محمد إبراهيم الرضواني ، صدر عن مكتبة الخانجي ، عام ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

٢-محمود محمد شاكر الرجل والمنهج ، للأستاذ عمر حسن القبام ، صدر عام ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٣-محمود محمد شاكر سيرته الأدبية ومنهجه النقدي ، للدكتور إبراهيم الكوفخي ، صدر عن مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .

---

(١) أباطيل وأسمار ، ص ٤٦٣ .

٤-محمود محمد شاكر دراسة في حياته وشعره ، للدكتورة أماني حاتم بسيسو ، من منشورات وزارة الأوقاف بالكويت، ٢٠١٣م-١٤٣٤هـ.

٥-أبو فهر محمود محمد شاكر وجهوده في الدراسات القرآنية ، للدكتور عبد الله محمود شلنفح ، دار الفتح للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م .

٦-مقالات حارس التراث محمود محمد شاكر ، دراسة للأستاذ إبراهيم بن محمد أبانمي ، طبع عام ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

ومنها كتب هي أهمها عندي ، وأقربها إلى نفسي ، أولها كتاب الدكتورة عايدة الشريف (محمود محمد شاكر ، قصة قلم) الصادر عن دار الهلال عام ١٩٩٧م ، لأنها كتبته عن معايشة لمحمود محمد شاكر وأسرته وكتبه ومكتبته ، وهي من الرواد الدائمين لمنزله العامر ، وبينها وبين أسرته وشائج محبة وألفة ، ثم كتاب الدكتور يعقوب الغنيم ، قراءة في دفتر قديم من مجالس العلامة أبي فهر محمود محمد شاكر ، حيث لازمه في مجلس قراءة الأصمعيات ، ودَوَّن ما سمعه في ذلك المجلس .

ثم يأتي كتاب الأستاذ وجدان العلي (ظل النديم) ، فقد عرفه وسجل بعض المواقف التي سمع بها أو عرفها عنه .

على أني في كتابي هذا أحاول أن أضع بين يدي القارئ قبسات مما عرفته عن سيرته الذاتية والعلمية بكل تفاصيلها ودقائقها .

وقد تغيب عني بعض المواقف والأحوال التي لم تسعفني بها الذاكرة ، ومن الصعب أن أحيط بكل أحواله وأخلاقه وتعامله مع من يغشى داره من العلماء والأدباء والمحبين له ، وما له من إشراقات علمية وأدبية في هذه الإضمامة ، وإنما أتوخى اختيار مواقف بارزة من حياته وعلمه وأخلاقه ، من خلال صلتي الوثيقة به ، ولقاءاتي معه في مجلسه وبيته العامر على مدى ثلاث سنوات ، إبان دراستي في مرحلة الدكتوراه عام ١٣٩٣هـ ، ومن خلال سفري معه أكثر من مرة إلى مكة وإلى الكويت ، ولقاءاتي المتكررة به إلى أن انتقل إلى رحمة الله ، وكذلك من خلال قراءاتي لجميع كتبه .

ولا شك أن من يتصدى للكتابة عن القمم الشامخة ؛ مثل العلامة محمود محمد شاكر سيجد صعوبة بالغة إن أراد أن يوفيها حقها ، ولم يبعد الأستاذ عبد الحميد بسيوني عن الحقيقة حين قال : « إن الكلام عن الأشياخ من أعسر الموضوعات وأشدها وعورة على من أرادها ؛ لأن الإنسان إن أراد أن يحلل تقاضاه ذلك معاناة ونظرًا واستقراء مع حسن نظر وتوثيق وأمانة »(١) .

وأختم هذه المقدمة بكلمة العلامة محمود محمد شاكر في رثاء أستاذه الرافعي ، فهي تعبر عما يختلج في نفسي حين قال : « لم أفقدك

(١) ظل النديم ، ص ٧٦ .

أيها الحبيب ، ولكني فقدت قلبي ، كنت لي أملاً استمسك به كلما تقطعت أمالي في الحياة ، كنت راحة قلبي كلما اضطرب القلب في العناد ، كنت الينبوع الروي كلما ظمئ القلب وأحرقه الصدى ، كنت فجرًا يثلج نوره في قلبي ، وتتنفس نسماته ، فوجدت قلبي إذ وجدت علاقتي بك ؛ لم أفقدك أيها الحبيب ، ولكني فقد قلبي »[(١)] .

وقوله : « في القلب تعيش الأرواح الحبيبة الخالدة التي لا تفنى ، وفي القلب تحفر القبور العزيزة التي لا تنسى ... - إلى أن قال - : لقد ذهبت إلى ربك راضيًا مرضيًا ، فرحًا بلقائه ، مؤمنًا بما زين في قلبك من الإيمان ، وبقيت أنا لأبحث عن أحبابي بعدك » .

وقصارى القول أنه أمة في رجل ، ورجل في أمة ، ويحضرني في هذا المقام قول الشاعر :

قالوا الإمام قضى نحبه وصيحة من قد نعاه علت

فقلت فما واحد قد مضى ولكنه أمة قد خلت

وما أنشده أبو العباس اليشكري في محاسن أبي عمر اللغوي المعروف بغلام ثعلب :

إذا قلت شارفنا أواخر علمه تفجر حتى قلت هذي أوائله[(٢)]

---

(١) مقالات محمود شاكر (١/ ٥) .

(٢) إنباه الرواة (٣/ ١٧٤) .

بيئته وأسرته

عاش في بيئة خصبة ، ثرية معطاءة ، تشرق بنور ربها صلاحًا وورعًا ، وإيمانًا وعلمًا ، وأصالة وعراقة ، تحتضنها بلدة « جرجا » في صعيد مصر ، حيث الشهامة والتسامي عن الصغائر ، وإباء الضيم والترفع عن الدنايا في أحضان أسرة كريمة أصلاً ومحتوى ، أمًا وأباً ، وعمومة وخؤولة ، وأسرته شريفة النسب كما ذكر في مقابلة معه ، وذلك لأنه ينتهي بنسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ، فهو محمود بن محمد شاكر ، ابن أحمد بن عبد القادر ، من آل أبي علباء ، من أشراف مدينة « جرجا » بسوهاج في صعيد مصر .

والده عالم جليل ، ولد في مدينة جرجا في منتصف شوال سنة ١٢٨٢هـ ، الموافق مارس سنة ١٨٦٦ ، حفظ كتاب الله ، ورحل إلى القاهرة ، ودرس في الأزهر ، وعين أمينًا للفتوى مع مفتي الديار المصرية الشيخ محمد العباسي المهدي .

وولي عدة مناصب قضائية ، وسعى إلى إصلاح شأن عدد من المحاكم ، وعام ١٣١٧هـ ، عين قاضي قضاة السودان ، وكانت له جهود محمودة في النهوض بالتعليم ، وتشجيع طلاب العلم ، وتصدى لمن يحاول النيل من الإسلام وقيمه ، كما فعل مع اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر ، وتولى مشيخة الأزهر عام ١٣٢٤هـ .

توفي رحمه الله في جمادى الأولى سنة ١٣٥٨هـ ، وهو على علم واسع في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم الشرعية ، وله مقالات عديدة نشرت في مجلة الأحلام الشعرية ، وصحيفة المقطم .

وفي محيط الأسرة أرض خصبة معطاء ، حصادها العلم والمعرفة ، وسماء تشع نورًا يضيء دروب المدلجين والمحلقين في فضاء العلوم والمعارف ، فقد ترعرع ونشأ في هذا المحيط ؛ فأبوه العالم المتبحر والقاضي ، ووكيل الأزهر ، وشيخ علماء الإسكندرية ، العلامة محمد شاكر .

إذن فهو من بيت علم ، ولا غرو أن لهذه النشأة ، وهذه البيئة أثرًا واضحًا في التكوين العلمي والمعرفي له .

ثم إن والده كان يمتلك مكتبة عامرة بأمهات الكتب في صنوف العلم والمعرفة ، أفاد منها ، وفتح عينيه على أنوارها السنية ، وإشعاعاتها المعرفية .

ووالدته هي أسماء هارون عبد الرازق ، من بيت علم وفضل .

❋ ❋ ❋

بداية صلتي به

كانت بداية الصلة والمعرفة بالعلامة محمود محمد شاكر عام ١٣٩٢هـ عام ثلاثة عشر واثنين وتسعين هجرية ؛ حينما كنت أتردد على القاهرة في مرحلة دراستي للماجستير في جامعة الأزهر ، وسكنت في حي المنيل ، في عمارة مطلة على النيل ، وقد صادف أن أستاذي الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح يسكن في العمارة نفسها ، وكان يتردد على القاهرة إبان تحضيره للدكتوراه ، وقد عرف العلامة محمود شاكر ، وكان يزوره في بيته بمصر الجديدة ، وذات يوم عرض علي الذهاب معه لكي ألتقي به .

وأعرفه من خلال كتاب « المتنبي » الذي اقتنيت نسخة منه وأنا في المرحلة الجامعية ، واطلعت عليه ، وعرفت منه الشيء الكثير عن المتنبي مما لم أقف عليه عند غيره .

وقد سررت كثيرًا بمرافقة أستاذي الدكتور عبد القدوس لزيارته بمصر الجديدة ، في شارع سيد مرصفي .

وكان له مجلس بعد صلاة المغرب بحضرة كوكبة من رجالات الأدب والثقافة في شرفة المنزل ، وكان مجلسه عامرًا بهم .

وما إن أقبلنا عليه حتى نهض مرحبًا ، وما كاد بصري يقع على شخصه وقامته حتى استعدت ما كنت أتخيله عنه ، وإذا بي أقف أمام رجل وقور ، طويل القامة ، تقرأ على جبينه هموم الحياة والثقافة ، ورأيته يهش للقادم إليه ويسعد به .

وفي مجلسه كنت أنصت وأستمع لما يدور فيه من أحاديث حول العلم والأدب ، له فيه النصيب الوافر .

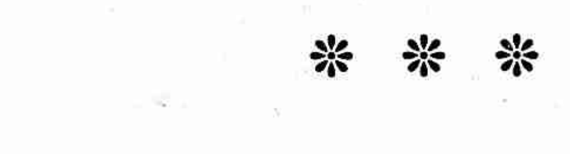
وثمت لي موقف معه في أول لقاء لي به ، أفصحت عنه في الحديث عن تواضعه واعتذاره ممن يحس أنه ربما تأثر من كلامه .

وقد توثقت صلتي به في مرحلة الدكتوراه ، حينما سجلت موضوعًا عن حماسة أبي تمام وشروحها في جامعة الأزهر ، وكنت قد سجلت موضوعًا لنيل درجة الدكتوراه ، وهو : « تحقيق ودراسة لشرح من شروح الحماسة » ، منسوب لأبي العلاء المعري ، وقُبِل الموضوع في الأزهر ، بإشراف أستاذي الجليل الدكتور محمد السعدي فرهود ، وبعد أن شرعت في نسخ المخطوطة فوجئت بوجود نقول عن علماء وأدباء بعد عصر أبي العلاء ، مما جعلني أشك في نسبته إليه ، مع وجود هذه النسبة في صفحة العنوان من المخطوطة في دار الكتب المصرية ، فتوقفت عن النسخ ، وهرعت إلى الشيخ محمود شاكر ، وأطلعته على جلية الأمر ، وبعد أن تأمل في المخطوطة أكد لي ما تبينته ، وحاول معي

أن نصل إلى مؤلف هذا الشرح ، غير أن المحاولة لم تسفر عن شيء مؤكد .

واستشرته في أمر تغيير الموضوع ، فأيدني في ذلك ، فما كان مني إلا أن توجهت إلى المشرف ، وعرضت عليه أمر التغيير فوافق ، وطلب مني اختيار موضوع آخر .

وبعد يومين من البحث عن موضوع ؛ توصلت بفضل الله إلى موضوع آخر ، وهو « حماسة أبي تمام وشروحها ، تحقيق ودراسة » ، وقُبِل الموضوع والحمد لله .



في لقاء الشرفة

يقع منزل العلامة محمود محمد شاكر في مصر الجديدة ، ٣ شارع حسين المرصفي ، في عمارة تتكون من ثلاثة أدوار ، وهو يقطن في الدور الأخير من المبنى ، وفي هذا الدور شرفة كبيرة لا يقل مقاسها عن سبعة أمتار عرضًا ، وتسعة أمتار طولاً تقريبًا ، وفي هذه الشرفة أريكة ومجموعة من الكراسي ، ويجلس عادة في هذه الشرفة مع ضيوفه بعد صلاة المغرب ، ويحضر في الشرفة كوكبة من أرباب الأدب والثقافة ، ممن اعتادوا زيارة الشيخ ، وتدار في هذه الشرفة أكواب الشاي والقهوة والعصير ، كل بحسب رغبته ، ولا يخلو لقاء الشرفة من مناقشات علمية وأدبية ، وأكثر ما يكون ذلك حينما يطرح بعض الحاضرين قضية أو سؤالاً يوجه للشيخ ، مما يجعله يبادر في الإجابة على ما يطرح من تساؤل حول العلم والثقافة والأدب .

وأحيانًا يتحدث الشيخ حديثًا عامًا حول بعض القضايا الأدبية والعلمية .

ومن الأصوات التي لها ظهور واضح في هذا اللقاء صوت تلميذه الأثير على نفسه محمود الطناحي رحمه الله ، أو الأستاذ أحمد المانع .

وأذكر أني حضرت أحد لقاءات الشرفة في أول زيارة لي لمنزله بصحبة أستاذي الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، وكنت وقتها أدرس في مرحلة الماجستير في الأزهر عام ١٣٩٢هـ ، وكان الحديث يدور حول اللغة العربية وجهود علمائها في خدمتها ، وأردت أن أدلي بدلوي ، فأشرت إلى أن بعض المستشرقين له جهود في اللغة العربية ، وكنت قبل ذها اللقاء قد قرأت كتاب « التطور النحوي للغة العربية » للمستشرق برجستراسر ، ولم أكن على علم بموقفه من المستشرقين ودراساتهم في اللغة العربية ، وما إن ذكرت اسم هذا الكتاب ومؤلفه حتى بادرني قائلاً : أنت تقرأ لمثل هؤلاء الجهال باللغة العربية ؟ اقرأ كتب علماء اللغة والنحو ، مثل : ابن جني ، وابن مالك ، وابن هشام إن أردت أن تعرف اللغة والنحو على الوجه الصحيح .

ومن تلك الجلسة أحببت الرجل ، ورأيت فيه الناصح الأمين .

ومن تواضعه وطيبة سريرته ربت على كتفي وهو يودعني ، وقال : انتبه يابني لما قلته لك ، ونشوفك مرة ثانية .

وقد شدني إليه ما تبينته فيه من تواضع ، ورغبة في الارتقاء بثقافة وعلم من يحضر مجلسه من طلابه ومحبيه .

ما أروعه من لقاء في تلك الشرفة التي نحظى منها بالهواء الطلق ، وأروع منه ما يتناثر في أرجائها من أحاديث العلم والمعرفة ، وتضم في

جنباتها من أرباب الفكر والأدب من باحثين ومؤلفين ، وأدباء وشعراء يشار إليهم بالبنان ، ومن يحضرها يحس أنه يعيش في أجواء يخيم عليها صفاء الروح وأريج المحبة ، وتظلها سحائب العلم والأدب والفكر ، وطرائف الذكريات ، وبدائع الشعر والشعراء ، والجلسة هناك لا تمل ، فأنت فيها بين من يتحفك بمعلومة أو يدخل السرور إلى نفسك بالحديث العذب الحلو .



لقاء يوم الجمعة ، مائدة أم فهر

كنت أحرص على حضور لقاء الجمعة في دار أستاذي العلامة محمود شاكر ، وأذهب إليه قبل الصلاة بساعة ، وأشهد معه صلاة الجمعة في مسجد قريب من داره ، نمشي إليه على الأقدام ومعنا ابنه فهر .

وكان يرحمه الله يحرص في أي مدينة يزورها على الصلاة في المسجد الذي لا يطيل فيه الإمام في خطبة الجمعة كما يفعل بعض الأئمة الذين يطيلون الخطبة ، حتى إن بعضهم قد يصل في خطبته إلى ما يقارب الساعة ، وهو أمر مخالف للسنة ؛ لأن السنة قصر الخطبة وطول الصلاة ، كما جاء في الحديث عن أبي اليقظان حين قيل له : يا أبا اليقظان ؛ لقد أبلغت وأوجزت ، فلو تنفست - أي أطلت - .

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة[1] من فقهه ، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان لسحرا » رواه مسلم .

وبعد صلاة الجمعة نتوجه إلى الدار ؛ حيث يتهيأ لاستقبال زائريه وضيوفه ، ويتوافد عليه كوكبة من رجالات الفكر والعلم والأدب ، وسواهم من عامة الناس ، ومن بعض الطلاب .

---

(١) مئنة : أي علامة على فقهه .

وأذكر منهم صديقه الحميم يحيى حقي ، والأستاذ أحمد المانع ، والدكتور ناصر الدين الأسد ، الذي أصبح وزيرًا للتعليم في الأردن ، والدكتور شاكر الفحام ، وقد تولى وزارة التعليم في سورية ، والدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، وأخوه الدكتور يعقوب الغنيم ، والدكتور محمود الطناحي مع زوجته وولده محمد ، وابنته أروى ، وأبناء أخيه الشيخ علي زهير وعبد الرحمن ، ويجلس معهم أنور ، الحلاق الخاص به ، ما أروعها من مائدة ، فهي ليست مائدة طعام وحسب ، بل إنها مائدة أثيرة على نفس كل من يحضرها ، إنها مائدة كرم ومحبة ، وعلم وأدب ، فارسها العلامة محمود شاكر ، ومُعِدَّتُها وصانعتها أم فهر ، يهفو أليها محبوا مجلس العلامة محمود شاكر ، ومن يحضرها يجمع فيها بين غذاء البطن ، وغذاء الروح والعقل ؛ لأمرين :

الأول : أنها من تدبير وتجهيز يد صناع ماهرة في الطبخ ، وهي أم فهر رحمها الله ، إنها مائدة تزدان بأطايب الطعام ، ولا سيما ملوخية أم فهر ، التي سار بذكرها كل من حضر المائدة ، ونَعِمَ بمذاقها المتميز ، وقد استفاض الحديث عنها ، وعن ما تمتاز به من إتقان ولذة ، ونالني حظ وافر منها حينما كنت أحرص على حضور ملتقى الجمعة ، وتأكد عندي ما استفاض من حديث عنها .

وما أكون مبالغًا إذا قلت إني ما ذقت ملوخية مثلها في طعمها وإتقان صنعها ، وصفها الشاعر عبد الرحمن صدقي ، قائلاً : « إنه أكل أهل الجنة » .

وعلى المائدة تدور أحيانًا أحاديث شتى ومداعبات من الشيخ محمود حقي ، وبعض الطُّرَف من الدكتور محمود الطناحي .

ومن لطف الشيخ محمود أنه يبادر أحيانًا في التعاون مع أم فهر ؛ فقد شاهدته يدخل المطبخ بعد الفراغ من الطعام ، ويتولى تجفيف الأواني بعد غسلها .

كما أنه يشرك بعض محبيه ممن له دالة عليه للنهوض والتوجه إلى المطبخ للمشاركة مع أم فهر في إعداد الطعام ، كما كان يفعل مع الأستاذة عايدة الشريف .

وقد أشارت إلى ذلك في كتابها « محمود محمد شاكر قصة قلم »[١] ، وذكرت أنه كان يناديها ويطلب منها ترتيب الأطباق على المائدة ، ووضع الملاعق والشوك والسكاكين ، كما كان يطلب منها أن تقوم بصنع السلاطة .

وكان الشيخ حريصًا على أن يحضر مائدة الجمعة كل من اعتاد حضورها ، وإذا تأخر عنها أحد منهم يبادر بالسؤال عنه ، كما صنع من

(١) ص ١٤١ .

الأستاذة عايدة الشريف ، فقد ذكرت أن الأستاذ محمود اتصل بها ، وسألها عن سبب تأخرها عن حضور ملتقى يوم الجمعة ، واعتذرت بكل لطف عن انشغالها في ذلك اليوم .

بقي أن أذكر أن هذا اللقاء المبارك النادر في يوم الجمعة ، نجم عنه تعارف ودي بين العديد من أرباب العلم والمعرفة ، ودارت في رحابه مناقشات أدبية وعلمية ، وددت لو أنها سجلت للإفادة منها ، ولا سيما أن من يحضرها هم أدباء كبار ؛ علمًا وفكرًا وثقافة ، وأساتذة جامعات .

وقد أفدت كثيرًا من معرفتي بهم ، وتوثقت علاقتي مع بعضهم .

ولا أنسى هنا أن أشير إلى ختام المائدة ؛ حيث تعد المائدة مرة أخرى لتناول أنواع من الفاكهة والحلوى .

ثم يأتي دور الشاي بنوعيه الأحمر والأخضر ، وتعد القهوة لمن يرغب فيها .

وعلى هذه المائدة المباركة لا فرق عنده بين الفقير والوزير ممن يحضرها .

وثمت موقف ذكره محمود الطناحي عنه ، قال : ومن طريف ما يذكر هنا ، ما رواه لي أبو فهر رحمه الله ، قال : في يوم جمعة في أوائل ثورة يوليو كان يجلس على مائدة الغداء محمد رشاد مهنا ، والشيخ أحمد حسن الباقوري ، ومحمد فؤاد جلال ، وكان يجلس على المائدة نفسها الأسطى أنور الحلاق .

وفي الصباح التالي اتصل بي الشيخ الباقوري ، وقال لي : إن محمد فؤاد جلال - وكان وزيرًا للشؤون الاجتماعية - عاتب عليك ؛ لوجود الأسطى أنور بيننا .

يقول أبو فهر : وفي الجمعة التالية قلت لمحمد فؤاد جلال : اسمع يا فؤاد ؛ أنت وزير في مجلس الوزراء ، ولكنك هنا في بيتي واحد من عامة الناس ؛ مثلك مثل الأسطى أنور وغيره .

ومن يتأمل هذا الكلام والعتاب لوزير انتصارًا لأنور الحلاق ؛ يدرك مدى ما في ذلك من العطف والحنو على الفقير ، والانتصار له من الوزير ، وعدم التفرقة بينهما عنده ، وفي رحاب داره وعلى مائدته[1] .

ولمائدة أم فهر شأن يذكر فيه شكر ، وقد حظيت ممن يحضرها بالثناء العاطر ، في تدبير المنزل ، وإعداد مائدة الجمعة ، كما ذكرت عايدة الشريف عن يحيى حقي في قصة قلم[2] حين قال : هي غاية في الروعة ، حين يلمس الطاسات الفضية المرصعة بآيات الذكر الحكيم للشرب بها ، وتفوح منها رائحة الورد والزهر .

ويقول : لن تجد مثل هذه الأشياء إلا في بيت محمود شاكر ؛ إنها

---

(١) مقدمة الدكتور محمود الطناحي لكتاب عايدة الشريف محمود شاكر قصة قلم ، ص ٨ .

(٢) ص ١٤٨ .

أنامل أم فهر ... إلى أن قال : إننا لا نتعلم ولا نأكل في هذا البيت فقط ، بل قد تتحفنا أم فهر بشيء نأخذه أيضًا لبيوتنا ... إن هذا البيت ترجم أمام ناظري مقولات ، مثل : نزلت سهلاً ، ولقيت أهلاً ، وغيره من أمثال الترحيب .



عطفه وحنوه على أهل بيته

عرفته ذا قلب حنون وعطوف على فلذات كبده ؛ أم فهر ، وفهر ، وزلفى ، يكتنز في صدره لهم حبًا وعطفًا لا يدانيه حب أو عطف .

وقد شهدت ذلك واضحًا كلما زرته في داره العامرة ؛ فأم فهر هي مدبرة المنزل ، وهي التي ترعى أموره ، وتحرص على إكرام ضيوفه .

أما ابنه فهر وابنته زلفى فهما قرة عينيه ، يحنو عليهم ، ويخشى عليهم من خطرات النسيم .

وإذا دخلت شقته تواجهك لوحة معلقة على جدار الصالة التي تقع خلفه غرفة النوم ، وهذه اللوحة هي تهنئة صديقه الشاعر محمود حسن إسماعيل بولادة ابنه فهر .

وأذكر في يوم من الأيام - وكنت عنده في الشقة - جاءت ابنته زلفى من المدرسة وهي تبكي ، وحينما رآها كاد أن يغمى عليه ، غير أن التي أحضرت ابنته هدأت من روعه وطمأنته ، ويبدو أن الذي كان معها عارض صحي لا خوف منه .

وبعد أن استقرت ابنته في البيت ؛ قامت والدتها أم فهر برعايتها ، وبرئت من العارض الذي ألم بها ،وفي ذلك دلالة واضحة على مدى

حبه وحنوه على فلذات كبده ، ومنزلة ابنه فهر وابنته زلفى تذكرني بقول شاعر الحماسة حطان بن المصلي :

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا أكبادنا تمشي على الأرض

❊ ❊ ❊

ومن تقديره للضيوف يودعهم عند باب المصعد

درج على أن يقوم بتوديع ضيفه عند باب المصعد ، وهو الذي يضغط على زره ، وينتظر حتى يقل المصعد ضيفه ، ثم يعود إلى مجلسه .

شهدت ذلك منه كثيرًا ، وكنت واحدًا ممن صنع معهم هذه البادرة الحميدة ، التي تدل دلالة واضحة على مدى تواضعه وتقديره للضيوف .

وكانت شقته في الدور العلوي من العمارة التي تتكون من ثلاثة أدوار ، ولا بد من استعمال المصعد ، وهو مصعد قديم قدم العمارة التي مضى عليها الآن أكثر من نصف قرن .

❊ ❊ ❊

مجلسه العلمي ودروسه

اعتاد على الجلوس مع من يأتيه من الضيوف ، أساتذة وطلابًا ، وأدباء وباحثين كل يوم بعد المغرب في شرفة الشقة التي ترش بالماء ، وفيها كنبة كبيرة تسع ثلاثة أشخاص ، وحولها مجموعة من الكراسي .

وفي هذه الجلسة يحضر الشاي الصعيدي الذي تعده أم فهر ، والجميع يصغي للشيخ محمود وهو يتحدث عن موضوعات تتعلق بالأدب والتاريخ وعلوم اللغة ، ويتوجه إليه الحضور بأسئلة فيتفيض في الإجابة عليها .

وكانت له مجالس علمية منذ فترة الخمسينات تعقد في بيته ، تدور حول الأدب العربي والثقافة العربية وحول الشعر الجاهلي على وجه الخصوص ، ويحضر هذه المجالس كبار الشخصيات العلمية والأدبية ، من مصر ، ومن كافة البلاد العربية والإسلامية ، وجلهم كان يحرص على الحضور للإفادة من علمه ، وعرض ما يواجههم من مشكلات فيما يقومون به من دراسات ، أو ما يعدونه من مؤلفات .

وممن لقيتهم في مجلسه العلمي : الأديب الكبير الأستاذ يحيى حقي ، والدكتور محمود الطناحي ، والدكتور شاكر الفحام ، والدكتور ناصر الدين الأسد ، والأستاذ أحمد المانع ، ومن الكويت الدكتور

يعقوب يوسف الغنيم ، وأخو الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، والأستاذ جمعة ياسين .

وقد طلب إليه بعض محبيه ومرتادي مجلسه من الطلاب والأساتذة أن يقوموا بقراءة بعض المصادر الأدبية عليه ، من أمثال الدكتور يعقوب الغنيم ، والأستاذ جمعة ياسين ، والدكتور ناصر الدين الأسد ، والأستاذ راتب النفاخ ، والدكتور شاكر الفحام ، والأستاذ أحمد المانع .

وقد استجاب إلى طلبهم الشيخ محمود ، وتحدد يوم الثلاثاء ، الموافق ١٩/ ١٠/ ١٩٥٧م موعدًا للدرس ، وتم لهذا الغرض اختيار كتاب الأصمعيات لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، المتوفى سنة ٢١٦هـ .

وقد حرص الدكتور يعقوب الغنيم على تسجيل ما يلقى في الدرس كتابة ، فحفظ لنا كنزًا من كنوز شيخنا العلامة محمود شاكر ، وأصدر ذلك في كتاب بعنوان : « قراءة في دفتر قديم - من مجالس العلامة أبي فهر محمود محمد شاكر » ، وقد صدر في طبعته الأولى عن مكتبة الأمل بالكويت عام ٢٠١١م ، ثم صدرت الطبعة الثانية عن إدارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت عام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م ، ومعه أثر آخر من دروس الشيخ محمود شاكر في كتاب الكامل للمبرد ،

كانت من تعليقاته على نسخته من كتاب الكامل ، رصدها مما كان يلقيه عليهم حول الكامل ، وكانت تتناول خمسة أبواب من الكتاب .

وقد أشاد بمجلسه العلمي عدد من خواص تلاميذه ، ومنهم العالم الجليل والمحقق القدير الدكتور محمود الطناحي ، الذي قدم لكتاب الأستاذة عايدة الشريف : « الدكتور محمود محمد شاكر ، قصة قلم » ، حين قال في المقدمة : « أي رجل كان محمود شاكر ؟ وأي مجلس كان مجلسه ؟ وأي أنس كان يشيع في هذا المجلس ؟ وأي علم كان يتفجر في رحابه ؟ وللناس أن يتكلموا عن علم محمود شاكر ما شاء الله لهم أن يتكلموا ، ولكن الحديث عن مجلسه مما ينبغي الوقوف عنده ، وتأمل أنه لم يحظ أحد من أدباء هذا الجيل بمعشار ما حظي به محمود شاكر ؛ من حبه ، والالتفاف حوله ، والأخذ عنه ، والتأثر به »[1] .

وقال أيضًا : « كان بيته جامعة عربية ضخمة ، طوائف من الناس من مختلف البلدان والأعمار والانتماءات ، وسعهم هذا البيت المفتوح دائمًا »[2] .

ولقد أعطى الطناحي المجلس حقه - وهو كما قال - إن مجلسه لا يمل ، فإن أردت علمًا تدفق بما يشبع نهم طالبي العلم ، وإن أردت

(١) ص ٥ .

(٢) محاضرات الطناحي ، ص ٥١٩ .

الروح المرحة تجد عنده ما يسري عن النفس حين يأتي وقتها المناسب في غمرة الأحاديث العلمية .

ورأيته يطرب للنكتة ، ويستغرق في الضحك إن كانت تستدعي ذلك .

ولا بد من الإشارة إلى أنه إن بدرت في مجلسه وبين خلصائه بعض الألفاظ التي يصم بها البعض ، فغالبًا ما تكون آنية ، أو من قبيل الدعابة ، وتنتهي بانتهاء المجلس ، وربما اعتذر عنها ، وإن كانت موجهة لبعض الحاضرين ربما اعتذر له وهو يودعه عند باب المصعد بكل لطف .

يا له من مجلس حظي بتقدير كبار العلماء والأدباء .

وهاهو الأديب الكبير الأستاذ فتحي رضوان يقول عنه : « كان بيته لا يخلو من أعضائها الثابتين : يحيى حقي إذا حضر من أوربا ، وعبد الرحمن بدوي ، وحسين ذو الفقار صبري ، وغيرهم وغيرهم ، ولم يكن من حظي أن أكون عضوًا دائمًا فيها ، فقد كنت ألم به أحيانًا ، فأراهم ، وأرى من العالم العربي كله ، ومن العالم الإسلامي على تراميه شخصيات لا حصر لها ، تتباين بعضها عن بعض في الزي والمظهر والثقافة واللهجة ، والشواغل والمطامح ، ولكنها تلتقي كلها عند محمود شاكر ، تسمع له ، وتأخذ عنه ، وتقرأ عليه ، وتتأثر به ، وكلما

كان من حظي أن أشهد جانبًا من هذه الندوة أحسست بسعادة غامرة ، أن يبقى ركن في بلدي كهذا الركن ، ينقطع أصحابه للفكر والدرس في أمور لا تجد من يسمع بها ، أو يعرف عنها شيئًا في مكان آخر »[١] .

❊ ❊ ❊

(١) مقالات محمود الطناحي (٢/ ٦١٥) .

مع الشيخ سيد المرصفي

الشيخ سيد بن علي المرصفي عالم واسع المعرفة في علوم اللغة العربية وآدابها ، يصفه تلميذه طه حسين بقوله : « أستاذنا الجليل سيد بن علي المرصفي ، أصح من عرفت بمصر فقهًا في اللغة ، وأسلمهم ذوقًا في النقد ، وأصدقهم رأيًا في الأدب ، وأكثرهم رواية للشعر ، ولا سيما شعر الجاهلية وصدر الإسلام[(١)] .

وقد تتلمذ عليه صفوة من كبار الأدباء ، منهم : أحمد حسن الزيات ، والمنفلوطي ، وعبد العزيز البشري ، وزكي مبارك ، وأحمد محمد شاكر ، وحسن السندوبي ، وعلي الجارم ، وغيرهم .

وقد كان للعلامة محمود محمد شاكر صلة وثيقة بالمرصفي ؛ أَحَبَّه محبة الابن لوالده ، والتلميذ لأستاذه ، وقد كان في ريعان شبابه آنذاك ؛ يحرص على حضور دروسه في جامع السلطان برقوق ، وفي داره .

قرأ عليه وهو طالب في المرحلة الثانوية كتاب الكامل للمبرد ، وحماسة أبي تمام ، وشيئًا من أمالي أبي علي القالي ، وبعض أشعار الهذليين . واستمرت صلته به إلى أن توفي سنة ١٩٣١م[(٢)] .

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

(٢) دراسات عربية ، ص ١٣ .

ولا ريب أن هذه المرحلة ألقت بظلالها على علم وثقافة العلامة محمود شاكر ، جعلته يعشق علوم اللغة العربية وآدابها ، وخاصة الشعر الجاهلي ؛ حيث أكبَّ على دراسته ، وحفظ ووعى منه الشيء الكثير .

ومن ذلك حفظه للمعلقات ، وأصبح بذلك فارس الميدان في دراسة الشعر الجاهلي والحديث عنه ، ومرجعًا ومصدرًا ثرًّا لدارسيه ؛ أساتذة وطلابًا ، كما دافع عن الشعر الجاهلي وما تدور حوله من آراء ومزاعم في قضية انتحال الشعر الجاهلي .

ويتضح ذلك بجلاء في نقده لآراء الدكتور طه حسين حول هذه القضية التي أثارها في كتابه : « الشعر الجاهلي » ، وخصص لنقده مقدمة مطولة للطبعة الثانية من كتابه : « المتنبي » تحت عنوان : « قصة هذا الكتاب - لمحة من فساد حياتنا الأدبية » في مائة وخمس وستين صفحة .

وقد عبر عن تقديره وحبه لأستاذه المرصفي ، وفضله عليه في أول لقاء به ، حين قال : « كان ذلك منذ عشرين سنة ، وكنت فتى لا يمل الدؤوب والسعي ، وكانت أول مرة أدخل فيها بيت ذلك الشيخ الضئيل البدن ، المعروق اللحم ، الذي ينظر إليك أبدًا كالمتعجب .

وكان الذي سعى بي أليه حب قد ملأ قلبي له ، وإجلال قد أخذ علي العهد أن أفي لهذا الشيخ ما حييت ؛ وفاء الذكرى ، وفاء العلم ، ووفاء الاقتداء .

وكنت يومئذ قد حضرت بعض دروسه في مسجد البرقوقي ، وقرأت عليه شيئًا من كتاب أبي العباس المبرد ، وكان يعدُّني كبعض ولده ؛ لسابق معرفته بأبي رحمهما الله »[١] .

❊ ❊ ❊

(١) المقالات ، ص ٣١٤ .

من علم الرياضيات إلى علوم اللغة العربية وآدابها

كان في ريعان شبابه مولعًا بعلم الرياضيات في المرحلة الثانوية من دراسته ، وكان متفوقًا في هذا العلم ، غير أن تطلعه إلى الأدب العربي شعرًا ونثرًا قد استحوذ على أقطار نفسه ، فاتجه إليه بكليَّته .

وقد حكى هذا التحول حين قال : « بين الثالثة عشرة من عمري والسابعة عشرة ؛ كنت مولعًا أشد الولوع بالرياضيات ، وقد دخلت القسم العلمي في المدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة ، ولكني مع ذلك كنت شغوفًا بالشعر ، منهومًا بالأدب ، كلفًا بالتاريخ ، فلما أُنشئت الجامعة المصرية لأول نشأتها لم يستطع ولعي بالرياضيات أن يقوم لشغفي بالأدب والتاريخ ، فتحولت مخالفًا سيرة زملائي من القسم العلمي ، والتحقت بكلية الآداب ، فكان هذا التحول هو أيضًا بدء تحول حياتي تحولاً تامًّا ، هجرت الرياضيات هجرًا مصمتًا ، وأقبلت على الشعر والأدب والتاريخ بقلبي كله .

يوم دخلت كلية الآداب ؛ كنت قد فرغت منذ قليل من قراءة كتابين جليلين على شيخي وشيخ الدكتور طه حسين أيضًا ، وهو سيد بن علي المرصفي رحمه الله ، أول الكتابين كتاب : « رغبة الأمل » ، وهو شرح على كتاب الكامل لأبي العباس المبرد ، وثانيهما ، كتاب :

« أسرار الحماسة » ، وهو شرح أيضًا على كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي الشاعر ، وفي زمان هذه القراءة كان أثر الشيخ علي شديدًا ؛ فقد أثار اهتمامي ، وصرف قلبي كله إلى الشعر الجاهلي ، وبعض الأموي .

وكان قد حفظ المعلقات ، يقول : « كنت قبل ذلك أعرف المعلقات الجاهلية وأحفظها كما هو شأن أكثر من انصرف بهمته إلى الأدب »[1] .

***

(١) كتاب المتنبي ، ص ١١ ، ١٢ .

مكتبته وعشقه للكتب

حريص على مكتبته حرصًا شديدًا ، وهي عنده أغلى وأثمن ما يملكه ، رتبها بنفسه ، ويعرف كل كتاب فيها أين يوجد على رحابتها وكثرة كتبها التي تتربع في خزاناتها التي تغطي جدران الشقة كلها .

ولم يكن يسمح لمن يريد كتابًا من مكتبته أن يتناوله بنفسه ، بل لا بد أن يطلب منه الكتاب ، وهو الذي يحضره بنفسه ، أدرك هذا يوم أن كنت أزوره يوميًا إبان دراستي في مرحلة الدكتوراه ، مستفيدًا من علمه ومن مكتبته ؛ حيث كان يوجهني قائلًا : إذا أردت كتابًا اطلبه مني وأنا أحضره لك ، وإذا فرغت منه اتركه وأنا أعيده في مكانه ، ولا تحاول إعادته بنفسك حتى لو كنت تعرف مكانه . لأنه خبير بأماكن كتبه ، ويخشى أن يوضع الكتاب في غير مكانه فيصعب الوصول إليه عند طلبه والحاجة إليه .

وهذه حقيقة أدركتها حين توسعت مكتبتي ؛ حيث لم أكن حريصًا على إعادة الكتاب في مكانه ، وإذا احتجت إليه أجد صعوبة في الحصول عليه .

*** * ***

عشق الكتب والوعي بمحتواها ، وطلابه في رحابه ورحاب مكتبته

عشق العلامة محمود شاكر الكتاب ، وصحبه منذ نعومة أظفاره ؛ فقد فتح عينيه على مكتبة والده العلامة محمد شاكر ، وكانت مكتبة ثرية بنفائس الكتب من علوم الشريعة واللغة العربية ، ولا غرو إذن أن يمتلك حب الكتاب أقطار نفسه ، ويستحوذ على شغاف قلبه ، فأكب على قراءة الكتب ، ولا سيما ما يتعلق بالأدب شعرًا ونثرًا ، وبعلوم اللغة العربية بعامة .

ونتج عن ذلك أن تكونت لديه مكتبة قيِّمة عبر مراحل حياته خلال تسعين عامًا .

وقد زخرت مكتبته بنوادر الكتب ونفائسها ، وكان حريصًا على اقتناء الكتب والبحث عنها ، والسؤال عما يصدر منها في البلاد العربية وغيرها ، ويسعى للحصول عليها ، ولذلك تعد مكتبته من المكتبات الخاصة التي تضم قدرًا كبيرًا من الكتب تتجاوز مجلداته العشرين ، وتصل إلى الثلاثين ، ومن زار مكتبته في الشقة الواقعة في مصر الجديدة يفاجأ بما يدهشه ، حيث لا يرى جدرانًا ، وأينما اتجه بنظره لا يقع إلا على خزائن مكتظة بالكتب ، وهي كتب من اختيار بصير وعالم ، يمتلك خبرة واسعة في اقتناء أمهات المصادر ، في صنوف العلم

والمعرفة ، وتنطوي المكتبة على نفائس ونوادر الكتب وطبعاتها القديمة التي يزيد بعضها على المائة عام وأكثر .

ومما يميز مكتبته أن يده امتدت بالقراءة الواعية والاطلاع على جل محتويات المكتبة ، وبدت آثار ذلك على العديد من الكتب التي تحلت وتوشحت بتعليقاته العلمية المفيدة على حواشيها وهوامشها .

وكان حريصًا كل الحرص على مكتبته ، فجُلُّها مجلد ، وكان لا يسمح بإعارة أي كتاب ، وإذا دخل الكتاب إلى مكتبته لا يخرج منها إلا للتجليد عند الحاج سعد خضر ؛ المُجَلِّد المتميز والمتقن ، ومن يطلب منه إعارة كتاب يعتذر منه ، ويدعوه للاطلاع داخل المكتبة على أي كتاب يريده .

وقد حصل ذلك معي إبان عملي في تحقيق « حماسة أبي تمام ودراسة شروحها » ، وهو العمل الذي تقدمت به لنيل شهادة الدكتوراه من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ؛ فقد كنت أتردد على مكتبته أكثر من يوم في الأسبوع ؛ لأفيد من نفائسها في رسالتي للدكتوراه ، وأذكر أني طلبت منه أن يعيرني بعض الكتب التي تحتاج إلى وقت للإفادة منها ، غير أنه كان يعتذر لي ويدعوني بإلحاح للاطلاع والقراءة داخل المكتبة .

وما كان لي إلا أن أستجيب لرغبته ، وجمعت في ذلك بين الإفادة من علمه ومن مكتبته في آن واحد ، وكان حَظِّي في الإفادة وافرًا من الجهتين .

ولم أكن الوحيد الذي حظي بذلك ؛ حيث كانت المكتبة مفتوحة لكل من يقصد الشيخ ومكتبته طلبًا للفائدة ، وأذكر منهم الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ، صاحب كتاب « مصادر الشعر الجاهلي » وهو رسالته للدكتوراه ، فقد أمضى وقتًا طويلًا ينهل من علم الشيخ ومن مكتبته إبان إعداده لرسالته ، كما قال في مقدمة الكتاب : « أما أخي الصديق محمود محمد شاكر ؛ فإن فضله لا يقتصر على هذا البحث وحده ، فطالما اغترفت من علمه وأفدت من مكتبته ، وانتفعت بنصحه وتوجيهه ... ويُبَصِّرُنِي بما لم أكن لأصل إليه لولا غزير علمه ، وسديد نصحه[1] .

وكذلك الأستاذ الدكتور عادل سليمان جمال ، يوم أن كان يحضر للدكتوراه ، ويعمل في تحقيق « الحماسة البَصْرِيَّة » ، وفي جمع « شعر الأحوص الأنصاري » وتحقيقه ، وتحقيق « ديوان حاتم الطائي وأخباره » عام ١٣٩٤هـ ، وعام ١٩٧٤م ، وقد اجتمعت به أكثر من مرة في مجالس العلامة محمود شاكر ، وتوثقت بيني وبينه عُرى الصداقة ، وتهادَينَا المؤلفات ، وهو من التلاميذ المخلصين لشيخه ، ومن الأوفياء له ، وتجلى ذلك في حرصه على نشر وجمع مقالاته ، ونشر ديوانه « اعصفي يا رياح » .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ، ص ١٠ .

ومن وفائه الاعتراف بفضل شيخه عليه ، وسَطَّر ذلك في مقدمة تحقيقه لـ « ديوان حاتم الطائي » في كلمات تنم عن معدنه الأصيل في الاعتراف بالفضل لأهل الفضل ، وأُورد منه هنا هذه الكلمات ، ولساني يلهج بها لشيخي ولفضله علي أيضًا ، وذلك حين قال : « فإن للأستاذ العلامة محمود شاكر فضلاً لا تحيط به كلمات شكر ، لا على هذا الديوان فحسب ، بل على سابق أعمالي كلها ؛ فقد تعهدني دائمًا برعايته وتشجيعه ، وأفاض علي من علمه ، وقدم لي كل ما تطيقه أريحية عالم يؤمن أن زكاة العلم نشره ، جزاه الله سابغ الخير ، وأمتعه بالصحة والعافية ، وطول السلامة والبقاء »[1] .

ومنهم أيضًا الأستاذ العلامة راتب النفاخ ، إبان عمله في « ديوان ابن الدمينة » الذي تقدم به لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، عام (١٣٧٨هـ-١٩٥٩م) ، وهو ممن أشاد بشيخه ، واعترف بفضله في مقدمة الديوان حين قال : « إلى الأخ الكبير العلامة الراوية المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذي طالما أفدت من علمه ومكتبته - لا زالت معمورة - ، وطالما فزعت إليه فيما اعترضني من مشكلات ، وكان لي من علمه الجم وبصره النافذ خير معين »[2] .

---

(١) كان ذلك في الطبعة الأولى من ديوان حاتم ، الصادرة عام ١٩٧٥م في حياة العلامة محمود شاكر .

(٢) مقدمة ديوان ابن الدمينة ، ص ٦ .

وأذكر أيضًا أستاذي الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح إبان عمله في تحقيق « ديوان ذي الرمة » ، الذي تقدم به لنيل درجة الدكتوراه عام (١٣٩١هـ-١٩٧١م) ، وفي أثناء إعداده لرسالته كان يتردد على العلامة محمود شاكر للإفادة من علمه ومن مكتبته ، وهو ممن يدينون له بالفضل في ذلك .

وقد أفصح عن شعوره نحوه في مقدمة تحقيقه للديوان حين قال : « أما العلامة المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر ، فإنه على عادته في إحياء مآثر السلف الصالح ، فتح لي أبواب مكتبته العامرة ، أنهل منها ومن علمه الغزير ، وكنت ألجأ إليه دائمًا لمعرفته الواسعة ، وعبقريته المشهودة في حل المعضلات ، وفك المعميات ، فجزاه الله خير الجزاء عني وعن العربية أوفى الجزاء »[1] .

* * *

(١) مقدمة ديوان ذي الرمة (١/ ١٢) .

منهجه في قراءة كتب القدماء

وقبل كل شيء ، وقبل النظر في مقالة أبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي في كتابه : « طبقات فحول الشعراء » ، أجده لزامًا لا مفر منه ، أن أكشف عن شيء من منهجي في قراءة كتب القدماء من علمائنا رحمهم الله .

فقد غبر علي زمان طويل في مدارسة كتبهم ، على اختلاف موضوعاتها[1] .

❋ ❋ ❋

(١) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام (ص ٢١) .

مكتبة روح الشيخ

مكتبة شيخنا العلامة محمود شاكر من المكتبات العامرة بنفائس ونوادر الكتب في جميع صنوف العلم والمعرفة ، وتحتل كتب علوم اللغة والأدب حيزًا كبيرًا منها .

والذي يزور مكتبته في منزله لأول مرة يتفاجأ أنه لا يزور منزلًا ، وإنما يزور مكتبة زاخرة بالكتب ؛ حيث إن الكتب تملأ كل حيطان وجدران الشقة التي يسكنها ، وأينما تلفت في أنحائها لا تقع عيناك إلا على كتب ، وكأن الجدران اختفت ، أو أن خزانات الكتب هي الجدران .

وقد أتيح لي أن أتنقل بين أفيائها يوم أن كنت أعد رسالة الدكتوراه ، وجنيت منها ومن علم صاحبها ثمارًا يانعة من العلم والمعرفة .

ومن يظفر بالبحث والتنقيب في مكتبته - رحمه الله - سيجد أن جل ما حوته المكتبة حظي بعنايته وقراءته له ، ما كان منها من مجلد واحد أو مجلدات عديدة ، تصل العشرين مجلدًا ، كأمثال « لسان العرب » و « الأغاني » وغيرها ، وقد عرفت عنه أنه قرأ « لسان العرب » أكثر من مرة ويوصي بقراءته .

وقراءاته قراءات تأمل ، وكثيرًا ما كانت الكتب تحظى بتعليقاته المفيدة .

وقد وجدت ذلك في العديد من الكتب ذات الأجزاء المتعددة ، مثل : « لسان العرب » و « أمالي ابن الشجري » ، و « الكامل » للمبرد وغيرها .

وكان - يرحمه الله - حريصًا على اقتناء الكتب ، ويتابع ما يطبع منها في مصر وخارجها ، وكان يحثني على تزويده بما يَجِدُّ من مطبوعات جامعة الإمام وغيرها يوم أن كنت عميدًا للمكتبات بالجامعة .

ومن حرصه على الكتب ؛ كان لا يسمح بإعارتها إلا ما ندر ، لكنه يفتح أبوابها على مصراعيها لمن أراد أن يطلع ويقرأ داخل المكتبة ، ومن نهجه أنه لا يسمح لمن يريد كتابًا أن يأخذه بنفسه ، وإن كان يعلم مكانه أو يعيده إلى مكانه بعد الانتهاء منه ، بل يتولى ذلك هو بنفسه لمن يريد الاطلاع على أي كتاب ، وذلك لأنه رتب مكتبته بطريقته حسب العلوم ، ويعرف أماكن الكتب ، ويخشى من اختلال الترتيب إذا تولى طالب الكتاب أخذه ورده .

وقد أَدْرَكَت زوجته أم فهر رحمه الله مكانة المكتبة ومنزلتها في نفس الشيخ ، وتجلى ذلك واضحًا بعد أن انتقل الشيخ إلى رحمة الله ، حيث بقيت محافظة عليها أكثر من عشر سنوات على الرغم من العروض المالية المغرية ممن يرغبون في الظفر بها ، دُفِع لها ما يزيد على مليون جنيه ،

وأعرف ممن كان حريصًا على اقتنائها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ جمعة الماجد صاحب مركز ومكتبة جمعة الماجد في دبي .

ومع هذا الإغراء المالي كانت ترفض كل ما عرض عليها ثمنًا للمكتبة ، وفي إحدى زياراتي لمنزل الشيخ ومكتبته ؛ سألتها عن سبب تمسكها بالمكتبة ، فردت علي بعبارة تفيض بالوفاء للشيخ حينما قالت : « دي المكتبة روح الشيخ ، وما دامت موجودة ، فالشيخ موجود » .

ومن هذا المنطلق بقيت المكتبة إلى يومنا هذا ، وهي الآن بين يدي ابنه الدكتور فهر وابنته زلفى ، وكان ابنه فهر يطمح في أن يوجد من يحقق تطلعه في إقامة مركز علمي باسم والده يضم مكتبته ، ولكنه لم يجد من يلبي طموحه وطموح أخته .

وقد كانت مكتبته منارة علم ، أفاد منها ومن علم صاحبها كثيرون من طلاب العلم والمعرفة ، ولا سيما طلاب الدراسات العليا ، وكنت واحدًا ممن أفاد من هذه المكتبة في رسالتي لمرحلة الدكتوراه ، وكان موضوعها : « تحقيق حماسة أبي تمام ودراسة لشروحها » .

وأدركت منه حرصه على إسداء النصح والتوجيه لمن يقصده من الطلاب ، ومن خلال تأملي في المكتبة أدركت أن قيمتها لا تكمن فيما حوته من نفائس الكتب وحسب ، بل هناك قيمة على جانب كبير من

الأهمية ؛ ذلك لأن قدرًا ليس بالقليل من الكتب متوجه بتعليقاته في أثناء قراءته لها .

وقد رأيت بعضها ، ومن نفائسها تعليقاته على نسخته من لسان العرب ، الذي قرأه أكثر من مرة ، وهي تعليقات قيمة من عالم في قامته ، وكنت أتمنى لو أن هذه التعليقات جردت من نسخته وطبعت لتعم بها لفائدة .

وفي أثناء تحقيقي لكتاب « الوحشيات » أو « الحماسة الصغرى » لأبي تمام ، وقفت على نسخته المطبوعة التي هي بتحقيقه وتحقيق الشيخ عبد العزيز الميمني ، وعليها تعليقات كثيرة بخط يده ، وكنت قد أعدت تحقيقها بعد أن عثرت على نسخة مخطوطة من مكتبة يزد في إيران ، ووجدت فيها إضافات وزيادات لم تكن في نسخة تركيا التي حققا عليها الكتاب ، مما حفزني على إعادة تحقيق الكتاب .

وقد أفدت من تعليقات العلامة محمود شاكر في تحقيقي ، وأوردتها بنصها في حواشي الكتاب منسوبة إليه ، حيث أكتب أمام كل تعليق (شاكر) .

❊ ❊ ❊

القراءة الواعية واستحضار المعلومات من الكتب

مكتبته ليست مجرد مكتبة تحوي كتبًا للتباهي والتظاهر بالعلم كما يفعل بعض مقتني الكتب ، وإنما هي مكتبة أثيرة عند صاحبها ، بينه وبينها وشائج محبة ، وصلة علم ، وقراءة فاحصة متأنية .

وهي مكتبة زاخرة بأمهات الكتب القيمة في شتى فنون العلم والمعرفة ، ولا سيما علوم اللغة والأدب ، والتاريخ والتراجم ، ويندر أن تتناول كتابًا منها إلا تجده مطرزًا بالحواشي والتصحيحات والإحالات إلى مصادر أخرى تناولت ما قرأه في الكتاب الذي بين يديه ويباشر قراءته .

ومن ذلك تعليقاته القيمة على نسخته من لسان العرب ، الذي قرأه أكثر من مرة ، وهو بذلك يضع أمام الباحثين الذين يرتادون مكتبته دليلاً يجعلهم يقفون على ما يريدونه من كتب التراث التي لم تفهرس ، ودرج على أن يفهرس بعض كتب التراث التي لم تحقق ، ولم توضع لها فهارس .

وقد كان كلفًا بالقراءة الشاملة في شتى صنوف العلم والمعرفة كما يبدو من قوله : « فأقدمت إقدام الشباب الجريء على قراءة كل ما يقع تحت يدي من كتب أسلافنا : من تفسير لكتاب الله ، إلى علوم القرآن

على اختلافها ، إلى دووواين الحديث ، وكتب الرجال ، والجرح والتعديل ، إلى كتب الفقهاء في الفقه ، إلى كتب أصول الفقه ، وأصول الدين (أي علم الكلام) ، وكتب الملل والنحل ، ثم كتب الأدب والبلاغة ، وكتب النحو ، وكتب اللغة ، وكتب التاريخ ، وما شئت بعد ذلك ، وأبواب العلم .

وعمدت في رحلتي هذه إلى الأقدم فالأقدم ، كل إرث آبائي وأجدادي كنت أقرأه على أنه إبانة منهم عن خبايا أنفسهم بلغتهم ، على اختلاف أنظارهم وأفكارهم ومناهجهم »[1] .

ومن خلال كلمته هذه ندرك أن اطلاعه واسع ، بحيث أتى على جل صنوف العلم والمعرفة ، كما نقف على مدى اعتزازه بتراث الأسلاف من العلماء والأدباء ؛ ذلك لأنهم وضعوا بين أيدينا بمصنفاتهم القيمة ما أبدعته عقولهم على اختلاف أنظارهم وأفكارهم ومناهجهم .

وقد كنت أرتاد مكتبته العامرة يوم أن كنت أحضر برسالتي في مرحلة الدكتوراه بعنوان « تحقيق حماسة أبي تمام ودراسة لشروحها » ، وأفدت كثيرًا من مكتبته وعلمه في اقتناء الكتب والحفاظ عليها ، وأدركت ذلك منه يوم أن كنت عميدًا للمكتبات بجامعة الإمام ،

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، ص ٧ ، ٨ .

وكان كثيرًا ما يطلب مني في بعض رسائله تزويده بما تطبعه الجامعة من كتب ، أو ما يطبع من قبل دور النشر في المملكة العربية السعودية ، وكنت حريصًا على تزويده بما يريد .

وقد أتاح مكتبته لمن يقصده من الطلاب والأساتذة ؛ حيث يجدون بغيتهم من الكتب ، ومن علم صاحبها .

وفي بيته العامر ، ومكتبته الثرية بنفائس الكتب ؛ التقيت بالعديد من الشخصيات العلمية والأدبية في مصر وخارجها .

ومن حرصه على مكتبته أنه لم يكن يعير أي كتاب منها ، وإذا دخل الكتاب إلى مكتبته لا يخرج منها أبدًا في الغالب .

وقد أدركت عن كثب مدى استيعابه لما يقرأ ، واستحضاره لما في بطون الكتب التي قرأها ، وذلك من خلال ما سمعته وشهدته حينما جاء إليه العالم المحقق والصديق الحميم الدكتور محمود محمد الطناحي ، وكان وقتها يعمل في تحقيق كتاب أمالي ابن الشجري في رسالته لنيل درجة الدكتوراه من دار العلوم ، وأطروحته كانت بعنوان : « ابن الشجري وآراؤه النحوية ، مع تحقيق الجزء الأول من كتابه : الأمالي النحوية » ، وذكر للعلامة محمود شاكر أنه وجد نقلاً عند ابن الشجري من كتاب سيبويه ، وأراد أن يوثقه من الكتاب ، غير أنه - كما ذكر -

لم يقف على هذا النقل عند سيبويه في الكتاب ، وذكر له النص الذي جاء عند ابن الشجري من كتاب سيبويه .

ونهض العلامة محمود شاكر من فوره ، وأحضر الجزء الثاني من كتاب سيبويه ، وفتح على صفحة منه ، وقال للدكتور محمود الطناحي : اقرأ . فإذا به يجد النص المطلوب أمامه .

وفي هذا المقام أتحفنا العلامة محمود شاكر بتوجيه ، أشار فيه إلى التأني في البحث ، وترك العجلة ، والقراءة بدقة ، فما كان من الدكتور الطناحي إلا أن دعا للشيخ محمود ، وسر بتوجيهه .

أليس فيما ذكرت دليلاً ساطعًا على إحاطة العلامة محمود شاكر لما في بطون الكتب التي قرأها .

وقد كنت أفيد من سعة اطلاعه وعلمه فيما يصادفني من مشكلات ، إبان تحقيقي للحماسة والدراسة لشروحها .

أذكر أني حينما شككت في نسبة شرح الحماسة المنسوب لأبي العلاء المعري ، فاتحته في الأمر ، وعرضت عليه ما بدا لي من شك حوله ، فوجدت منه العون والتأييد لما ذهبت إليه ، وكنت قد أزمعت تسجيل هذا الشرح موضوعًا لرسالة الدكتوراه ، ثم صرفت النظر عنه بعد أن ظهر لي بالأدلة أنه ليس لأبي العلاء[1] .

---

(١) انظر حوله دراستي عنه في كتابي حماسة أبي تمام وشروحها ، دراسة وتحليل .

وكثيرًا ما كنت أعرض عليه ما يعن لي من إشكالات حول بعض المخطوطات التي أعمل في تحقيقها ، أو أزمع تحقيقها ، ومن ذلك كتاب التشبيهات والطلب ، لمحمد بن سهل بن المرزبان ، لدي نسخة مخطوطة منه ، واستشرته في أمره ، فكتب إلي رسالة أفادني بمعلومات عن المؤلف وعن الكتاب .

وختم رسالته بقوله : « والحمد لله رب العالمين ؛ فقد بان الحق ، ولا تزال هناك بعض الإشكالات ، سأنظر فيها فيما بعد ، والسلام » .

وفي خاتمة هذه الرسالة دليل واضح على ما أشرت إليه من حرصه على إفادة من يلجأ إليه طالبًا للإفادة ، فتجده يتجاوب معه ، ويجتهد في الإفادة فورًا ، وإذا اقتضى الأمر يرجع إلى بعض المصادر التي تضيء جوابه ، كما فعل في إجابته لي حول كتاب المرزباني ، حيث رجع إلى (الفهرست لابن النديم) .

❊ ❊ ❊

اعرفوا ازاي تقرؤوا الكتب

كان العالم المحقق خبير المخطوطات الدكتور محمود الطناحي قد سجل كتاب أمالي ابن الشجري في النحو موضوعًا لرسالة الدكتوراه ، وفي أثناء عمله في تحقيق الكتاب مر به نقل من الكتاب لسيبويه ، واقتضى عمله في تخريج الأقوال أن يرجع إلى كتاب سيبويه لتوثيق القول في الطبعة القديمة للكتاب ، وهي لم تفهرس .

وجمعني به لقاء عند شيخه وشيخي العلامة محمود شاكر ، وعرض عليه الأمر ، ذاكرًا نص النقل الذي أورده ابن الشجري من كتاب سيبويه ، وأنه بحث عنه في الكتاب ولم يجده .

فما كان من الشيخ محمود إلا أن قام وأحضر نسخته من كتاب سيبويه ، وفتح صفحة من صفحات الكتاب ودفعه إليه ، وقال له : اقرأ ؛ فإذا به يقع على النص الذي يبحث عنه .

قال ناصحًا : يا محمود ؛ لا بد لمن يعمل في التحقيق أن يعرف ازاي يقرأ الكتب لاستخراج ما يريده منها ، وما كان من الطناحي إلا شكر الشيخ محمود ، مع الدعاء له ، متقبلاً نصيحته بكل ترحاب .

وكنت حاضرًا هذا المشهد ، وأفدت من هذه النصيحة القيمة التي يحتاج إليها كل من يقوم بتحقيق الكتب ، بل كل من يقرأ كتابًا ، ويريد الوصول إلى مراده منه .

منزلة اللغة العربية عنده – حب وعشق

إمام في اللغة العربية ، وعلى دراية واسعة بأسرارها ، وأسرار البيان العربي في شعره ونثره ، وليست العربية عنده شعارًا يُتحلى به ، وإنما هي دفقة هائلة تختلج في نفسه ، وتتدفق حبًّا يملك عليه أقطار نفسه ، وهيامًا لا يدانيه هيام ، تجري على لسانه ، وتنبع من وجدانه سلسة رصينة ، عذبة جزلة ، تشهد برسوخ قدمه فيها ، وبغوصه في أعماقها ، وبراعته في معرفة أسرارها .

لقد وقف وقفة صلبة قوية يدافع عن لغة القرآن ، ويخوض المعارك بقلمه في سبيل الذود عن حياضها ، وعن أصولها وجذورها ، وقد وقف بكل اقتدار أمام واحد من ألدِّ أعدائها ، وهو لويس عوض ، وكان دفاعه منطلقًا من إجلاله للغة القرآن ، فصال وجال مفصحًا عن أباطيل لويس عوض في كتابه : « أباطيل وأسمار » .

وفي كثير من كتبه يلهج بفضل العربية ، والإفصاح عن أهميتها في الفهم والإدراك للعلم والحضارة ، يقول : « أعرف عن طريق الكلمة العربية أن الحضارة كلها ، والثقافة كلها بعلومها وآدابها وفلسفتها عالة على الكلمة ؛ فلولا الكلمة لما كان شيء من ذلك كله يعقل »[1] .

---

(١) أباطيل وأسمار ، ص ٥٦١ .

ويؤكد على أهمية اللغة العربية ، ودورها الفعال في توثيق عرى العالم العربي ، وذلك حين قال معقبًا على كلامه : « وهو صحيح ؛ فاللغة الفصحى التي ذكرها (توينبي) وبيَّن أنها هي الرباط الوثيق الذي يمنع العالم العربي من التفكك ؛ إذا أراد مريد أن يدخلها في معركة مع اللغة العامية التي تؤدي إلى التفكك »[(١)] .

ومواقف العلامة محمود المنافِحة عن اللغة العربية واجه بها دعوات مغرضة كثيرة تحاول النيل من لغة القرآن ، بل تسعى إلى ما يقلل من شأنها ، ويعكِّر صفوها وتألقها لغة وأدبًا ، وقراءة وكتابة .

ويشيد بذلك الدكتور محمود الطناحي حين قال : « وقد حارب أبو فهر في جبهات كثيرة ، وخاض معارك كثيرة ، حارب الدعوة إلى العامية ، وحارب الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، وحارب الدعوة إلى هلهلة اللغة العربية ، والعبث بها بحجة التطور اللغوي »[(٢)] .

وفي كتابه أباطيل وأسمار ما يؤكد ذلك ؛ فقد دافع فيه عن لغة القرآن ، وتصدى للدعوات المغرضة للنيل منها ، وتجلى ذلك في تصديه لأحمد لطفي السيد ، ولويس عوض حول الدعوة إلى اللغة العامية ،

---

(١) أباطيل وأسمار ، ص ٢٦ .

(٢) مقالات الطناحي ، ص ٤٣٦ .

وإلغاء حركات الإعراب ، وما في ذلك من لت وعجن كما يقول ، وكما جاء في صفحات الكتاب ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ١٧٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ .

وقد أفصح عن جهله باللغة العربية التي يُكتب بها الآن ، وقد كان لها كارهًا ، وعلى حربها حريصًا ، ص ١٤ .

وما كان تصديه للويس عوض وغيره ممن يحاول النيل من لغة القرآن إلا دليلاً واضحًا على ما للغة الغربية من مكانة كبيرة ، ومنزلة رفيعة عنده .

ويؤكد ذلك مواقفه في الدفاع عنها ، ومواجهة كل من يحاول النيل منها ، وها هو يقول : « اللغة شيء مستمر ، وهو نهر متدفق لا ينقطع ، ولكن الأساس الذي ينبغي أن يدخل دارس هذه اللغة هو الاعتقاد الجازم بشرف هذه اللغة بمجرد نزول القرآن الذي تحدى به العرب »[1] .

❋ ❋ ❋

(١) ظل النديم ، ص ١٤١ .

تقبل الملحوظات بصدر رحب

عرفته لا يتذمر ممن يبدي بعض الملحوظات على ما يكتبه أو يحققه ؛ فقد كتب الأستاذ محمد عبد الغني حسن ملحوظات على تحقيقه لكتاب : « إمتاع الأسماع » للمقريزي في مجلة الرسالة ، عدد ٤١٢ ، وأطلع عليه الأستاذ محمود ، وتقبله بصدر رحب ، قائلاً : « وإني لأشكر الأخ الكريم ثناءه وحسن ظنه بأخيه ، جزاه الله عني أفضل الجزاء .

وقد استدرك الأخ الأستاذ بعض ما فاتني من الخطأ ، فله الشكر على اهتمامه وحسن تهديه[١] .

ثم أبدى ما عنده فيما يتعلق بالتصحيح .

* * *

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد ٤١٣ - يونيه ١٩٤١م - ١٣٦٠هـ .

محمود شاكر محققًا للتراث

عرفته محققًا لكتب التراث ، مهتمًا بها ، وهام في حبها ، وتفانى في الدفاع عن تراثنا الإسلامي المجيد ، الذي كان محط رعايته واهتمامه ؛ بحثًا وتحقيقًا ، والتزم في ذلك نهجًا فريدًا يتميز بالدقة والعمق ، وسعة العلم والاطلاع .

ومن أشهر أعماله : تحقيقه لتفسير الطبري ، الذي أخرج منه ستة عشر مجلدًا ، وكتاب تهذيب الآثار للطبري في ثمانية أجزاء ، وطبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلَّام الجمحي في مجلدين ، وإمتاع الأسماع للمقريزي المجلد الأول ، ودلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني . وسوف تتحدث الفقرات التالية عنه .

ومما عرفت من ملامح نهجه في التحقيق من خلال عمله في كتاب طبقات فحول الشعراء الذي صدر عن دار المدني بمصر عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ما يلي :

- كتب على صفحة العنوان عبارة : « قرأه وشرحه محمود محمد شاكر » ، ونجد عبارة « قرأة وعلق عليه » في صفحة العنوان من كتابي « دلائل الإعجاز » ، و « أسرار البلاغة » ، وذلك إشارة إلى ما يذهب إليه من أن عمله ليس سوى قراءة فاحصة لتحرير النص ،

وأدائه على الوجه الصحيح ، مبرأ من الأخطاء والتصحيف والتحريف ، مع ما يقتضيه المقام من شرح وتعليق .

- الحرص على تقصِّي نسخ الكتاب المخطوطة ، واختيار أصل منها ، ودراسة النسخ مع وصف شاف لها ، ويشير في الحاشية إلى بعض فروق النسخ مما يستوجب المقام الإشارة إليه ، ولا يتوسع في هذا الجانب ؛ لأنه يرى من العبث ما يفعله بعض المحققين في هذا الباب ؛ بإيراد كل جليلة وصغيرة من الفروق دون تمييز بين ما هو من أخطاء النساخ ، أو غير ذلك(١) .

- الاستعانة بما يرد في المصادر الأخرى التي تنقل عن الكتاب الذي يعمل في تحقيقه ، أو تروى عنه ، وذلك في إثبات زيادة ، أو تقويم وتصحيح ، ويعمد إلى تصحيح ما وقع في الأصل من الأخطاء بإثبات ما يراه صحيحًا في المتن ، والإشارة إلى ما عليه الأصل في الهامش . انظر (١/ ١٢٩) الحاشية رقم (١ ، ٢) مع التعليل للوجه الذي ينتقده ، وذلك كله بعد دراسة متأنية وتثبت وتمحيص ، لوضع الأمور في نصابها الصحيح ، وله في هذا الباب دراية وخبرة واسعة ، تنبثق من علم غزير ، وسعة اطلاع على كتب التراث في شتى صنوف العلم ، وما تنطوي عليه من علوم ومعارف .

---

(١) انظر : برنامج طبقات فحول الشعراء ، ص ١١ ، ١٥٨ .

- الاقتصار في ذكر المصادر والتوثيق والتعليق على ما لا غنى عنه ، والبعد عما يضعه بعض المحققين من حشد المراجع الكثيرة عند كل مكان بشكل لا ينتفع منه قارئ الكتاب انتفاعًا يذكر[1] ، وله دراية واسعة في الوقوف على نصوص الشعر الشاردة ، وغيرها من أوابد المسائل في مظانها التي خبرها وعايشها سنين طويلة ، جعلته يستحضر خفاياها ، ويستخرج مكنونها ، ويعالج مشكلاتها بكل يسر وسهولة .
- يعتني بالتعليقات ؛ حيث يشرح بعض الكلمات التي تحير قارئها ، كما يشرح ما يحتاج إلى شرح من الشعر ، مجتهدًا فيما يطرحه ، وقد يخالف فيه بعض شراح الشعر ، ويخرج النصوص الشعرية مقتصرًا على المصادر الأساسية من الدواوين وكتب الأدب المعتمدة ، ويترجم للأعلام الذين يحتاجون إلى ترجمة من غير المشاهير ، ويطيل في بعض التعليقات إذا اقتضى المقام ذلك ، وما يدبجه من تعليقات تكمن وراءها روح العالم المحقق المدقق ، الذي يتعمق في دراسة المشكلة للوصول إلى الوجه الصحيح ، كما وراءها علم جم ، وشوارد يندر الوقوف عليها في مجال اللغة ، والشعر ، وتاريخ الرجال ، وغير ذلك من الفنون ، بل إنها تعكس كثيرًا من آرائه ومواقفه في تلك المجالات .

---

(١) مقدمة تحقيق طبقات فحول الشعراء (١/ ٧١) .

- العناية بالفهارس المتنوعة ، حيث صنع لكتاب طبقات فحول الشعراء تسعة أنواع من الفهارس ، منها فهرسان علميان ، هما فهرس مباحث العربية والنحو والفوائد ، والثاني فهرس ألفاظ أخلت بها المعاجم ، بالإضافة إلى الفارس المؤلفة للأعلام ، والقبائل ، والأماكن ، والغزوات ، والأيام ، والأشعار والأرجاز ، والموضوعات .
- يُصَدِّر الكتاب بمقدمة للتعريف بالمؤلف وكتابه ، والتحقيق في عنوانه ، كما يتحدث عن الطبعات السابقة ، ويدرسها دراسة نقدية إذا كان الكتاب قد طبع من قبل على نحو ما جاء عنده في مقدمة طبقات فحول الشعراء ، حيث خصص بابًا لنقد طبعات الكتاب ، ومنها طبعة المستشرق يوسف هل .

❊ ❊ ❊

محمود شاكر الشاعر

العلامة محمود شاكر عالم متبحر ، وباحث مدقق بعيد الغور في علوم اللغة العربية ، وأديب يمتلك ناصية البيان ، وهو إلى جانب ذلك شاعر مبدع تفيض قريحته بإبداعات وتجليات من الشعر الرصين ، الذي تتمثل فيه الجزالة والمواءمة بين القديم والجديد ، وله نتاج شعري ليس بالقليل ، غير أنه انصرف في فترات من حياته الأدبية والعلمية إلى البحث والتحقيق ، وانقطع عن قول الشعر ، بل إنه لم يكترث به بعد قصيدته القوس العذراء التي تعد من روائع شعره ؛ كما أشاد بذلك كبار النقاد والباحثين ، مثل الدكتور إحسان عباس ، والدكتور محمد أبو موسى .

ولم ينشر من شعره في حياته سوى النزر اليسير في بعض المجلات المصرية ؛ مثل السياسة الأسبوعية ، والرسالة ، والزهراء ، ويبدو أنه لم يكن يرغب في نشر كل ما لديه من الشعر ، أو لم يقدمه للنشر ، أو أنه انشغل عنه بغيره من الأعمال العلمية والتحقيق .

ولا بد من الإشارة إلى أن موهبة الشعر لم تكن طارئة لديه ؛ بل إنها تمثل بداية نبوغه الأدبي ، إذ بدأت عنده هذه الموهبة منذ وقت مبكر في مراحل حياته ، فقد كانت له محاولات شعرية أيام الصبا وهو في

الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره ، ولكنه لم يحتفظ بشيء من الشعر في هذه المرحلة ، بل مزقه كما أشار في مقابلة معه في مجلة الأدب الإسلامي العدد السادس عشر من المجلد الرابع سنة ١٤١٨هـ ص٦ ؛ حيث تفتحت قريحته في مجال قرض الشعر وعمره آنذاك لم يتجاوز السادسة عشرة، فقد نظم عام ١٩٢٥ سبعة أبيات دوّنها على صورة له أهداها إلى صديق اسمه توفيق ، كما جاء في السطر الذي مهد به للأبيات وأرّخه في يونيه سنة ١٩٢٥ ، وهو قد ولد عام ١٩٠٩ ، فيكون عمره حين قال ذلك الشعر ستة عشر عاماً ، ومطلع الأبيات :

صاح فانظر إليّ في فلق الصبح ودع نظـرة الهـوى في الفـؤاد

وأول قصيدة نشرت له في مجلة الزهراء التي يرأس تحريرها محب الدين الخطيب عام ١٩٢٦م وهي بعنوان (يوم تهطال الشجون) ، وتقع في خمسة وثمانين بيتاً .

وقد واصل خوض غمار الشعر ناظماً وناقداً ومحيطاً بتراث العرب الشعري عبر عصوره المزدهرة ، حتى وصل بذلك إلى أعلى المراتب ، وتسنم الذروة ، وأصبح فارساً في هذا المضمار لا يشق له غبار ، يتأمل بعين الناقد البصير ، ويتذوق بوعي النِّطَاسيّ الخبير ، شهد له بذلك أساطين الأدباء والنقاد ، ولا غرو في ذلك ؛ فقد أفصح بلسانه عن هذا الواقع المشهود حين استعاد وعيه بعد الفترة المعتمة التي مرّ بها وهو في

السابعة عشرة من عمره سنة ١٩٢٦م إلى أن بلغ السابعة والعشرين سنة ١٩٣٦م حيث أدرك أنه كان منغمساً في غمار حياة أدبية فاسدة من كل وجه ، ثم انعتق من ذلك كله سالكاً النهج اللاحب في وعيه بالشعر ودراسته قائلاً (ويومئذ طويت كل نفسي على عزيمة حذّاء ماضية : أن ابدأ وحيداً منفرداً رحلة طويلة جداً ، وبعيدة جداً ، وشاقة جداً ، ومثيرة جداً . بدأت بإعادة قراءة الشعر العربي كله ، أو ما وقع تحت يدي منه يومئذ على الأصح ، قراءة متأنية طويلة الأناة عند كل لفظ ومعنى ، كأني أقلبها بعقلي وأروزها بقلبي ، وأجسها جساً ببصري وبصيرتي ، وكأني أريد أن أتحسسها بيدي ، وأستنشي (أي : أشم) ما يفوح منها بأنفي ، وأسمع دبيب الحياة الخفي فيها بأذني ، ثم أتذوقها تذوقاً بعقلي وقلبي ، وبصيرتي وأناملي وأنفي ولساني ، كأني أطلب فيها خبيئاً قد أخفاه الشاعر الماكر بفنه وبراعته ، وأتدسّس إلى دفين قد سقط من الشاعر عفوًا أو سهواً تحت نظم كلماته ومعانيه دون قصد منه أو تعمد أو إرادة[1] .

ومن يتأمل كلامه هذا يدرك تمام الإدراك أنه أمام نابغة من نوابغ الزمان في الإحاطة بأشعار العرب من جميع أقطاره ، ويبدو ذلك واضحاً جلياً لكل من تتلمذ عليه وخالطه وجالسه واستفاد من علمه

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص٦ .

الغزير بالشعر العربي ، وإذا أردت البرهان على ذلك فما عليك إلا أن تستفسر عن شيء فيما يتعلق بالشعر ومعانيه فتجد الجواب الشافي حاضراً ، وإن رجعت فيما بعد إلى بعض المصادر التي تعرفها وتتناول ما سألت عنه تجد أن ما سمعته منه هو عين ما تقرأه أو تقف عليه في المصادر والمراجع .

وقد أدركت هذا يوم أن كنت في مرحلة الدكتوراه بجامعة الأزهر وكان موضوع الرسالة « تحقيق حماسة أبي تمام ودراسة لشروحها » وكانت تواجهني في عملي بعض الإشكالات في قراءة بعض الأبيات ، فأذهب إليه قاصداً الاسترشاد برأيه ، والإفادة من علمه ؛ فأجد لديه من الجواب الشافي ما يطفئ الغلة ، ويريح كبد الصادي إلى المعرفة الحقة ، ويشبع نهم المتلهف إلى الرأي السديد والقول المفيد ، وكثيراً ما كنت أحمل في جعبتي بعض الأبيات التي تصادفني فيها بعض المشكلات ؛ فيأخذ في تأملها بعين النِّطَاسِيِّ الحاذق ، ثم يفصح بما قدح في محيط علمه ودرايته من علم قائلاً (هي كدا هي كدا) أي هكذا ، وربما ذهب إلى بعض المصادر لتأكيد ما توصل إليه .

وعود على بدء - والعود أحمد - تتجدد وتتأكد لدي ولدى غيري هذه الموهبة الراسخة ، والبصيرة النافذة الملمة بأشعار العرب وما تنطوي عليه من دقائق ومعان ، وذلك حين تيسر لي بفضل الله أن أقوم

بإعادة تحقيق كتاب الوحشيات لأبي تمام أو الحماسة الصغرى ، وكان قد قام بتحقيقه العالمان الجليلان ، والمحققان البارعان العلامة عبد العزيز الميمني ، وأستاذي العلامة محمود محمد شاكر ، على نسخة من مكتبات تركيا وصفاها بكثرة التصحيحات والأخطاء ، وبذلا في تحقيقها جهداً واضح المعالم والقسمات ؛ في التصحيح والتحقيق والتوثيق والتعليقات .

وقد يسّر الله لي العثور على نسخة أخرى محفوظة في مكتبات إيران مما حفزني على إعادة النظر في الكتاب في ضوء هذه النسخة ؛ فوجدت أن الأمر يدعو إلى قيامي بقراءة الكتاب وإعادة تحقيقه ، وفي أثناء ذلك وقفت على تعليقات عديدة للعلاّمة محمود شاكر يصوب فيها ما قد يظهر له من أخطاء وتحريفات في المخطوطة ويسطر ذلك بقوله (وأرجح أن قراءتها ...) وفي أثناء مقابلتي المطبوعة بالنسخة المخطوطة الأخرى كنت أجد أن ما رجحه هو عين ما جاء في النسخة الأخرى وكأنه اطلع عليها ، أليس في ذلك دليل ساطع وبرهان قاطع على أننا أمام نادرة من نوادر الزمان يأتي إليه الشعر طائعاً مختاراً ، ينثر كنانه بين يديه نظماً ودراسة وتحقيقاً ، وتفسيراً وتوضيحاً واستنتاجاً ، يغوص به إلى الأعماق لاستخراج الدرر واليواقيت الثمينة .

ولعل صدى هذه العبقرية التي يمكن أن أطلق عليها عبقرية البصر بالشعر تنتقل وتنغرس في وعيه ، فينطلق فيها شاعراً مبدعاً متألقاً ، تسنم المكانة العالية والمنزلة الرفيعة عند جهابذة الأدب والنقد والبلاغة ، الذين أداموا النظر في شعره ، وأفصحوا عن إعجابهم وإشادتهم به .

فهذا سيد صقر نجده في معرض حديثه عن تحقيق كتاب طبقات فحول الشعراء يقول : « وأما شارح الكتاب ؛ فإني أعرفه غزير المادة قوي الذاكرة ، وناقداً ثاقب الفكر ، ألمعي النظر ، بصيراً بأسرار اللغة ووقائعها ، خبيراً بعلوم العرب ومعارفها ومنازعها ؛ في بيانها وتبيينها ، وسننها في منظومها ومنثورها ، وهو إلى ذلك كاتب قدير ؛ تلمح فيما تدبجه يراعته أصالة الرأي ، وصدق الحس ، ووضوح العبارة ، ونصاعة المحجة ، وقوة التصور ، وفحولة التعبير ، وشعره كذلك رائع ؛ تلمس فيه فورة الشعور ، وثورة العاطفة ، وذكاء القلب ، واشتعال الفكر ، والتمرس البصير بأشعار الفصحاء من القدماء »[1] .

وتحدث الدكتور محمد أبو موسى عن قصيدة محمود شاكر (القوس العذراء) فوصفها بأنها : « رائعة فذة ، تعد من فرائد العصر ، نشر فيها

---

(١) من كلمة السيد صقر عن طبقات فحول الشعراء في مجلة الكتاب المجلد ١٢ ، مارس ١٩٥٣م ص٧٧٩ .

ما طواه الشماخ ، وأضمره وفصّل وأضاف ، وأكمل حتى صارت هذه القصيدة أحفل وأشمل »[١] .

ويقول أيضاً : وللأستاذ شاكر قدرة عجيبة على تركيز المعاني في ألفاظ قلائل ؛ حتى لترى الكلمة الواحدة ترمى بفضل من المعاني والصور والأحداث والأحوال[٢] .

وقبل ذلك كله وفَورَ نشر القصيدة تحدث عنها الأستاذ عادل الغضبان في مجلة الكتاب ، ووصفها بأنها ملحمة شعرية فريدة في بابها ، تحتل مكانها من الشعر الإنساني الخالد .

وأشاد الدكتور إحسان عباس بإبداع محمود شاكر في قصيدته (القوس العذراء) فيما كتبه عنها ضمن كتاب دراسات عربية وإسلامية[٣] .

وحينما تحدث الدكتور عبد العزيز الدسوقي عن كتاب محمود شاكر (المتنبي) أفصح عن شاعريته قائلاً : كان في الثلاثينيات والأربعينيات ملء السمع والبصر ؛ شاعراً عميق التجربة الشعرية[٤] .

---

(١) القوس العذراء وقراءة التراث ص٢٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) دراسات عربية وإسلامية ص ٣-١٥ .

(٤) مقال المتنبي بين محمود شاكر وطه حسين مجلة الثقافة العدد ٥٢ يناير ١٩٧٨م .

أليس فيما أشرت إليه ، وتحدثت به دليل ساطع وبرهان قاطع على أننا أمام نادرة من نوادر الزمان في عالم الشعر ، يأتي إليه الشعر طائعاً مختاراً ، ينثر كنانته بين يديه نظماً ودراسة وتحقيقاً ، وتوضيحاً وتفسيراً واستنتاجاً ، يغوص في أعماقه لاستخراج درره ويواقيته الثمينة .

ومن يتأمل شعره يجده مرآة تعكس ما يضطرم في نفسه من آمال وآلام ، وما يعتمل في وجدانه من أحاسيس ومشاعر جياشة تدور في فلك ذاته ، وتنطلق منها تجاه الحياة والناس ، وترسم بجلاء معاناته في نفسه وفي مجتمعه ، وما عايشه من شك وألم وحيرة في فترة من فترات حياته ، وقد مرّ فيها بفترة حب لم تكتمل ، وكان لها وقع في نفسه عبّر عنها في شعره ، ويبدو ذلك واضحاً من قصائده التي كانت تنشر في مجلة السياسية الأسبوعية ، ومجلة الزهراء ، والرسالة ، والمقتطف ثم ضمها ديوانه (اعصفي يا رياح) ، الذي قام بجمعه ابنه الدكتور فهر محمود شاكر ، وقدم له وشرحه الأستاذ الدكتور عادل سليمان جمال ، ومنها قصيدة : نفثة قديمة ، وانتظري بغضي ، وحيرة ، وعقوق ، وألست التي ، ورماد ، اذكري قلبي ، وقصيدته الرائعة (لا تعودي) التي نستشف من خلالها صورة الصراع بين سطوة الحب ، والاكتواء بلوعته ، وبين التمرد على سلطانه في لحظات الإحساس بالجفاء والغدر

والخيانة ممن أحب وأبت كبرياؤه أن يخضع لذل الحب ومهانته مع انجذاب عواطفه نحوه يقول :

لا تعودي .. أحرق الشك وجودي .. لا تعودي

إذهبي ما شئت .. أنى شئت في دنيا الخلود

واتركي النار التي أوقدتها تقصم عودي

هي برد وسلام يتلظى في برودي

فاسعدي في شقوة الروح .. ولكن لا تعودي ![١]

وختمها بقوله :

فأنا النار .. وكالنار ارتيابي واشتعالي

لا أبالي .. فاذهبي إن شئت .. لكن .. لا تعودي

ومنها قصيدته نفثة قديمة التي نشرها في مجلة المقتطف في يناير عام ١٩٣٦ وتمثل بداية البوح بأحاسيس الحب[٢] ، ثم قصيدته (انتظري بغضي) وهي التي أعلن منها التمرد على أغلال الحب لمن شيمتها الغدر ، واستحقت أن يخاطبها في نهاية القصيدة بقوله :

تصامَمْتِ عن قلبي ورمت مساءتي وتنتظرين الحب انتظري بغضي[٣]

* * *

---

(١) ديوانه (اعصفي يا رياح) ص١٦٦ .

(٢) ديوانه السابق ص١٩٣ .

(٣) ديوانه السابق ص١٩٤ .

مع القوس العذراء

تعد قصيدته « القوس العذراء » من أروع أعماله الشعرية ، يتجلى فيها إبداع يتخطى حدود كل إبداع من حيث الشكل والمضمون ، في ألفاظها نجوم وكواكب من الألفاظ الجزلة والرصينة ، التي تنم عن المخزون اللغوي الثر الذي يختزنه قائلها ، وفي مضمنها إشراقات من المعاني التي تشع بحياة تنطق بما تعج به من حلو الحياة ومرها ، ومما تنطوي عليه النفس البشرية من صعود وهبوط ، وفرح وترح ، وألم ومعاناة ، وحاجة وبؤس ، وما يعتري الفن من أحول متقلبة ، حظيت من النقاد والدارسين بقدر وافر من العناية والاهتمام ، وتناولها بالدراسة والتحليل ، وأشادوا بما تجلى فيها من روائع الإبداع .

وجاءت دراساتهم ملحقة بطبعة المدني للقوس العذراء عام ٢٠٠٤م .

فهذا الأستاذ عادل الغضبان رئيس مجلة الكتاب ينشر القصيدة في المجلة عام ١٣٧١هـ-١٩٥٢م ،ويكتب لها توطئة يقول فيها : « شاء صديقنا الأستاذ محمود شاكر أن يخلِّد ذلك اللقاء برسالة يعبر فيها عن نظرته إلى الإنسان ، وإلى الفن ، فكانت قصيدة الشَّمَّاخ هي المنفذ إلى تصوير أعمال النفوس ، وإبراز المعاني التي مسها الشَّمَّاخ مسارًا رفيقًا ،

فانقلبت صورة حية ناطقة ، وتألفت منها ملحمة شعرية فريدة في بابها ، تحتل مكانها من الشعر الخالد » .

ومنهم شيخ البلاغيين الدكتور محمد أبو موسى ، درسها في كتاب له تحت عنوان : « القوس العذراء وقراءة التراث » ، قال فيه ص ٤٠ : « وللأستاذ شاكر قدرة عجيبة على تركيز المعاني في ألفاظ قلائل ، حتى لترى الكلمة الواحدة ترمي بفضل من المعاني والصور والأحداث والأحوال ، تأمل قوله :

وملك تعالى وطاغ عتا وحر أبى وحريص غفل

ومنهم الدكتور إحسان عباس ، الذي قام بتحليل البناء القصصي في القوس ، ورشَّحها إلى أن تكون مَعْلَمًا على طريق الشعر الحديث .

وهناك دراسة للدكتور مصطفى هدارة بعنوان : « القوس العذراء ، رؤية في الإبداع الفني » ، رأى فيها قدرة محمود شاكر العالية على الوصول إلى ضوالّ الشعر ، واللُّحمة الفنية المتذوقة ، وبراعة التمثيل ، ودقة الفهم[1] .

ودراسة الدكتور عبده زايد بعنوان « القوس العذراء ، الصوت والصدى » ، أشار فيها إلى الالتقاء مع الشماخ في بعض مظاهر حياة كل منهما ، وقال : « أول ما يلاحظ على القوس العذراء أنها في الإبداع

---

(١) ضمن كتاب دراسات عربية ، ص ٤٥٧ .

تتناظر مع كتاب المتنبي في التأليف ، وكلاهما يصل إلى الذروة في بابه ، وكلاهما يمثل نهجًا فريدًا غير مسبوق » .

كما تناولها بالدراسة الدكتور شكري عياد في مقال له بمجلة الهلال ، شعبان ١٤٠٩هـ-إبريل ١٩٨٩م ، أشار فيها إلى أنها فريدة في الأدب العربي ، ومظلومة بين كل ما كتب في الأدب القديم والحديث ، ورأى فيها شاكرًا الفنان في عمل جديد ، في قالب جديد ، وقد قرأتها أكثر من مرة ، وفي كل مرة تغمرني هالة من الإبداع المتألق ، والإعجاب الفائق في شكلها ومضمونها .

كما أعجب بها من أشرت إليهم من الأدباء والنقاد ، ومن خلالها أدركت أن مبدعها فاق الشماخ في قصيدته عن قوصه ، وهي القصيدة التي أوحت لها برائعته .

ومن المفيد هنا أن أقف على بعض نصوصها ، مما يعكس حياة صاحبها ونفسيته :

١ - أشار في المقدمة أن حديثه كله يدور حول إتقان الأعمال التي يتاح للمرء أن يزاولها في لمحة خاطفة من الدهر ، نسميها نحن الناس العمر[(١)] .

ويقول في ص ٢٦ : والإنسان إذا جوَّد العمل ، فمنتهى همه أن يجعله على قضاء مآربه أعون .

(١) ص ١٨ .

٢- إبداع رائع في وصف الإنسان خلال مسيرة الحياة العملية ، من خلال التساؤل ، كما جاء في قوله : « فسل كل حي كيف تعمل ؟ ولم تعمل ؟ ومن الذي علمك وهداك ؟ ومن الإمام الذي سن لك الطريق ؟ وبأي عبقرية يأتي إبداعك » ... وفي نهاية هذه التساؤلات يقول : « وأنا على يقين من أنك لن تسمع جوابًا إلا الصمت المستَنكَر ، والذهول المُعرض ، والصمم السخيف الذي لا يعبأ »[١] .

٣- صور حياة الإنسان وما يعتريها من المتناقضات حين قال : « ابتلي من يومئذ فتمرس ، وأسلم لمشيئته فتحير ، جار وعدل ، فعرف وجرب ، أخطأ وأصاب ، فكر وتدبر ، نزع إلى النهج الأول فأخفق وأدرك ، تاق إلى الهدف القديم فأعطى وخرم » .

ويواصل الشيخ محمود حديثه في هذا السياق حول إبداع اللاحق لما ترك السابق ، إشارة إلى ما يعرف بقضية القديم والجديد حين قال : « فعندئذ حاك الشك في صدر اللاحق حتى قدح في تمام صنع السابق ، فاستدرك عليه ، وقلق الوارث حتى خاف تقصير الذاهب »[٢] .

---

(١) ص ٢٢ .

(٢) ص ٢٤ ، ٢٥ .

ونبه عما ينجم من جفوة بين النهج القديم والنهج الجديد ، بعد تصوره لحال النهجين ، يقول : « هذا هو الإنسان وعمله ، فإذا دبت جفوة تختل النفس حتى تمل وتسأم ، أو عدت إليها نبوة تراود القلب حي يمل ويعرض ، انطمس عندئذ إعلام النهج الأول ، وركدت بوارق الهدي المقادم ، وبقي الإنسان وحيدًا ملومًا محسورًا ، لا يزال يسأل نفسه فيم أعمل ؟ ولم خلقت ؟ ولم أعيش ؟ »[1] .

٤- أبدع في الإفصاح عن ماهية الفن وحقيقته حين قال : « أما الفن فثمرة لغير شجرته ، يسقيها متأنق من ينابيع ثرة في وجدانه ، وينضجها مشغوف بلاعج من وجده وافتنانه ، في غير مخافة مرهوبة ، ولا منفعة مجلوبة ، فذاك إذن بطبيعته مستهلك ممتهن »[2] .

٥- استفتح قصيدة القوس بعدد من الاستفهامات بالأداة (كيف) ، والهدف من هذه الأسئلة تقرير حال قوس الشماخ ، وفي البيت السادس إفصاح عن وشيجة التقاطف بين القوس والقواس في قوله :

كيف فرت من يديه واطمأنت لفتاها

كيف ناجته وناجاها فلانت فلواها

---

(١) ص ٢٥ .

(٢) ص ٢٧ .

٦- لا شيء باق في هذه الدنيا ، « فعرش يخر ، وساع يقر ، وساق يميل ، ونجم أفل » .

٧- ما أروع اللغة الحوارية بين القوس وصاحبها ، أنطق الحب القوس فراحت تعاتب صاحبها كي لا يفرِّط فيها ، فقال : نعم ؛ لك عندي الرضا .

٨- عند الإنسان أشياء غالية لا يفرط فيها ، وإن فرط فيها ندم وتحسر ، وقوس الشماخ كانت غالية عليه ، وها هي تناجيه وتتوسل لكي لا يبيعها ولا يفرط فيها ، نطقت بذلك أبيات من القوس العذراء ، هي القوس تقول لصاحبها :

فبعني إذن – هي أغلى علي إذا رمتها من تلاد جلل

فقال نعم ؛ لك عندي الرضى وفوق الرضى وَيْلَه من مضل

فهل تشتريها ؟ نعم أشتري ، لك الويل مثلك يومًا بخل

فديتك أعطيتك ما تشتهيه ما بي فقر ولا بي بخل

فنادته ويحك هذا الخبيث ، خذني إليك ودع ما بذل

فصاحب به حذار حذار دهاك الخبل[1]

٩- في غمرة الحيرة بين الإقدام والإحجام في تفريط الشماخ بقوسه ؛ نقف على هذا الحوار الذي ينم عن نفسية صاحب القوس ، ومدى ارتباطه به ، وموقفه مع إغراء المال :

---

(١) ص ٥٥ .

أعوذ بربي ورب السماء ، والأرض ماذا يقول الرجل ؟

أَجُنَّ ؟ نعم .. لا .. أرى سَوْرة من العقل لا خلجات الخبل

أيعطي بها المال ؟ هذا الخبال قوس ومال كهذا ثكل

ويا رب يا رب ماذا أقول ؟ أقول نعم ، لا فهذا خلل

أجل بل هو البؤس بادٍ عليَّ فأغراه بي ويحه وأضل

يساومني المال عنها ، نعم ، إذا ألبس البؤس حرًا أذل

وفي هذا النص نفسه تصوير لحال البؤس والبؤساء ، ونظرة الناس إليهم نظرة دونية ، تزدريه العيون ، ويكون فريسة لذئاب البشر ، وتعالي النفاق .

والبؤس كما قال : « إذا لبس حرًا أذل » .

والمال في يد بعض من وُهِبَه قد يُعلي من شأن صاحبه ، وإن كان في حقيقته من السفل ، يقول : « فويحي من البؤس ، ويل لهم ، أرى المال يعلي السُّفل » .

والمال عند من يحسن استثماره عون ، أما البؤس فهو هون ، وذل ، وقل .

١٠- ما أقسى الألم على صاحب القوس حين أقدم على بيعها ؛ فقد فاضت عينه عليها بالعبرات ، يقول صاحبها :

فلما شراها فاضت العين عبرة وفي الصدر حزاز من الوجد حامز

وقف منشئ القوس أمام هذا الأسى والحزن على التفريط في القوس ، وأنطقه هذا الموقف بقوله :

وفاضت دموع كمثل الحميم لذاعة نارها تستهل

بكاء من الجمر جمر القلوب أرسلها لاعج من خبل

١١- مرت في حياة منشئ قصيدة القوس مرحلة من حياته عاش فيها لوعة الحب ، وكأني في المقطع الأخير من القصيدة يسترجع تلك المرحلة ، ويبثها مكنون أحاسيسه حيالها ، يقول :

رأى غادة نشئت في الظلال ، ظل النعيم عليها الكلل

عروس تمايل مختالة تميت بدل وتحيي بدل

ونادته فارتد مستوفزًا بجرح تلظى ولم يندمل

أفق يا خليلي أفق لا تكن حليف الهموم صريع العلل

فهذا الزمان وهذي الحياة علمتنيها قديمًا : دول

ولم يغب عن بعض الشعراء الإشادة بقصيدة القوس العذراء ، وما تنطوي عليه من إبداع ، فهذا صديقه الحميم ، الشاعر المبدع محمود حسن إسماعيل يشيد بالقصيدة في أبيات حملت عنوان : ذكرى وضعت في مستهل كل طبعة من طبعات القوس العذراء ، مكتوبة بخط يده ، يقول في بعض أبياتها :

وفي يد القوس ... كنت الأسى تنادمت فيه بقايا أمل

وفي يد الرامي ردًا طائرًا يرتاد عنها كل صيد غفل

وفي ضمير الوحش أنزلتها منازل الوحي بخطو الرسل

أنبتها غصنًا وأنطقتها لحنًا جريح السحر أنى هدل

على رباب ملحمي على أوتار سحر جديدًا أطل

ذوبتها نورًا وشعشعتها عذراء في خلد ضحاه أهل

ما هي قوس في يدي نابل وإنما ألواح سحر نزل

مع ديوانه اعصفي يا رياح

صدر ديوانه : « اعصفي يا رياح » في طبعته الأولى عام ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م ، وعني بإخراجه ابنه فهر محمود شاكر ، وتولى الشرح والتقديم الدكتور عادل سليمان جمال ، الذي كتب له مقدمة ضافية ، جاءت في (١٣٦) ست وثلاثين ومائة صفحة ، عرض فيها لأبيات عديدة عرضًا أدبيًّا ، يفصح عن جوانب عديدة من الشكل والمضمون ، تناول ظروف المجتمع المصري المحيطة بالأستاذ محمود شاكر ، ومعاناته من واقع عصره ، وحالة الحيرة عنده ، وماهية الشعر عنده ، وانطلاق شعره من نظرته إلى الشعر ، وحالة الحب التي زعزعت حياته .

والقصيدة تشرح نظرته إلى العالم الذي يعيش فيه ، صورة للأستاذ محمود على لسانه ، علاقة الحب عنده منذ الطفولة ، استيقاظ الروح للحب ، الاستسلام للحب الطاغي ، شعره يصور همومه وأحزانه ، الإلحاح على خيانة المرأة ، الأماني الكواذب في الحب ، بين الاستسلام لعواطف الحب والتمرد عليه ، التناقض في أحاسيسه ، الحكم على تجربته حول الحب ، حديثه عن واقع الحياة الأدبية ، قصيدة محمود

شاكر في طلب الشاعر محمود حسن إسماعيل ، زمن قصيدة وعد محمود شاكر وسيد قطب .

وبعد هذا العرض الموجز ، أو القول أني تأملت في شعره ؛ فوجدت صورة واضحة المعالم والقسمات لحياته ، وما يعتورها من صفو وكدر وصراع نفسي ، وما استقر في شغاف قلبه من الحب ، وما هيمن عليه من أحوال مجتمع .

ولا تكاد تقرأ قصيدة له إلا وتوحي لك بدقائق أحواله في حياته العامة والخاصة ، وحياة أمته ، وما يطفو على سطحها من ذل وهوان ، وأمل أمة الإسلام بين عواصف التيارات الأجنبية والغربية التي تتجافى عن قيم وثقافة وحضارة الإسلام ، إنه يعيش في شعره واقع أمته ، وواقع نفسه .

ولم يكن كمن يغرق بشعره في ذاته - كما هو واضح عند بعض شعراء المهجر ، وشعراء جماعة أبولو - .

وإذا قلَّبنا صفحات ديوانه « اعصفي يا رياح » يتجلى ذلك واضحًا فيما يأتي :

١- قصيدته « اعصفي يا رياح » التي كُتبت قبل قصيدة القوس العذراء ، جاءت عنوانًا للديوان ، بلغت أبياتها ثلاثة أبيات ومئة

بيت (١٠٣) ، وفي هذه القصيدة نجد أبياتًا تنطق ببعض أحواله ، حيث يتطلع إلى الوفاء الصادق الذي لا يقوض أركانه الغدر :

اعصفي كالوفاء صادمه الغدر فأغضى إغضاءة ثم ثارا[1]

ثم تأتي بعد هذه التصورة تشبيهة بديعة ، فهذا العاصف يجعل صاحبه في دوامة الضلال ، الذي يسخر ممن يحاول ارتياد جادة الهداية :

اعصفي كالضلال يسخر من هاد أذل القفار علمًا وحارا

وقد مر الشاعر بحالة من الصراع الداخلي والتأزم الذي أنقذه الله منه .

٢- ها هي غرائب المزن تسير متهادية مختالة بما تحمله من خير الظلال والأمطار ، وذلك في صورة بديعة ، جعلت من المزن كائنًا يمشي مختالاً ، في قوله

مذ تهادت غرائب المزن تختال تهدي الظلال والأمطارا[2]

٣- قوله :

مذ ناجت بشجوها ذات طوق فاستجاشت بنوحها الأسحارا

ذكرني هذا البيت قول أبي بكر الشلبي في أبيات مطلعها :

---

(١) ص ١٣٩ .

(٢) ص ١٤١ .

رب ورقاء هتوف في الضحى　　　ذات شجو صـدح فـي فنن

٤- في القصيدة أبيات يلمح فيها المتأمل صورة حضارة الغرب ، ومدى الاغترار بها ممن ليسو من أهلها ، ابتداء من قوله :

أوغلوا في الحياة جيلاً فجيلاً　　　وتجلـى طريقهـم وأنـارا

مع الأبيات الخمسة بعد هذا البيت ، وفيها قوله :

ظل هذا الإنسان يكدح للخلد　　　وأقصى الخلود كان فصـارا

ويذكرني هذا البيت بقول أبي العلاء المعري :

خلق الناس للبقاء فضلت　　　أمـة يحسـبونهم للنفـاد

٥- وفي قصيدته : « اعصفي يا رياح » تحسب الموج الهادر من العواصف ، ما يبدو في افتتاح أحد عشر بيتًا بكلمة : « اعصفي » ، وتظل الرياح العاصفة معه في بقية الأبيات ، فنجد مثل عبارات : « اذكري يا رياح ، أنصتي يا رياح ، اسمعي يا رياح ، انظري يا رياح » .

٦- تكررت « أم » في بيت واحد ، جاءت منها خمسة أحرف ، وهي حرف عطف ، وتأتي بمعنى بل ، ثم توالت « أم » في عشرة أبيات أخرى ، والأقرب هنا في هذه الأبيات أن تكون عاصفة .

٧- في القصيدة صورة قاتمة من خلال التعبير بالإعصار والزلزلة لما يحدث في العالم حوله من صراعات وأحقاد وخداع ، واللؤم ، وغطرسة ، وكبر ، وظلم ، وقسوة ، والجور والدسائس والأباطيل ، وهو ما يشكو منه في بعض مقالاته وأحاديثه .

له في قصيدة : « وعد » بيت ص ١٥٩ يقول فيه :

تبًا لها ولخلق كلما انتعشوا ... تفارسوا بنيوب البغي أو صالوا

يذكرني هذا البيت بقول أبي الطيب المتنبي :

إنما أنفس الأنيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتيالا

٨- جاءت قصيدة : « لا تعودي » في خمسة وعشرين مقطعًا ، وكل مقطع من خمسة أبيات ، وتكررت كلمة : « لا تعودي » ٢٥ خمسًا وعشرين مرة ، وعبارة : « اذهبي إن شئت » ٢٣ ثلاثًا وعشرين مرة ، وهي تسبق كلمة « لا تعودي » .

ويلاحظ هنا أن الأمر بالذهاب مربوط بالمشيئة ، ثم يأتي حرف الاستدراك « لكن » ، وهذا الحرف يثبت لما بعده حكمًا مخالفًا لحكم ما قبله ، وهنا نجد حالة التردد بين الاستجابة لنداء القلب ، والاستطام بهيمنة العقل وسلطانه .

٩- الصور البديعة في هذه القصيدة كثيرة ، استوقفني منها قوله :

ورأى نوره فجن من الفرحة ... أعمى رأى الظلام نهارا

هذا شأن الأعمى الذي يعيش في ظلام دامس ، ولكن هذا الظلام الذي يعيش فيه هو نهاره الذي يعيش فيه في جميع لحظاته .

وفي صورة أخرى نجد الغيب يتجسد ، ويبدو في لثام وخمار لمن غرته نفسه إدراك ما يضمره الغيب ، وذلك في قوله :

كيف غرته نفسه ، كيف ظن   الغيب يلقي لثامه والخمـــارا

أمــل باطــل فلو أسـفر الغيب   لأعمــــى بنــــوره الأنـــوارا

١٠- المرأة التي أحبها ولم تأبه بأحاسيسه ومشاعره نحوها ، أبت كبرياؤه أن يستسلم لها ، واستطاع أن يقاوم هذه المشاعر والأحاسيس ، وأن يتعالى على هيمنة الحب ، يقول :

أحببتك والأوهام فكري وحجتي   تؤلب بعضي في هواك على بعض

ولكنه حينما أحس بالجفوة منها ، تمرد على مشاعره نحوها ، وقال :

كفى بك ذلاً أن تبيت على الجوى   وتصبح في ذكرى وتمسي على رمض

والشك في دوامة الحب قد يكون منجاة :

شككت وقد تنجي من الشك ريبة   تبدل مســود الحظــوظ بمبيـض

وما أبدع تصويره للشك حين قال في دوامة العواصف :

اعصـفي كالشـكوك فـي مهجة   الأعمى تخاطفن حسه حيث سارا

وها هي غرائب المزن تختال وهي تمشي الهوينى مهدية لمن في الأرض الظلال والمطر في صورة مجازية بديعة :

قد تهـادت غرائـب المـزن تختـال   وتهــدي الظــلال والأمطـــارا[1]

وبعد أن أظهر شكاته ، تعالى على ما يواجهه في معترك الحياة ، وهو في أجوائها سيد نفسه ، ويقاوم العواصف ، وينتصر عليها ، كما يتغلب الباز على الطيور فتتساقط داميات :

سـيد الجـو والجـوارح بـاز   ساقط الطير داميات وطارا

---

(١) ص ١٤١ .

١١- رسم في أبيات صورة الحضارة الغربية وما فيها من بهارج زائفة وزائلة ، ابتداء من قوله :

أوغلوا في الحياة جيلاً فجيلاً وتجلى طريقهم وأنارا
فمضوا يبدعون في حيث حلوا وتباروا حضارة وابتكارا
ما كفاهم ما بلغوا فاستطالوا ثم خالوا فأسرفوا إصرارا
عمروا الأرض زينة ومتاعًا ثم نودوا كفى ، البدار البدارا
ذهبت ريحهم وهبت رياح فأقامت على القبور الديارا[١]

في قصيدته « وعد » أبيات تكاد تنطق بحالته إبان عزلته ، يقول :

وفيت يا وعد ، هذا شاعر ظلمت فيه النوائب ظلمًا وهي جهال
ففر معتزلاً أرضًا وساكنها وللكريم عن الآفات ترحال

١٢- قوله :

فإنما العقل إزراء وتعمية وحيرة وخلالات وأثقال[٢]

يذكرني في هذا البيت بقول أبي الطيب المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم

وفي الديوان قصائد عديدة تستوجب التأمل واستجلاء ما تنطق به ، ومنها قصيدة : « تحت الأنقاض »[٣] ، وقصيدة : « الشجرة ناسكة الصحراء »[٤] .

---

(١) ص ١٤٦ .

(٢) ص ١٦٠ .

(٣) ص ٢٣٢ .

(٤) ص ٢٣٦ .

نظرات في الحجازيات

استهل الديوان بمقطوعة عنون لها (يوم الرحيل) وبث فيها أحاسيسه عن هذا اليوم من ألم الفراق وغصص البين، وهو يغادر أهله ووطنه وأحبابه إلى وجهته نحو الحجاز يقول فيها :

كُـلُّ عَـيْنٍ تَبْكِـي وَكُـلُّ فُـؤَادٍ   خَـافِقٌ إِثْـرَ رُفْقَـةٍ وَخَلِيـلِ
وَدَّعُـوا وَالرَّحِيـلُ دَاعٍ إِلَـى البَيْـنِ فَـوَدُّوا أَنْ يَظْفَـرُوا بِالرَّحِيـلِ
رَغِبُـوا إِذْ أَذَاقَهُـمْ غُصَـصَ البَيْـنِ أَذَاقُـوهُ غُصَّـةَ المَقْتُـولِ

ويواصل التعبير عن لواعج الفراق والبين في قصيدة طويلة يخاطب بها الحبيب عبد السلام محمد هارون، وهي مهداة له بعنوان (الذكرى بعد البين) ومطلعها :

أَلَسْـتَ تَرَانِـي وَالفِـرَاقُ مُضَـاجِعِي   يَجِدُّ فَيَكْسُونِي الدُّمُوعَ البَوَالِيَا ...

ويعبر فيها عن عرى الصلة الوثيقة بينهما؛ حيث يلتقي القلبان في صفاء وود ومحبة غير آبهين بمن يحاول أن يكدر هذا الصفاء وذلك في صورة بديعة حيث يقول:

فَقَلْبُكَ فِي قَلْبِي، وَنَفْسُكَ تَنْضَوِي   لِنَفْسِـي وَقَـدْ سَـاءَ الـوِدَادُ الأَعَادِيَـا
يُقَبِّـلُ قَلْبِـي قَلْـبَ مَـنْ قَـدْ هَوِيتُـهُ   فَنَسْـمَعُ مِـنْ بَـيْنِ الضُّـلُوعِ المَثَانِيَـا
وَلاَ تَجِـدُ الأَكْـدَارُ بَـيْنَ قُلُوبِنَـا   طَرِيقًـا تُزَجِّـى فِيـهِ ضِغْنًا وَوَاشِـيَا

ويظل ينفث ما في صدره تجاه الغواني فيقول من القصيدة رقم (٣)

هُـــنَّ فِـــي الكَيْـــدِ وَبِالكَيْـــ ـــــدِ يُمَـــاطِلْنَ مُنَانَـــا

وَإِذَا مَـــا أَزْمَـــعَ الجِـــ ـــدُّ فَقَـــدْ حَـــلَّ جَفَانَـــا

لَـــيسَ لِلغِيـــدِ عُهُـــودٌ هُـــنَّ أَشْـــبَهْنَ الزَّمَانَـــا

وتهتاج الذكريات في زمن الغربة وتستيقظ لواعج الشوق في القلب فيبوح قائلاً :

لا تَخُـــنْ وُدِّي كَفَانَـــا الدَّهْـــ ـــرُ خُوَّانَـــاً كَفَانَـــا

لَيـــتَ قَلْبِـــي لَـــم يَـــذُبْ وَجْـــ ـــدًا وَلَـــم يَغْـــنَ حَنَانَـــا

حَسْـــبُهُ مِمَّـــا لَقَـــى فِـــي الـــوُ دِّ ذُلاًّ وَهَوَانَـــا

آهِ ! يَـــا قَلْبِـــي ! لَقَـــدْ زِدْ تَ بِجَنْبِـــي خَفَقَانَـــا

آهِ ! يَـــا قَلْـــبُ ! تَحَـــدَّثْ قَـــدْ أَقَلْنَـــا ذَا اللِّسَـــانَا

وتتعالى نبرة الشكوى من الإحساس بالغربة والوحدة ، ويخيم الحزن وتتوارد الهموم كما يبدو من قصيدته التي استهلها بقوله :

وَالِـــهٌ يَتَّقِـــي الـــرَّدَى بِجَانِـــهْ فَـــانْطَوَى قَلْبُـــهُ عَلَـــى أَحْزَانِـــهْ

كُلَّمَـــا هَـــمَّ بِالتَّسَـــلِّي أَتَتْـــهُ زُمَـــرٌ تَعْتَـــدِي عَلَـــى سُـــلْوَانِهْ

إلى أن يقول :

يَـــا هُمُـــومِي أَلَـــذَّةٌ لَـــكِ تُقْضَـــى فِـي سَمَاعِ الشَّـجِيِّ مِنْ أَلحَانِـهْ ...

تَقْتَضِـي مِحْنَتِـي ، وَطُـولَ سُـهَادِي وَاعْتِكَـافِي عَلَـى الأَسَـى وَدِنَانِـهْ ؟!

وله قصيدة تنطوي على أبيات عديدة هي من قبيل الحكم منها قوله :

كُـلُّ مَـنْ يَمْشِـي عَلَـى قَـدَمٍ   لَـيسَ يَـدْرِي مُنْتَهَـى ظَعَنِـهْ
نُـورُ مَـنْ يَسْـعَى إِلَـى أَمَـلٍ   صَـبْرُهُ المُنْجِيـهِ مِـنْ غَبَنِـهْ

وفي نهاية هذه القصيدة أبيات تنطلق بأحر الأشواق والحنين إلى وطنه بعد أن تغرب عنه في الحجاز فيقول :

هَـذِهِ الأَلْفَـاظُ شَـارِدَةٌ   مِـنْ أَخِـي شَـجْوٍ إِلَـى سَـكَنِهْ
رُوحُـهُ فِـي مِصْـرَ مُوثَقَـةٌ   وَالنَّـوَى قَـدْ حَـلَّ فِـي بَدَنِـهْ
لَـيسَ مَـنْ يَبْكِـي حُشَاشَـةً   مِثْـلُ مَـنْ يَبْكِـي عَلَـى وَطَنِـهْ

ويتكرر هذا المعنى في قصائد عديدة من أشعار الديوان مثل قوله :

لَسْتُ أَبْكِيكَ بِالدُّمُوعِ الهَوَامِي   بَلْ بِدَمْعِ الهُمُومِ وَالأَشْوَاقِ
مَا تَرَاهَا تَجْرِي عَلَى الخَدِّ ... لَكِنْ   جَرْيُهَا فِي الفُؤَادِ وَالآمَاقِ
هَل درَى البَيْنُ أَنَّ قَلْبِي مُعَنًّى   وَأَسِيرٌ بِمِصْرَ فِي أَطْوَاقِ

وفي هذه الأبيات إبداع واضح في تصوير البكاء ، وانسكاب الدمع فليست العين هي التي تهمي الدموع ، وإنما هي الهموم والأشواق ، ودموعها تجري منسابة في الفؤاد والآماق من شدة ما تلاقي متجاوزة حدود الخدود .

ويبدو أن جلّ قصائد الديوان تصب في اتجاه الحنين إلى الوطن والشكوى من الغربة ، ولم يخل الديوان من أحاسيس الشاعر ومعاناته مع حالة الحب التي مر بها في فترة الشباب من حياته إلى جانب البوح بما يتحلى به من شيم وسجايا مثل قوله :

أُحِبُّ الوَفَاءَ ، وَأَقْلَى الجَفَا ... ءَ ، وَلا أَسْتَطِيبُ انْتِزَاعَ اليَدِ
إِذَا أَنَا أَحْبَبْتُ مَنْ رَاقَنِي ... بَذَلْتُ لَهُ مُهْجَةَ المُفْتَدِي

والحب العميق لا يؤثر فيه ما قد يعكر صفوه أو يعصف به :

فَلا كُنْتُ !! إِنْ كَانَ حُبِّي عَفَاً ... يَطِيرُ مَعَ العَاصِفِ المُبْعِدِ

وفي هذا السياق وصف الحسناء التي تسكن خياله فقال :

رُبَّ حَسْنَاءَ لَم تَذُقْ أَلَمَ العَيْـ ... ـشِ ، وَلَم يَأْتِهَا عَلَى اللِّينِ كَدٌّ ...
دَخَلَتْ رَوضَةً فَغَنَّتْ طُيُورٌ ... وَذَوَى نَرْجِسٌ وَأَنْضَرَ وَرْدُ ...
ذَاتُ عَينٍ مَرِيضَةِ الطَّرْفِ وَسْنَى ... وَجَبِينٍ يُضِيءُ وَاللَّيلُ فَرْدُ ...
وَبَنَانٌ رَخْصٌ ، وَزِنْدٌ رَوِيٌّ ... وَنُهُودٌ بِمَن يَرَى تَسْتَبِدُّ ...

وفي أبيات منها يصور واقعه في غمرة التظني يقول :

مَاتَ قَلْبِي ، وَذَوَتْ آمَالُ نَفْسِي فِي التَّظَنِّي
صَوَّحَ الرَّوْضُ وَقَدْ فَرَّ نَدِيمُ النَّفْسِ مِنِّي
وَغَدَتْ كَأْسِي رُفَاتاً وَأَتَى التَّحْطِيمُ دَنِّي
كُنْتُ أَبْنِي ... ! ثُمَّ لَم أُلْفِ بِنَاءً كُنْتُ أَبْنِي
لَيتَنِي لَم أُنْفِذِ العَزْمَ ... وَلَكِنْ ... لَيتَ أَنِّي
ثُمَّ لَم أَجْنِ سِوَى الأَتْعَابِ وَالسُّقْمِ المُبِنِّ

وهو جلد يصمد أمام ما يواجهه من أكدار الحياة ومصاعبها ، ونفسه العفيفة لا ترضى بالدنية :

وَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا لا أَلِينُ لِغَامِزٍ ... وَلِي بِمُلِمَّاتِ الأُمُورِ يَدَانِ
أَعَفُّ عَنِ الشَّيءِ الدَّنِيءِ تَرَفُّعاً ... وَأَثْبُتُ تَحتِي هِزَّةُ الرَّجَفَانِ

وتتوالى في شعره نبرة الحكم التي هي صورة ناطقة بما يعتمل في نفسه من مشاعر وأحاسيس في زمن الغربة كما جاء في قصيدته (منطق الأشواق) وقد استهلها بقوله :

تَعَال نَمِلْ وَالشَّوقَ حَيثُ يَمِيلُ فَإِنَّ حَدِيثَ النَّازِحِينَ طَوِيلُ

ويلاحظ في هذا البيت أن الشاعر عبّر عن رحيله من مصر إلى الحجاز بالنازح ، وفي هذه اللفظة دلالة تحمل في طياتها التعبير عن واقعه النفسي ، وحالة عدم الاستقرار ، والحنين إلى أول منزل ؛ فمن يخرج من وطنه بصفة نازح يعني أنه ما عمد إلى ترك بلده ونزح عنه إلا اضطراراً ، وأن ثمة أموراً أقلقته ودعته وألجأته إلى ذلك النزوح ، وهذا ما حدث ؛ فقد أراد الشاعر أن يبتعد عن واقع المحيط الثقافي والأدبي ، وما يعج به من صراعات وفساد في الحياة الأدبية والثقافية كما يراه ، فآثر الرحيل من مصر إلى الحجاز لعله يجد السكون والراحة مما كدّر صفوه في ذلك المحيط . ويبدو أن هذا التعبير بالنزوح مما اختاره الشاعر لنفسه في هذه الظروف ، فقد كتب أبياتاً على صورة له ، وبعث بها من الحجاز إلى ابن خاله الأستاذ عبد السلام محمد هارون موقعة بقوله أخوك النازح محمود محمد شاكر ومطلعها :

لَسْتُ أَبْكِي وَلَسْتُ أَجْزَعُ لِلبَيْنِ وَلَكِنْ هَوَاكَ مِلْءُ الفُؤَادِ

وهاجس الغربة والحنين يكاد يطغى على جل قصائد الديوان ، ومن ذلك قصيدته التي مطلعها :

لَهُمْ شَأنُهُمْ وَلَهُ شَانُهُ وَقَدْ هَدَّ فِي القَلْبِ سُكَّانُهُ

وفي إحدى القصائد عبّر عن الواقع المرير الذي تعيشه بلاده مما حدا به إلى مغادرته يقول :

ضربوا البلاد بسوط عاد جائر نَدِس الطباع مُذمّم الأوصاف

وتشدقوا بالعدل في أقوالهم والعدل هَمٌّ يلوذ بالأشعاف

حسبوا الهوان يلذّ طعم مذاقه ولسوف تدنو لُجَّةُ الرجّاف

غادرتُ أوطانَ الشباب حميّةً والغمد ليس يلذّ للأسياف

وحين حل الشاعر ضيفاً كريماً على جدة كان بحاجة ماسّة إلى من يواسيه في غربته وينسيه همومه ، وما أقسى لوعة الغربة مع فقد المواسي ، غير أن الأمل في الظفر به كان حاضراً ، فقد أنس إلى شخص عزيز عليه وجد فيه المواسي ، وَمَنْ يبثه همومه مع الإشفاق عليه من البوح بكل ما تنطوي عليه النفس منها ، ولا سيما أنها هموم متراكمة تعايشه مدى الحياة يقول :

لَسْتُ أَبْكِي مِنَ الفِرَاقِ وَلَكِنْ يَسْتَثِيرُ الدُّمُوعَ فَقْدُ المُوَاسِي

لَيسَ لِي غَيرُ وَاحِدٍ قَد رَعَى حُبِّـ ـي ، وَأَوْلَى الفُؤَادِ بِالإِينَاسِ

غَيرَ أَنِّي لا أَسْتَبِيحُ لِنَفسِي أَنْ أَبُثَّ الهُمُومَ فِي الأَنْفَاسِ

لَو قَضَيتُ الحَيَاةَ أَشْكُو إِلَيهِ مَا بِقَلْبِي ، لِمَا انْقَضَى مَا أُقَاسِي

أَنَا أَخْشَى عَلَيهِ مِنْ ثَقْلَةِ الدَّا ءِ وَأَخْشَى أَنْ يَرْتَدِيهِ لِبَاسِي

ولعل هذا الشخص الذي وجد فيه المواسي هو حسين نصيف ، كما يبدو من القصيدة التي تليها ، والتي تحمل عنوان حسين نصيف ، وكذلك آخر قصيدة من الديوان ، وهي تحمل مشاعر الوادع لصديقه حسين نصيف ، وهو من أسرة كريمة في جدة ؛ أسرة علم وفضل ، أَنِسَ بها الشاعر ووجد عندها كرم الضيافة والترحاب ، ويوحي بذلك تمهيد الشاعر للقصيدة بقوله (في بوادر الفراق ... حسين) وفيها يخاطب صديقه حسين قائلاً :

إنْ نَأَتْ دَارُنَا (حُسَينُ) فَقَدْ كَا نَ التَّدَانِي بِالأَمْسِ شِيمَةَ أَمْسِ
فَادَّكِرْنِي حُسَينُ حِينَ مَغِيبِي إنَّ هَذِهِ الذِّكْرَى لَتَبْلُغُ حِسِّي

وتتأكد هذه العلاقة الحميمة بين الشاعر وبين حسين نصيف من خلال ما جرى به قلمه حين كتب تعريفاً بكتاب ماضي الحجاز وحاضره من تأليف الأستاذ حسين بن محمد نصيف ، ونشر هذا التعريف في مجلة المقتطف ، المجلد ٨٢ ، في أكتوبر عام ١٩٣٣م ، وفيه يقول : (كان غيري أحق بالكتابة عن هذا الكتاب ؛ فإن للأخ حسين ووالده عندي نعماً مشكورة ما بقيت ، وإنّ الصداقة التي بيني وبينه لتجعل بعض أخطائه في نفسي بمنزلة من الصواب ، وكان كتابه هذا تاماً أيام أن كنت في الحجاز) .

***

الحجازيات

يعد هذا الديوان من بواكير شعر العلامة محمود محمد شاكر ؛ فقد جادت قريحته بقصائده إبان إقامته في الحجاز وفي مدينة جدة على وجه التحديد ، التي أقام فيها عشرة أشهر تقريبًا امتدت من ١٩ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ ، ٣ سبتمبر عام ١٩٢٨م ، إلى ٢٧ ذو الحجة عام ١٣٤٧هـ ، ٦ يونيه عام ١٩٢٩م ، كما يفهم من القصائد المؤرخة في الديوان ، وأولها قصيدته التي أرخ لها يوم ١٩ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ ، ٣سبتمبرعام ١٩٢٨م ومطلعها :

رُبَّ خِلٌّ لَكَ إِنْ مِلْتَ إِلَى الهَجْرِ تَدَانَى

وآخرها قصيدته التي ودع فيها صديقه حسين نصيف ، وأرخ لها يوم ٢٨ ذو الحجة عام ١٩٢٩م جدة .

ومن هنا يتحدّد الإطار الزمني الذي قيلت فيه قصائد الديوان ، على النحو الذي توصلت إليه من خلال القصائد المؤرخة في الديوان ، على أن التحديد الذي عرض له الباحثون ، ومن ألف عن الشاعر جاء عندهم غير دقيق وشبه مبهم ، وكلهم تقريبًا يردد ما جاء في كتاب دراسات عربية وإسلامية من أنه ذهب إلى الحجاز عام ١٩٢٨م ، وما

لبث أن عاد في أواسط عام ١٩٢٩م[١].

ومن الملفت للنظر في هذا الشأن تقدير الأستاذة : عايدة الشريف أنه أقام في الحجاز عامين وفق استنباطها ، وما أشارت إليه يبدو غير دقيق ، ويبتعد كثيرًا عن التحديد الذي ذكرته سابقًا واستنبطته من تواريخ بعض القصائد في ديوان الحجازيات[٢].

ويضم الديوان بين جنباته ستًا وأربعين قصيدة ومقطوعة ، وبعض القصائد طويلة تصل إلى ستة وأربعين بيتًا ؛ مثل قصيدة : (ضمي إليك الكبد المحرقا) ويليها في الطول قصيدة (منطق الأشواق) في ثلاثة وأربعين بيتًا ، ثم قصيدة (الذكرى بعد البين) في تسعة وثلاثين بيتًا ، ثم قصيدة (واله يتقى الردى بجنانه) في ستة وثلاثين بيتًا ، ثم قصيدة (البعاد والهجر) في خمسة وعشرين بيتًا .

أما المقطوعات فتتراوح بين بيتين وثلاثة أبيات ، وتوشحت القصائد منتظمة بقلائد وأسماط من بحور الشعر ؛ جلها من البحور

---

(١) دراسات عربية وإسلامية ص ١٤ ، وتردد هذا التحديد عند الأستاذ محمد إبراهيم الرضواني في كتابه محمود شاكر والدرس الأدبي والتحقيق ص ٢١ ، وعند الأستاذ عمر حسن القَيَّام في كتابه محمود شاكر الرجل والمنهج ص ٤٨ ، وكذلك عند الدكتور إبراهيم الكوفجي في كتابه محمود شاكر سيرة أدبية ص ٤٩ .

(٢) محمود محمد شاكر قصة قلم لعايدة الشريف ص ٦٨ ، ٧١ ، ١٤٤ .

المطروقة لدى الشعراء بكثرة ، مع شيء من التفاوت بينها قلة وكثرة ؛ فنجد في الديوان من هذه البحور : الخفيف ، والطويل ، والبسيط ، والرمل ومجزوءه ، والكامل ، والمتقارب ، والمديد ، وخارج هذا النطاق جاءت في الديوان قصيدتان على نظام الموشحات وهما القصيدة رقم ١٢ ، وعنوانها (صورته) ومنها قوله :

ضُمِّي إلَيكِ الكَبِدَ المُحرَّقا في الجَوَى
وَاحْمِلِي عَنِّيَ قَلْباً أُغْرِقَا في الهَوَى

والقصيدة الأخرى رقم (٢٢) ومنها قوله :

أَصَابَ مِنْهُ غَفْلَةَ الغَافِلِ فَسَدَّا
وَأَطْلَقَ السَّهْمَ عَلَى الخَاذِلِ فَأَقْصَدَا

أما حروف القافية في الديوان فهي: الهمزة ، والباء ، والحاء ، والدال ، والراء ، والسين ، والعين ، والفاء ، والقاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والهاء ، والياء ، وهذه الحروف جاءت في الغالب منسجمة مع إيقاع الوزن ، ولا تكلف فيها .

وسلك الشاعر في ديوانه نهجًا علميًّا ؛حيث توج بعض القصائد بالتاريخ الذي ولدت فيه ، مشيرًا إلى اليوم ، والشهر ، والسنة بالتاريخ الهجري والميلادي ؛ فمثلاً قصيدته (منطق الأشواق) مؤرخة في ٢٧ شعبان ١٣٤٧هـ ٧ فبراير ١٩٢٩م ، وآخر قصيدة في الديوان (بوادر الفراق - حسين) مؤرخة في ٢٨ ذي الحجة ١٣٤٧ ، ٦ يونيو ١٩٢٩م جدة .

ويلاحظ أنه جاء النص هنا على المكان الذي ولدت فيه القصيدة ، ولعله بذلك يشير إلى أن هذا التاريخ هو زمن الرحيل من جدة والعودة إلى الوطن ، وأبعد من ذلك نجد الإشارة إلى الجهة التي كان موجودًا فيها أو يسكنها الشاعر ساعة نظم القصيدة ، تم ذلك في القصيدة رقم أربعة المؤرخة في ١٩ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ ٣ سبتمبر عام ١٩٢٨م ، ومطلعها :

رُبَّ خِلٌّ لَكَ إنْ مِلْتَ إلَى الهَجْرِ تَدَانَى

حيث جاءت مذيلة بقوله : (الحجاز جدة كشك ميلباري) .

ولا ريب أن هذا النهج من التحديد الزماني والمكاني للقصائد يدل على مدى إدراك الشاعر لما له من قيمة علمية تفيد الباحثين والدارسين لشعره فيما يتعلق بترتيب القصائد واستنتاج ما يلقي الضوء على مسيرتها ومسيرة قائلها ، وهذا النهج قلما يلتفت إليه الشعراء ؛ إذ تأتي قصائدهم مرسلة بدون تاريخ .

ولم يخل الديوان من صور موحية وبيانية يمكن أن أفصح عن بعضها على سبيل المثال لا الحصر .

فمنها أن العلاقة القلبية مع الحبيب وثيقة العرى ، فقلباهما متصلان بفيض من مشاعر الحب وما أسعدهما في اللقاء ، حين يلتقي

الواله المحب بمن يهواه في سعادة غامرة تطرب بها الضلوع التي تحتضن قلبيهما .

يُقَبِّلُ قَلْبِي قَلْبَ مَنْ قَدْ هَوِيتُهُ فَنَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ الضُّلُوعِ المَثَانِيَا

وثَمَّ مشهد تختلط فيه مشاعر الأنس والحزن ؛ فمع قسوة ما ينتابه من الحزن وانسكاب الدمع إلا أن بارقاً من الأنس يلوح في الأفق ، مع أن الحزن غالب ، وقد أبدع الشاعر حين عبر عن لحظة السرور بالبرق ، ولحظة انسكاب الدمع في غمرة الحزن بالمزن يقول :

فَهْوَ يَحْكِي البَرْقَ فِي مُزْنِهْ خَالِطٌ بِالدَّمْعِ ضِحْكَتَهُ

وإذا خيمت عليه الهموم ، وأرخى الليل سدوله ؛ لم يكن له بد إلا أن يناجي نجوم السماء ، ويبثها ما يعتمل في نفسه من مشاعر الحب والشوق والحنين والبعاد ، فيخاطب النجوم قائلاً :

يَا نُجُومَ السَّمَا ! تَحِيَّةُ مُشْتَا قٍ ، بَعِيدٌ عَنْ خَيْرِ خِلٍّ وَدُودِ

يَا نُجُومَ السَّمَا ! تَنَهُّدُ صَدْرٍ أَيُّ صَدْرٍ !! وَأَيُّ قَلْبٍ جَلِيدِ !!

فَاحْمِلِيهِ إِنْ كُنْتِ مِمَّنْ يُسَلِّي مُولَعاً بِالحَنِينِ وَالتَّنْهِيدِ

يَحْسَبُ اللَّيلَ سِجْنَهُ بَعْدَمَا كَا نَ طَرُوبَ الأَلْحَانِ غَيرَ بَعِيدِ !!

وفي مشهد آخر يناجي صورة محبوبته ، أو من يحب ، ويبثها لوعة الجوى والهوى في موشحة بديعة منها قوله :

ضُمِّي إِلَيكِ الكَبِدَ المُحَرَّقَا فِي الجَوَى
وَاحْمِلِي عَنِّيَ قَلْباً أُغْرِقَا فِي الهَوَى
لَوْعَةً أَضْرَمْتِ يَا صُورَتَهُ فِي الفُؤَادْ

وقد أبدع الشاعر فيما نظمه من موشحات تعبر بجلاء عن مكنون نفسه ، وما صادفه فيها من لوعة الحب :

أَنْتَ يَا دَهْرُ وَلُوعٌ بِالعَذَابْ وَالشَّتَاتْ
أَنْتَ إِنْ لَم تَدَعِ الطَّبْعَ اللَّئِيمْ سَأَحِنّ فَأُحَنّ
مَنْ بَكَى فَوَفَاءً مَا بَكَى وَاشْتَكَى للحَبِيبْ

وتخلل الديوان أبيات تشي بما يختزنه الشاعر في وعيه من تجارب الحياة تأتي مجلوة في وعاء من الحكم التي تحيي الأمل في نفسه وفي كل نفس وتطرد اليأس :

كُلُّ مَنْ طَالَبَ الزَّمَانَ بِحَقٍّ عَارَضَتْهُ الأَغْرَاضُ وَالأَهْوَاءُ
غَيرَ أَنِّي أَرَى الحَيَاةَ وَإِنْ كَا نَتْ نُدُوبًا ، أَوْلَى بِهَا الإِغْضَاءُ
لا تَضِيعُ الجُهُودُ مَهْمَا اسْتُخِفَّتْ سَوفَ يَأْتِي يَومٌ بِهَا يُسْتَضَاءُ

ويصور حال المتلون في مشاعره تجاه الآخرين ، ومن يبطن خلاف ما يظهر ، ويبدو لغيره وكأنه حمل وديع في حين أنه في حقيقة أمره حية رقطاء يقول :

وَصَاحِبُ الغَدْرِ لا تَلْقَاهُ ذَا كَشَرٍ وَلَيسَ بِالعَابِسِ المُبْدِي ، وَلا الجَافِي
يَلِينُ كَالحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ قَاتِلَةً بِالسُّمِّ مِنْ لِينِ أَنْيَابٍ وَأَعْطَافِ

ومثل هذا التصور مطروق عند الشعراء القدامى فمن ذلك قول عنترة بن شداد :

إِنَّ الأَفَاعِي وَإِنْ لاَنَتْ مَلاَمِسُهَا عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا العَطَبُ

وقول سديف بن ميمون :

لا يَغُرَّنْكَ مَا تَرَى مِنْ أُنَاسٍ إِنَّ تَحْتَ الضُّلُوعِ دَاءً دَوِيَّا

وقول أبي الطيب المتنبي :

إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

ولغة الديوان بصورة عامة تتسم بالجزالة ، وتدل دلالة واضحة على أن ثقافة الشاعر اللغوية بعيدة الغور وواسعة الأفق ، بل تقف عنده على ظواهر لغوية واستعمالات معرقة في التراث اللغوي ، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر كلمة (دَدَنه) وتأتي بمعنى : السيف الكهام والقطاع ، والديدن : العادة كما جاء في قوله :

إِنْ كَسَاهُ مِنْهُ مَكْرُمَةً أَتْبَعَ المَكْرُوهَ مِنْ دَدَنِهْ

وكلمة (مُكْتَنِع) وتأتي بمعنى الخاضع ، أو من دنا من الدّنية كما جاء في قوله :

خَاضِعٌ لِلنَّاسِ مُكْتَنِعٌ عَاكِفٌ دَهْراً عَلَى وَثَنِهْ

ومنها : (الشوى) في القصيدة رقم (٧) و(التصريد) في القصيدة رقم (٩) و(الأباعر الطلح) في القصيدة رقم (١٣) و(ذان) و(ساجي)

في القصيدة رقم (١٤) و(القلة) و(الأوهد) في القصيدة رقم (١٥) وغير ذلك من الألفاظ التي تم تفسيرها في موضعها من الديوان ، وهناك بعض الظواهر والاستعمالات اللغوية التي لا تتأتى إلا من ضليع ومتبحر في كلام العرب وعلوم اللغة والنحو فمن ذلك (قرى الطارقيه) في قوله :

إِذَا هُوَ عَرَّتْهُ مِنَ الزَّادِ نَوبَةٌ   قَرَى الطَّارِقِيهِ مِنْ دَمِ القَلْبِ صَافِيَا

والطارق من يأتي ليلاً ، و(هاتا) في قوله :

وَمَا يُنْكِرُ النَّاسُ التَّشَابُهَ بَينَنَا   وَكَيفَ وَ(هَاتَا) رَنَّةٌ وَعَوِيلُ

علق الشاعر على هذا الاستعمال بقوله : اعترض بعض الإخوان على قول (هاتا) بأن الصواب (هاتان) وشاهده قول كعب بن سعد الغنوي :

وَخَبَّرْتُمَانِي أَنَّمَا المَوتُ بِالقِرَى   فَكَيفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ وَكَثِيبُ

وذلك كله يؤكد سعة اطلاعه ووعيه بلغة العرب وأساليبها في الشعر والنثر إلى جانب عنايته الفائقة واهتمامه البالغ بالشعر الجاهلي دراسة وحفظاً واستيعاباً ، مما كان له الأثر الواضح في شعره من حيث الجزالة والأصالة ، وهذه العناية باللغة ليست غريبة عليه ، ذلك لأن اللغة العربية عنده هي وعاء المعارف جميعاً[1] ومنهجه في التذوق قائم على الإحاطة باللغة واستيعاب معانيها ، والدراية بأسرارها ويتضح

---

(١) رسالة : في الطريق إلى ثقافتنا ص٢٦ .

ذلك حين ذهب (إلى أن بين تمام الإحاطة باللغة ، وقصور الإحاطة بها مزالق تزل عليها الأقدام ، ومخاطر يخشى معها أن تنقلب وجوه المعاني مشوهة الخلقة)[1] .

❊ ❊ ❊

(١) رسالة : في الطريق إلى ثقافتنا ص ٢٧ .

ديوان الحجازيات

ها هو ديوان الحجازيات يدلف إليك أيها القارئ المتعطش إليه ، مجلوًّا في حلته القشيبة ؛ من روعة البيان ، ورصانة الشعر ، المجلوة ممن رصف كلماته ، وأبدع في نظمه العلامة محمود محمد شاكر ؛ صاحب الكلمة الشاعرة ، والبيان الساطع ، والحجة النيرة .

ولا ريب أن نشر هذا الديوان سيضع بين يدي الباحثين والدارسين لأدب وحياة العلامة محمود شاكر مادة ثرة ، كانت محجوبة عنهم ، تكشف لهم عن جوانب عديدة من شخصيته وأدبه وحياته ، ربما تضيف جديدًا لما سبق نشره من تراثه الأدبي والشعري .

وحينما ترامى إلى سمعي خبر هذا الديوان ؛ اتصلت بابنه الدكتور فهر ، وأبديت له رغبتي في العمل على نشره ، فاستجاب لهذه الرغبة مشكورًا ، وسلمني مسودة الديوان في زيارتي للقاهرة .

وبعد عودتي ؛ عكفت على قراءته ، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق ، ويكاد ينحصر ذلك في تفسير بعض الألفاظ التي تحتاج إلى بيان لمعانيها حسب سياقها الذي وردت فيه .

كما أعددت دراسة للديوان ؛ تحدثت فيها عن شاعرية صاحب الديوان ، وإلقاء الضوء على أبرز معانيه وخصائصه من حيث الشكل والمضمون ، وهي دراسة موجزة ، لم أكن أقصد منها إلى الدراسة

الأدبية والفنية الموسعة ؛ على أن قصائد هذا الديوان تتراوح بين الوجدانيات والإخوانيات والحنين إلى الوطن .

ويعد من بواكير شعره الذي لم ينشر بعد ، وتأتي أهمية هذا الديوان أنه ولد وترعرع في أحضان الحجاز ، وفي مدينة جدة على وجه التحديد في الفترة التي امتدت من ١٩ ربيع الأول عام ١٣٤٧هـ إلى ٢٧ ذو الحجة عام ١٣٤٧هـ ، كما سيأتي في الدراسة التي تتصدر الديوان .

وقد سبق أن رأى النور ديوانان له ، نشر أولهما الديوان الذي تألق بقصيدته القوس العذراء ، نشر في طبعته الثانية ١٣٩٢هـ ، والثاني ديوان اعصفي يا رياح ، صدر في طبعته الأولى عام ١٤٢٢هـ .

وقد عني بنشره ابنه الدكتور فهر ، والأستاذ الدكتور : عادل سليمان جمال ، الذي قدم له بدراسة ضافية .

على أن في الجعبة مجموعة شعرية أخرى للشاعر نفسه ، عنوانها (جاني الورد) يجري العمل على إعدادها للنشر .



مع أستاذه طه حسين وقضية الشعر الجاهلي

طه حسين من عمالقة الأدب العربي ، أو عميده كما هو لقبه الذي اشتهر به ، وذاع صيته ، وهو من الرواد الأوائل في عالم الأدب والنقد ، تتلمذ عليه في الجامعة المصرية ، وعلى كتبه جيل من الأدباء والمثقفين ، ونال حظًّا وافرًا من عناية الباحثين والدارسين .

ومن هذه الدراسات ما هو موضوعي يثبت ما له ، ويكشف عما عليه من ملاحظات ونقد .

وقد عرف العلامة محمود شاكر طه حسين يوم التحق بالجامعة للدراسة في كلية الآداب ، كما عرفه في المجلس العلمي للمرصفي .

وقد كان يكن لأستاذه طه حسين كل تقدير واحترام ، ويعترف بفضله عليه في دخول الجامعة .

وكان يستمع لمحاضرات الدكتور طه حسين حول الشعر الجاهلي وقضية انتحاله ، وكان يستنكر ما يقوله في قرارة نفسه ، إلى أن جاء الوقت الذي جعله يفصح عن رأيه في إنكار ما زعمه طه حسين حول الشعر الجاهلي ، ويتضح هذا الموقف بجلاء فيما ذكره عن هذه القضية في كتابه « المتنبي » ، حين قال : « واتفق أن جاء حديثه هذا في يوم من أيامي العصيبة ؛ فالدكتور طه أستاذي ، وله علي حق الهيبة ، هذا أدبنا .

وللدكتور طه عليَّ يد لا أنساها ؛ كان مدير الجامعة يومئذ : « أحمد لطفي السيد » يرى أن لا حق لحامل « بكالوريا » القسم العلمي في الالتحاق بالكليات الأدبية ، ملتزمًا في ذلك بظاهر الألفاظ !! فاستطاع الدكتور طه أن يحطم هذا العائق بشهادته لي ، وبإصراره أيضًا ، فدخلت يومئذ بفضله كلية الآداب ، قسم اللغة العربية .

وحفظ الجميل أدب لا ينبغي التهاون فيه .

وأيضًا ؛ فقد كنت في السابعة عشرة من عمري ، والدكتور طه في السابعة والثلاثين ؛ فهو بمنزلة أخي الأكبر ، وتوقير السن أدب ارتضعناه مع لبان الطفولة . كانت هذه الآداب تفعل بي فعل هوى المتنبي بالمتنبي حيث يقول :

رمى واتقى رمي ، ومن دون ما اتقى

هوى كاسرٌ كفي ، وقوسي وأسهمي

فلذلك ظللت أتجرع الغيظ بحثًا ، وأنا أصغي إلى الدكتور طه في محاضراته ، ولكني لا أستطيع أن أتكلم ، لا أستطيع أن أناظره كفاحًا ، وجهًا لوجه ، وكل ما أقوله فإنما أقوله في غيبته لا في مشهده .

تتباعت المحاضرات ، وكل يوم يزداد وضوح هذا السطو العريان على مقالة مرجليوث ، ويزداد في نفسي وضوح الفرق بين طريقتي في

الإحساس بالشعر الجاهلي ، وبين هذه الطريقة التي يسلكها الدكتور طه في تزييف هذا الشعر .

وكان هذا السطو خاصة مما يهز قواعد الآداب التي نشأت عليها هزًّا عنيفًا .

بدأت الهيبة مع الأيام تسقط شيئًا فشيئًا ، وكدت ألقي حفظ الجميل ورائي غير مبال ، ولم يبق لتوقير السن عندي معنى ، فجاء حديث الخضيري من حيث لا يريد أو يتوقع ؛ لينسف في نفسي كل ما التزمت به من هذه الآداب .

وعجب الخضيري يومئذ لأني استمعت لحديثه ، ولم ألقه لا بالبشاشة ولا بالحفاوة التي يتوقعها ، وبقيت ساكنًا ، وانصرفت معه إلى حديث غيره .

وفي اليوم التالي جاءت اللحظة الفاصلة في حياتي ؛ فبعد المحاضرة طلبت من الدكتور طه أن يأذن لي في الحديث ، فأذن لي مبتهجًا ، أو هكذا ظننت ، وبدأت حديثي عن هذا الأسلوب الذي سماه « منهجًا » ، وعن تطبيقه لهذا « المنهج » في محاضراته ، وعن هذا « الشك » الذي اصطنعه ، ما هو ؟ وكيف هو ؟ وبدأت أدلل على أن الذي يقوله عن « المنهج » وعن « الشك » غامض ، وأنه مخالف لما يقوله ديكارت ،

وأن تطبيق منهجه هذا قائم على التسليم تسليمًا لم يداخله الشك بروايات في الكتب هي في ذاتها محفوفة بالشك[١] !

وفوجئ طلبة قسم اللغة العربية ، وفوجئ الخضيري خاصة .

ولما كدت أفرغ من كلامي ؛ انتهرني الدكتور طه وأسكتني ، وقام وقمنا لنخرج ، وانصرف عني كل زملائي الذين استنكروا غِضَابًا ما واجهت به الدكتور طه ، ولم يبق معي إلا محمود محمد الخضيري - من قسم الفلسفة كما قلت - .

وبعد قليل أرسل الدكتور طه يناديني ، فدخلت عليه ، وجعل يعاتبني ، يقسو حينًا ، ويرفق أحيانًا ، وأنا صامت لا أستطيع أن أرد ،. لم أستطع أن أكاشفه بأن محاضرته التي نسمعها كلها مسلوخة من مقالة مرجليوث ؛ لأنها مكاشفة جارحة من صغير إلى كبير .

ولكني كنت على يقين من أنه يعلم أني أعلم ، من خلال ما أسمع من حديثه ، ومن صوته ، ومن كلماته ، ومن حركاته أيضًا !! وكتمان هذه الحقيقية في نفسي كان يزيدني عجزًا عن الرد ، وعن الاعتذار إليه أيضًا ، وهو ما كان يرمي إليه ، ولم أزل صامتًا مطرقًا ، حتى وجدت في نفسي كأني أبكي من ذل العجز ، فقمت فجأة ، وخرجت غير مودع

---

(١) انظر ما كتبته سنة ١٩٦٥ في كتابي « أباطيل وأسمار » عن « المنهج » ، وعن الصراع بيني وبين الدكتور طه ، ص ٢٣-٢٥ .

ولا مبال بشيء ، وقضي الأمر ! ويبس الثرى بيني وبين الدكتور طه إلى غير رجعة !

ومن يومئذ لم أكفَّ عن مناقشة الدكتور في المحاضرات أحيانًا بغير هيبة ، ولم يكفَّ هو عن استدعائي بعد المحاضرات ، فيأخذني يمينًا وشمالاً في المحاورة ، وأنا ملتزم في كل ذلك بالإعراض عن ذكر سطوه على مقالة مرجليوث ، صارفًا همي كله إلى موضوع « المنهج » و « الشك » ، وإلى ضرورة قراءة الشعر الجاهلي والأموي والعباسي قراءة متذوقة مستوعبة ؛ ليستبين الفرق بين الشعر الجاهلي والإسلامي ، قبل الحديث عن صحة نسبة هذا الشعر إلى الجاهلية ، أو التماس الشُّبه لتقرير أنه باطل النسبة ، وأنه موضوع في الإسلام ، من خلال روايات في الكتب هي في ذاتها محتاجة إلى النظر والتفسير .

ولكني من يومئذ أيضًا لم أكف عن إذاعة هذه الحقيقة التي أكتمها في حديثي مع الدكتور طه ، وهي أنه سطا سطوًا كريهًا على مقالة المستشرق الأعجمي ، فكان - بلا شك - يبلغه مع ما أذيعه بين زملائي .

وكثر كلامي عن الدكتور طه نفسه ، وعن القدر الذي يعرفه من الشعر الجاهلي ، وعن أسلوبه الدَّالِّ على ما أقول ، واشتد الأمر ، حتى تدخل في ذلك وفي مناقشتي بعض الأساتذة ، كالأستاذ نلينو ،

والأستاذ جويدي من المستشرقين ، وكنت أصارحهما بالسطو ، وكانا يعرفان ، ولكنهما يداوران .

وطال الصراع غير المتكافئ بيني وبين الدكتور طه زمانًا ، إلى أن جاء اليوم الذي عزمت فيه على أن أفارق مصر كلها ، لا الجامعة وحدها ، غير مبال بإتمام دراستي الجامعية ، طالبًا للعزلة ؛ حتى أستبين لنفسي وجه الحق في « قضية الشعر الجاهلي » ، بعد أن صارت عندي قضية متشعبة كل التشعب[1] .

هذا مطلع قصتي مع « قضية الشعر الجاهلي » ، ومع الدكتور طه خاصة على وجه الإيجاز .

عزمت يومئذ على مفارقة مصر ، ثم الجامعة ومعي ذل العجز عن مواجهة الدكتور طه برأيي في تفاصيل هذا « السطو » جهارًا نهارًا بلا قناع ، وبالذي أجده في نفسي من البشاعة ؛ بشاعة ادعاء المرء امتلاك ما يسطو عليه ، كأنه مما اهتدى إليه ، واستحق نسبته إلى نفسه بعد طول معاناة في البحث ، وشقاء في الدرس ! ومع أن كل من كتب بعد ذلك في نقد كتاب « في الشعر الجاهلي » قد واجه الدكتور بهذا « السطو » مواجهة مكشوفة علانية ، إلا أن عجزي أنا عن مواجهته بلساني غير

---

(١) انظر كتابي « مداخل إعجاز القرآن » ، وكتابي « قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي » ، ففيهما بيان عن هذا التشعب .

متهيب ولا متأدب ، كان يهدم نفسي هدًّا ، وينسف أدبي نسفًا ، ويترك في ضميري غُصَّة تأبى أن تزول ، كان شيئًا بشعًا لا أطيقه ، ثم زاد الأمر عندي بشاعة فظعت بها ، حين نشر كتابه : « في الأدب الجاهلي » سنة ١٩٢٧م ، وهو نفس كتاب : « في الشعر الجاهلي » .

وفي مقام آخر انتقد العلامة محمود شاكر كتاب طه حسين : « الفتنة الكبرى » في ثلاث مقالات ، ذكر فيها أن طه حسين خالف سنة أهل العلم والعلماء في نفي الأخبار وتكذيبها بلا حجة من طريقة أهل العلم والتمحيص بلا دليل يسوقه .

وقد تحدث طويلاً في نقد الكتاب ، وكشف عما يطوى عليه من مغالطات وأخطاء في ثلاث مقالات ضمن كتاب « جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر »[1] .

❋ ❋ ❋

(١) الجزء الأول ٥١٥-٥٤٠ .

محمود شاكر وجائزة الملك فيصل العالمية

أذكر ما شهدته وما أعرفه ودلالته .

جائزة الملك فيصل العالمية أنشأتها مؤسسة الملك فيصل الخيرية سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، وتمنح هذه الجائزة للعلماء والأدباء والمثقفين ممن لهم أعمال وجهود علمية وعملية مميزة في خمسة مجالات ، هي : خدمة الإسلام ، والدراسات الإسلامية ، واللغة العربية والأدب ، والطب ، والعلوم .

وقد منحت الجائزة لعدد من أرباب العلم والأدب والفكر في مجالات الجائزة الخمسة .

وفي عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م في مجال الدراسات التي تناولت الأدب العربي في القرن الرابع الهجري تم اختيار العلامة الأديب محمود محمد شاكر لنيل هذه الجائزة ، وصدر قرار لجنة الجائزة لمنحه الجائزة على كتابه « المتنبي » ، الذي صدر عن دار المقتطف عام ١٩٣٦م ، وذلك لما في الكتاب من العمق في الدراسة ، والجهد والاستقصاء ، والقدرة على الاستنتاج ، والدقة في التذوق ، والربط المحكم بين الشعر وأحداث الحياة ، والكشف عن ذلك في تطور أساليب المتنبي ، إلى جانب الآفاق العلمية الجادة التي ارتادها ، وما كان من فضله على

الدراسات الأدبية والفكرية ، وعلى الحياة الثقافية والتراث الإسلامي ، ومواقفه العامة ، وتحقيقاته ، ومؤلفاته الأخرى التي ترتفع به إلى مستوى حالة من التقدير .

وعندما علم بقرار لجنة الجائزة تأثر كثيرًا ؛ لأن قرار الجائزة صرف النظر عن طبعة كتاب « المتنبي » التي يعتز بها ، والتي يرى أنها هي التي تمثل كتابه عن المتنبي ؛ لما انطوى عليها من دراسة ضافية ، تتحدث عن فساد الحياة الأدبية ، وتتناول بالنقد الدكتور طه حسين حول قضية الشعر الجاهلي ، وكأنه أحس بشيء من المحاباة من أعضاء لجنة الجائزة لطه حسين ، واتجاههم إلى صرف النظر عن مقدمة الطبعة الجديدة لكتاب المتنبي التي صدرت عام ١٩٧٦م .

وكان لهذا القرار أثر بالغ على العلامة محمود شاكر ، جعله يحتار في أمره ، وخطر بباله أن يرفض الجائزة ولا يذهب إلى الحفل لاستلامها .

وكنت في وقتها أزوره يوميًا في فندق الخزامى منذ الصباح الباكر وفي المساء ، وقبل حفل الجائزة بيومين أفصح لي عن هذا التوجه ، والموقف نحو الجائزة .

وقد بدت على وجهه ملامح التأثر ، غير أني حاولت أن أهدئ من روعه ، مبينًا له الموقف المحرج لجائزة عالمية تحمل اسم الملك فيصل رحمه الله لو أقدم على ما دار في خلده .

واستعنت بمعالي الدكتور عبد الله التركي ، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ذلك الوقت . وبعد الإلحاح عليه ، قال : اتركني أفكر .

وفي صباح اليوم التالي ، وقبل موعد الجائزة بيوم حضرت عنده كعادتي ، فوجدت أساريره متهللة ، وقال لي : سأحضر الحفل ، وقد أعددت كلمة تسمعها في الحفل ، شرحت فيها موقفي من قرار لجنة الجائزة بما يبرر قبولي لها ، وطلبت منه أن يطلعني عليها ، ولكنه رفض ، وقال : حتسمعها في الحفل .

حيث ألقى كلمته في حضرة خادم الحرمين الملك فهد ، وجمع من أصحاب السمو الملكي الأمراء ، ورئيس مجلس الجائزة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ، وأصحاب المعالي الوزراء ، وجمع من رجال العلم والأدب من المملكة العربية السعودية ، وبعض البلاد العربية ، المدعوين لحضور حفل الجائزة ، وكان وقتها أمين عام الجائزة معالي الدكتور أحمد الضبيب .

وفي كلمته أشار إلى عجزه عن الحديث في مثل هذا الموقف المهيب في حضرة خادم الحرمين الملك فهد ومن معه من الأمراء ؛ لأنه لم يعتد على الكلام أمام جمهرة من الحاضرين ، وذلك لأنه صاحب قلم وفكر وعلم ، اعتاد الجلوس على مكتبه لتدوين علمه ، يقول : « لست أدري

كيف أُحَمِّل هذا اللسان العاجز عبئًا لم يتحمل مثله قط ؛ إذ أقف أول مرة في حياتي بين مثل هذا الحفل المحفوف بهيبة الملك ، وجلال العلم ، وأبهة الفضل ، ثم أطالبه أن يبين عما يجيش في صدري من معان » .

وبعد هذه المقدمة أفصح عن مكنون نفسه تجاه قرار الجائزة ، الذي تضمن منحه إياها على النسخة الأولى من كتاب المتنبي ، الصادر عام ١٩٣٦م ، وضرب صفحًا عن هذه النسخة ، مؤكدًا أن كتابه عن المتنبي الذي يستحق الجائزة هو المتمثل في الطبعة التي صدرت عام ١٩٧٦م ، متضمنة الدراسة الضافية عن فساد الحياة الأدبية ، ونقد الدكتور طه حسين في آرائه عن الشعر الجاهلي ، وقضية الانتحال ، كما يتضح من قوله : « تلقيت من الأمانة العامة للجائزة تهنئة بحيازتي إياها هذا العام عن كتابي « المتنبي » الذي نشرته سنة ١٩٧٦م ، ولا كتاب لي عن المتنبي سواه ، فلما كان بعد حين ، وقرأت نص قرار الأمانة العامة ؛ أذهلني العجب ؛ فقد تبين لي كل التبين أن الجائزة ممنوحة لكاتب آخر غيري ، كان من تصاريف الأقدار أن اسمه يواطئ اسمي ، واسم كتابه يواطئ اسم كتابي .

وقد نشر هو كتابه هذا سنة ١٩٣٦م ، أي منذ ثمان وأربعين سنة ، ومبلغ علمي أن هذا الكاتب القديم قد غاب هو وكتابه معًا منذ سنة ١٩٣٧م غيبة منقطعة مستمرة إلى يوم الناس هذا .

فإذا كان قرار الأمانة العامة يشهد لسميي الغائب بأنه مستحق الجائزة ؛ فإن تهنئتها لي بالجائزة ، ودعوتها إياي إلى الرياض ، ووقوفي الآن بين أيديكم تشهد لي جميعًا أكبر شهادة بأني مستحق لها .

ولكن أخوف ما أخافه أن يؤوب الكاتب القديم من غيبته ، ويخرج على الأمانة العامة من سردابه ، متأبطًا كتابه ، ويطالبها بحقه في الجائزة ، وهذا أمر مخوف على كل حال ، أما أنا فهيهات أن يطالبني أحد بشيء استحققته بما كان من تهنئتي ودعوتي لتسلم الجائزة هذا العام علانية » .

ويلاحظ في كلامه هذا ما يأتي :

١ - أسلوبه الأدبي البليغ ، وعباراته وألفاظه الجزلة ، كما هو واضح في كتاباته ومقالاته .

٢ - الميل إلى شيء من أسلوب الدعابة والأسلوب الساخر من قرار الجائزة على نحو مبطن ليس فيه تجريح .

٣ - اعتزازه بالطبعة الثانية من كتاب المتنبي الصادرة عام ١٩٧٦م ، وبما تضمنه من آراء نقدية لواقع الحياة الأدبية ، ولما يدور في ساحتها من جحود للشعر الجاهلي ، وبخاصة موقف الدكتور طه حسين .

ولم يكد ينتهي من كلمته حتى اشرأبت الأعناق بالدهشة والعجب ، ودار همس بين بعض الحاضرين ، وتساءلوا ؛ هل فعلاً أعطيت الجائزة لغير مستحقها ؟

وقد دفع ذلك معالي الدكتور أحمد الضبيب أمين عام الجائزة إلى أن يعتلي المنبر لإيضاح ما جاء في كلمة العلامة محمود شاكر ، وأنه لم يقصد وقوع الخطأ في اختياره للجائزة ، وإنما هو شرح لموقفه الذي يراه تجاه منحه الجائزة عن الكتاب الذي صدر عام ١٩٣٦م عن المتنبي ، وأدار ذلك بشيء من روح الدعابة .

وكان العلامة محمود شاكر بعد إنهاء كلمته جلس في الصف الثاني حيث كنت أجلس ، وحينما سمع كلام الدكتور الضبيب كاد أن يقف للرد على كلام الضبيب ، وأنه كان يقصد ما يقول ، غير أني بشيء من اللطف ثنيته عن قصده ، وذكرت له أن المقام غير مناسب للرد في حضرة الملك ، فوافق ، على أن يفصح له عن موقفه فيما بعد إن أراد .

على أن كلمة الدكتور أحمد الضبيب خففت مما كان يدور في خلد بعض الحاضرين حول الخطأ في منح الجائزة .

وأود أن أشير هنا إلى ما ذكرته الأستاذة عايدة الشريف في كتابها عن محمود شاكر ، حيث ذكرت أن الصحف السعودية نشرت

حوارات حول كلمة شاكر ؛ حيث انتقدها الدكتور أحمد كمال زكي ، زاعمًا أنه لا داعي لها ما دام محمود شاكر قبل الجائزة ، ورد عليه الدكتور أحمد السالوس مؤكدًا أن الكلمة متوجبة لعالم جليل ، قفزت براءة الجائزة فوق لب حياته(١) .



(١) محمود شاكر قصة قلم ، لعايدة الشريف ، ص ٢٢٠ .

معه في العمرة وزيارة المدينة المنورة

يغمر العلامة محمود شاكر شوق كبير ورغبة قوية لزيارة الحرمين الشريفين وأداء العمرة ، ولهما في نفسه مكانة تقر في شغاف قلبه ، وتسيطر على تفكيره زيارتهما كلما سنحت له الفرصة التي يترقبها بكل شوق .

وقبل ثلاثين عامًا صحبته في السفر إلى مكة لأداء العمرة ، ورأيت فيه ذلك الرجل الذي يملأ قلبه الإيمان والخشية من الله ، والإنابة إلى الرحمن بقلب خاشع ، وعين تدمع من خشية الله .

ومن عظم تقديره لمكانة الحرم والكعبة المشرفة أنه كان لا يدخل بحذائه ، وإنما يدعه عند الباب ، وعند الانتهاء من مناسك العمرة ذهبنا إلى حيث وضع حذاءه فلم نجده ؛ إما أنه سرق أو أخذ بالخطأ ، ولم يأبه بذلك ، ومشى حافيًا إلى أحد الحوانيت التي تبيع الأحذية بجوار الحرم ، وابتاع له حذاء .

وإذا جاء إلى مسجد رسول الله ﷺ تتهلل أساريره ، وينشرح صدره ، وإذا وقف أمام قبر الرسول ﷺ وقف بكل أدب واحترام ، وراح يردد عبارات السلام ، ويكثر من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

❊ ❊ ❊

كتاب الحماسة لأبي تمام معه في سفره

كانت له عناية واضحة بكتاب الحماسة لأبي تمام ؛ فقد رأيته أكثر من مرة يصطحبه معه في سفره ، وقد سمعته يثني على صنيع أبي تمام في اختياراته ، وظهر ذلك بشكل واضح يوم أن كنت أشتغل بتحقيق الحماسة في رسالتي لنيل درجة الدكتوراه من الأزهر ؛ فقد وجدت منه التشجيع ، وأفدت من علمه كثيرًا فيما يعرض لي من مشكلات في التحقيق .

وفي رسالة منه أوصاني بالعناية والاهتمام بطباعتها ، وتصحيح ما يطبع بكل عناية واهتمام .

ولا ريب أن منطلقه في العناية بالحماسة إنما هو لما لها من مكانة كبيرة لدى علماء الأدب واللغة لا تدانيها أي مختارات أخرى .

وقد أوضحت ذلك في كتابي : « حماسة أبي تمام وشروحها ، دراسة وتحليل » .

❊ ❊ ❊

معي في مناقشتي لرسالة الدكتوراه بجامعة الأزهر

في عام (١٣٩٧هـ) أنهيت عملي في رسالة الدكتوراه التي كانت بعنوان : « تحقيق حماسة أبي تمام ودراسة لشروحها » بإشراف أستاذي الفاضل محمد السعدي فرهود رحمه الله ، وتمت المناقشة عام ١٣٩٧هـ ، واشترك فيها كل من الأستاذ الدكتور حسن جاد ، الأستاذ بجامعة الأزهر ، والأستاذ المحقق محمد عبد السلام هارون ، من كلية دار العلوم .

وقبل اليوم المحدد للمناقشة توجهت إلى شيخي العلامة محمود محمد شاكر ، ورجوته أن يشرفني بحضور المناقشة ، فقبل الدعوة مشكورًا ، وسررت كثيرًا بهذه البادرة ، التي تنم عن تشجيعه لكل من يأنس فيه الرغبة في العلم ، وإتقان عمله العلمي .

وكان يرحمه الله قد أثنى على الجهد الذي بذلته في الرسالة حينما حملت إليه نسخة منها واطلع عليها ، وسعدت أيما سعادة بحضوره ، كما سعد به المناقشان وعدد من الأساتذة والطلاب الذين حضروا المناقشة .

وقد حضر من الشخصيات العلمية الأديب والشاعر والمحقق الأستاذ حسن كامل الصيرفي ، والأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ، والدكتور محمود الطناحي ، وغيرهم .

مع قاصديه من طلاب العلم والمعرفة

بيت العلامة محمود شاكر بيت علم ومعرفة ، ومصدر إشعاع لهما ، يقصده طلاب العلم والدراسات العليا ، يهرعون إليه للإفادة من علمه .

والتقيت في داره العامرة العديد من الطلاب والأساتذة ، يأتون إليه ويعرضون عليه ما يصادفهم من مشكلات علمية فيما هم بصدده من الدراسات العليا ، أو في التأليف ، وكان يتلقى كل من يأنس فيه الرغبة في الإفادة ، ويحرص الحرص كله على مساعدتهم وإرشادهم إلى ما يفيدهم من المصادر والمعلومات .

وما أكثر من أفاد من علمه من طلاب العلم وطلاب الدراسات العليا ، يأتون إليه كي يوجههم ويرشدهم إلى ما ينير الدرب والمسيرة نحو العلم .

ومن هؤلاء : المحقق والأديب والباحث الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ، فقد لازم العلامة محمود شاكر في داره إبان تحضيره للدكتوراه عن مصادر الشعر الجاهلي .

وقد أفصح في المقدمة عن شكره وتقديره لأستاذه العلامة محمود على توجيهاته ، وما أفاد من علمه فيما يتعلق بدراسته للشعر الجاهلي .

ويعد كتابه « مصادر الشعر الجاهلي » عمدة في بابه ، ومصدرًا أساسيًا من مصادر الدراسات العلمية عن الشعر الجاهلي .

وهو لا يبخل على طالب العلم والمعرفة في تزويده بما يحتاجه من نفحات علمه وخبرته .

وكثيرًا ما كنت أشهد بعض الطلاب ، بل بعض الأساتذة والمثقفين يحضرون مجلسه بعد المغرب في بيته العامر في السطح الصغير ، أو البلكونة الكبيرة ، أو يجلسون معه في صالة شقته ، ويفيض عليهم من علمه وتوجيهاته لكل من يحس منه رغبة في العلم والمعرفة .

وكنت واحدًا ممن أفاد من مجالسه هذه ؛ حيث كنت أتردد عليه يوم أن كنت أعمل في تحقيق كتاب الحماسة لمرحلة الدكتوراه ، أفدت من مكتبته العامرة كما أفدت من علمه .

وقد كنت أُحضر معي في زيارته بعض المشكلات التي تعترض مسيرة تحقيقي للحماسة في الفترة الصباحية التي لا يقصده فيها زوار في الغالب ، وأجد عنده المعلومة المفيدة ، والجواب الشافي .

وأذكر أن بعض المشكلات قد يستغرق بحثها أكثر من ساعة ، ولا سيما في المرحلة الأولى من تسجيل رسالة الدكتوراه ، حيث كنت أنوي التقدم لتسجيل تحقيق ودراسة لشرح للحماسة عثرت عليه في دار الكتب المصرية ، وهو منسوب لأبي العلاء المعري ، غير أنه بعد قراءته

أدركت أن الشرح ليس لأبي العلاء ، وهرعت إلى شيخي العلامة محمود شاكر ، وعرضت عليه الأمر ، وأحضرت المخطوطة ، وأخذ يتأملها ، وبقيت عنده يومًا واحدًا ، وفي اليوم التالي ذهبت إليه فوجدت النتيجة حاضرة عنده ؛ حيث أيَّد ما تبين لي من أن هذا الشرح ليس لأبي العلاء المعري ، مع أن لأبي العلاء شرحًا للحماسة مذكورًا في المصادر .

وفي أثناء ملازمتي له إبان دراستي في مرحلة الدكتوراه ؛ أفدت من علمه ومن إرشاداته المفيدة في معرفة ما تحويه بطون الكتب .

وقد شهدت موقفًا ذا دلالة واضحة على وعيه التام في قراءة الكتب ؛ حيث حضر لديه تلميذه البار والمحقق المعروف الدكتور محمود الطناحي ، وكان يحضر لمرحلة الدكتوراه في تحقيق كتاب أمالي ابن الشجري ، وفي ثنايا التحقيق وقف على نقل لابن الشجري عن كتاب سيبويه ، غير أنه بعد البحث عن هذا النقل في الكتاب لم يقف عليه وقتها ، فحضر عند العلامة محمود شاكر ، وذكر له ما كان من أمره مع كتاب ابن الشجري والكتاب لسيبويه ، فما كان من العلامة محمود شاكر إلا أن أحضر أمالي ابن شجري ، وطلب من الطناحي ذكر الموضع الذي نقل فيه ابن الشجري عن سيبويه ، ثم بعد ذلك نهض العلامة محمود شاكر وأحضر الجزء الثاني من كتاب سيبويه ، وفتح على الصفحة التي يوجد فيها

النقل عن سيبويه ، ودفع بالكتاب إلى الطناحي ، وقال له : اقرأ . فإذا به يقع على النقل المطلوب ، فتهللت أسارير الطناحي بِشرًا وسرورًا ، ودعا للشيخ محمود .

غير أن الشيخ بادره مداعبًا وموجهًا له بقوله : « لا تستعجل في قراءة الكتب ، واعرفوا كيف تقرؤوا الكتب ، ويتم البحث فيها عن المراد » .

وهو ذو قلب رؤوم ، يعطف على طلاب العلم ، ويحرص على مساعدتهم ، ويشيد بمن يستحق الإشادة منهم ، ويقدر من يسدي إليه معروفًا منهم .

ويتجلى ذلك في تأبينه للأستاذ رجب إبراهيم الشحات ، الذي انتقل إلى رحمة الله ، فتأثر كثيرًا لفراقه ، وأفصح عن حزنه عليه في مقدمة السطر الأول من تحقيقه لكتاب تهذيب الآثار ص ١٤ ، ١٥ حين قال : جاءني نعي الأستاذ رجب إبراهيم الشحات : كان رحمه الله شابًا نبيل النفس ، عفيف اللسان ، عزيز الجانب ، خفيض الصوت ، لين العريكة ، عالي الهمة ، رضي الخلق ، محبًا للعلم وأهله ، قليل التلفت لما لا يعنيه ، خَبِرته سنوات فلم أقف منه على زلة ، وكان عندي كبعض أهل بيتي ، أحبه لورعه وخشيته لربه ، وخشوعه في صلاته ، ثم لما أجده فيه من الصبر على طلب العلم ، وجِدِّه في التحري للصواب ، ومدافعته عن لغته ودينه » .

ومن يتأمل هذا التأبين ؛ يدرك مدى تقديره لأهل العلم وطلابه .

وفي موقف آخر نجده يعطف على طالب أزهري يريد اقتناء نسخة من كتاب طبقات فحول الشعراء من مكتبة وهبة ، فطلب منه خمسة وثلاثين جنيهًا ثمنًا لها ، ولم يكن معه المبلغ المطلوب ، وكان مع الطالب مبلغ محدود يوصله إلى مقر إقامته ، فدفع له ما يكمل المبلغ المطلوب ، وبلغ ذلك الشيخ محمود شاكر ، فذهب إلى المكتبة ، وأنحى باللوم الشديد على المسؤول عن المكتبة ، وقال له : هذا الذي جاءك طالب علم فقير ، وكان عليك أن تساعده ، ولولا حرصه على العلم ما دفع لك كل ما في جيبه .

وطلب من المكتبة أنه إذا جاء طالب علم يريد الكتاب يعطيه إياه ، ويقيد الحساب عليه من النسبة التي له .

وكان الشيخ محمود يحرص على أن يوصي طلابه بالقراءة الجادة لكتب التراث في اللغة والأدب .

وأكد ذلك عالم اللغة والأدب الدكتور محمود الطناحي حين قال : « لقد كان من وصايا شيخنا محمود شاكر رحمه الله أن نقرأ الكتب كاملة ، وألا نتعامل معها تعامل المراجع والمصادر ؛ نأخذ منها حاجتنا كالطائر العجل ، يحسو من الماء حسوة ، ثم ينطلق في فضاء الله ، وأن نقرأ كتب

الأدب التي تعنى باللغة والنحو ، مثل : الكامل للمبرد ، وأمالي أبي علي القالي ، وشرح الحماسة للمرزوقي »[١] .

❋ ❋ ❋

(١) مقالات الطناحي ، ص ٥٢٣ .

قيمة الكلمة عنده

للكلمة عنده قيمة عالية ، عشق الكلمة وأصغى بحواسه إلى أن ينصت للكلام النافع المفيد منذ نعومة أظفاره ، وهو يسجل هذه القيمة عنده في قوله ، وأثر البيئة المحيطة به : « فمنذ بدأت أعقل بعض هذه الدنيا ، وأرى سوادها وبياضها بعين باصرة ، شغلتني الكلمة ، وتعلق قلبي بها ؛ لأني أدركت أول ما أدركت أن الكلمة هي وحدها التي تنقل إلي الأشياء التي أراها بعيني ، وتنقل إلي أيضًا بعض علائقها التي تربط بينها ، والتي لا أطيق أن أراها بعيني .

وكان هذا إداركًا مبهمًا لا تستطيع طفولتي يومئذ أن تستبينه كل الاستبانة ، ولكني لا أزال أذكر لمحًا كالوميض يلوح ويختفي ، من عهد أول طفولتي ؛ إذ كنت أسمع من كان في بيتنا حين يتحدثون بطلاقة وذلاقة لا يطيق مثلها لسان غض ، قريب عهد بصمت الطفولة الطويلة ، وبعجزها المتلف إلى الإبانة ، وبنزاعها الدائب إلى محاكاة الكبار »(١) .

وإذا كان هذا الكلام إبان مرحلة الصبا ؛ فقد انعكس ما قاله على مراحل حياته ، حين أمسك بالقلم ، وسطر به روائع فكره وعلمه ، تنطوي نفسه على شيء من الخوف والهيبة من الكلمة ، يقول : « إني

---

(١) أباطيل وأسمار ، ص ٥٥٥-٥٥٦ .

امرؤ أحب الكلمة المعبرة عن حقيقة المعنى القائم في نفسي ، ولكني مع حبي لها ؛ أخافها وأتهيبها ، ويأخذني عندها من الذعر ما يأخذ المحمول في يد جبار يريد أن يلقي به في نار متضرمة »[١] .

وفي حديث عن فترة من عمره أشار إلى تعلقه بالكلمة ، وما لها من وقع في نفسه ، وما لها من أثر على رؤيته ، يقول : « فمنذ بدأت أعقل بعض هذه الدنيا ، وأرى سوادها وبياضها بعين باصرة ، شغلتني الكلمة ، وتعلق قلبي بها ؛ لأني أدركت أول ما أدركت أن الكلمة هي وحدها التي تنقل إلي الأشياء التي أراها بعيني ، وتنقل إلي أيضًا بعض علائقها التي تربط بينها ، والتي لا أطيق أن أراها بعيني »[٢] .

وقد تمثل بكل وضوح وإيمان أمانة حمل القلم ، يقول : « لم أحمل القلم منذ حملته إلا وأنا مؤمن أوثق إيمان بأني أحمل أمانة ؛ إما أن أؤديها على وجهها ، وإما أن أحطم هذا القلم تحت قدمي بلا فزع عليه ولا على نفسي »[٣] .

ويقول : « حملت القلم وأنا على بينة من طريقي ؛ طريق لن يخدعني عنه أحد بثناء أو ذم »[٤] .

---

(١) جمهرة المقالات (٢/ ١٠٤٥) .

(٢) أباطيل وأسمار ، ص ٥٥٥ .

(٣) السابق ، ص ١٧٦ .

(٤) السابق ، ص ١٧٧ .

وقد نقل كلام توتيني في الإشادة باللغة العربية ، وعقب عليه بقوله :

« فإذا صح ذلك - وهو صحيح - فاللغة العربية التي ذكرها توتيني وبين أنها الرباط الوثيق الذي يمنع العالم العربي من التفكيك ، إذا أراد مريد أن يدخلها في معركة مع اللغة العامية التي تؤدي إلى التفكك »[1] .

❊ ❊ ❊

(١) أباطيل وأسمار ، ص ٢٤٢ .

تواضعه واعتذاره ممن يحس أنه ربما تأثر من كلامه

عرفت أنه رجل جم التواضع ، يحمل بين جنبيه قلبًا حانيًا ، يفيض حبًّا وصفاء ونقاء ، لا يعرف الحقد أو الصلف ، وإن بدا لبعضهم أنه ذو حدة ، وتثور ثائرته لأدنى سبب ، فإن هذا التصور عنه يحتاج إلى تصحيح ؛ لأنه حين يظهر منه في بعض الأحيان شيء من ذلك ، نتيجة لما أخذ نفسه به من جد وصرامة وعدم مجاملة ومحاباة في الحق ، وما يبدو من انفعال لا يتجاوز اللسان والانفعال الوقتي .

ونحس به وونتقراه عند شيخنا حينما يجد أمامه ما يثير الانفعال والغضب ، وحينما يسمع شيئًا من السخافات التي تلوكها ألسن بعض أدعياء العلم ممن ينالون من تراث أمتنا وثقافتها التليدة ، أو يتشدقون بما يستولي على عقولهم من الثقافات الوافدة التي تستهدف تشويه معالم أصالتنا ، وتنال من لغة القرآن والتقليل من شأننا .

ونحس بذلك منه حينما يجد أمامه من يغالط في الحقائق ، ويحاول أن يلوي عنقها ؛ إما مكابرة ، وإما جهلاً .

ومن يعرفه عن كثب ؛ يجد أنه سرعان ما يراجع نفسه ويلومها على ما قد يبدر منه ، أو ما يمليه عليه الموقف من انفعال ، وتراه يسعى حثيثًا للاعتذار .

وثمَّ مواقف كثيرة أدركت شيئًا منها تشهد لهذا الواقع ، منها : ما أذكره في أثناء إقامته في فندق الخزامى بالرياض حينما قدم للحصول على جائزة الملك فيصل التي منحت له على كتابه : « المتنبي » إذ كنت ملازمًا له ، وذات يوم حضر إلى مجلسه في الفندق أحد أعلام الأدب والثقافة في بلادنا ، ومن محبي الأستاذ محمود ، وهو الأستاذ : عبد العزيز الرفاعي ، ومعه صديق له وهو الأستاذ : عبد الرحمن الباني ، ومع هذا الصديق كتاب من تأليفه ، عنوانه : « الفلم القرآني » ، وقدم نسخة منه للعلامة محمود شاكر ، وما إن قرأ عنوان الكتاب حتى بدا عليه الغضب والاستنكار لهذا العنوان ، ورفض أخذ الكتاب ، قائلاً : ليس هناك شيء اسمه الفلم القرآني ، وينبغي أن ننزه كتاب الله عن مثل هذه العناوين التي لا تليق بكتاب الله ، فصمت الاثنان ، وبعد هنيهة استأذنا وخرجا .

وقد لاحظت على الأستاذ عبد العزيز الرفاعي شيئًا من الإحراج والتأثر .

وبعد أن خلا المجلس بادرني الأستاذ محمود بقوله : يا عبد الله ؛ أرجو أن لا أكون قد أخطأت على الأستاذ الرفاعي وضيفه .

فقلت : كأني أحسست بشيء من التأثر عليه .

فلام الأستاذ نفسه ، وأصر على أن يذهب إليه في منزله ليعتذر له لمجرد ما توقعه من تأثره .

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي هاتفني في منزلي ، وطلب مني الحضور فورًا لنذهب إلى الأستاذ الرفاعي سويًا .

فعلاً ذهبنا ، وفاجأناه بالحضور إليه في الصباح الباكر ، وسر بذلك أيما سرور ، وبادره أستاذنا بقوله : يا أخانا ؛ أرجو ألا أكون قد أخطأت في حقك وحق ضيفك فيما دار بيننا من حديث .

فبادره الأستاذ الرفاعي بكل لطف وتقدير قائلاً : ليس في نفسي شيء أبدًا ، وأنت أستاذنا ، ولن يحدث منك إلا ما يرضينا ، وشكر له هذه البادرة .

وعندها وجد أستاذنا شيئًا من الراحة حينما أحس برضى صاحبه منه . فهل إنسان هذه حاله يصح أن يوصف بالصلف والقسوة ؟!

على أن هذا الموقف من شيخنا فيه دلالة واضحة على كرم خلقه ، وتقديره لمحبيه ، وأنه يحرص على الاعتذار ، وإرضاء من يتوقع أنه تأثر منه .

وموقفه هذا لا يحتاج إلى تعليق ؛ فهو ناطق بما يضمره من اعتزاز ، ودفاع عن القرآن الكريم ولغته ، وعن قيم الإسلام .

وثم موقف آخر حدث معي في أول زيارة لي لداره العامرة ، وأنا طالب في مرحلة الماجستير ؛ حينما زرته برفقة أستاذي الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، وفي مجلسه كنت أنصت لما يدور فيه من أحاديث حول اللغة والأدب .

وفي غمرة الإنصات لما يدور في المجلس ، خطر لي أن أدلي بشيء ، ولم يحضرني في تلك اللحظة إلا كتاب كنت قد اطلعت عليه منذ شهور ، وهو كتاب « التطور النحوي » للمستشرق « برجشتراسر » ، واهتبلت هنيهة من صمت ، وجاءتني جرأة لأدلو بدلوي ، ولم يحضرني سوى هذا الكتاب ، فبادرت بالحديث عنه ، مبينًا أن المستشرقين لهم عناية بدراسة النحو العربي ، وأشرت إلى كتاب التطور النحوي ، وما كنت أعلم بموقفه من الاستشراق والمستشرقين ، وما إن ذُكر هذا الكتاب حتى بادرني قائلاً : أنت تقرأ النحو عند هؤلاء الجهلة به من المستشرقين ، وتترك الكتب المعتمدة لعلماء النحو العربي ، وإذا كنت تقرأ النحو عند المستشرقين الجهلة ؛ فستكون جاهلاً مثلهم .

فما كان مني إلا أن التزمت الصمت ، وأصغيت إلى ما قال ، وفي نهاية المجلس استأذن بالانصرف الأستاذ عبد القدوس ، ونهضت معه مودعًا .

وفي أثناء ذلك سألني عن غرض قدومي إلى القاهرة ، فأخبرته أني أدرس في مرحلة الماجستير في الأزهر ، وكرر لي النصح بقراءة كتب التراث اللغوي والأدبي ، حيث العلم الغزير ، والأدب الوفير ، وطلب مني تكرار الزيارة له .

ومنذ ذلك الحين وجدتني مشدودًا إلى هذه الشخصية الفريدة ، وصرت أتردد عليه كلما قدمت إلى القاهرة .

وتوثقت صلتي به في مرحلة الدكتوراه ، حيث ابتعثت إلى مصر لدراسة هذه المرحلة في الأزهر ، كما أشرت في حديثي عن بداية الصلة به .



المُجَلِّد سعد خضر ، صديقي

سعد خضر شخصية محبوبة لدى كثير من الأدباء والعلماء في مصر ؛ ذلك لأنه يمتهن تجليد الكتب ، وهو مجلد ماهر ، عُرف بإتقانه التام لتجليد الكتب ؛ ذلك لأنه يتأنى في عمله ، ولا يستعجل فيه كما يصنع غيره ، وإذا كان صاحب الكتب في عجلة من أمره لا يقبل منه ما يرغب في تجليده ، ولذلك كان عدد من العلماء والأدباء يحرصون على تجليد كتبهم لديه ، ومنهم العلامة محمود محمد شاكر ، وأخوه أحمد شاكر وغيرهم .

وقد حدثني العلامة محمود شاكر عنه وعن إتقانه في مهنته ، فحظيت منه بتجليد بعض كتبي ، ووقفت على مدى إتقانه لعمله ، إلى درجة أقول فيه إن الكتاب الذي يجلده لو ألقيت به من شاهق لما أثر فيه .

وحينما عدت من الدراسة في الأزهر في مرحلة الدكتوراه ، وعينت عميدًا للمكتبات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٣٩٧هـ ، وكان فيها قسم للتجليد ، فتذكرت سعد خضر ، وحرصت على التعاقد معه للعمل مُجَلِّدًا في القسم المختص ، وحينما فاتحته بذلك فأخبرني أنه لا يحمل شهادة جامعية تؤهله للعمل في وظيفة حكومية ، وليس لديه سوى الخبرة .

فقلت له : ما لديك من الخبرة هو أكبر مؤهل لك ، وعرضت أمره على معالي مدير الجامعة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وأخبرته بأنه لا يحمل شهادة جامعية ، وإنما لديه خبرة واسعة في مهنته ، فما كان منه إلى أن وافق على التعاقد معه براتب مقداره أربعة آلاف ريال فيما أذكر .

وبدأ عمله في قسم التجليد بجد ونشاط ، ولكي تعم خبرته أحضرت له من معهد الصم والبكم شخصين يعملان معه ، ويفيدان من خبرته إلى جانب العامل الذي معه في القسم ، وحرصت وقتها أن يقوم بتجليد الكتب النادرة ، وذات الطبعات القديمة التي تحتاج إلى تجليد ، إلى جانب أصول بعض المخطوطات .

وأعود إلى صلة العلامة محمود شاكر بالمُجَلِّد سعد خضر ؛ فقد كان على معرفة به ؛ إذ كان يجلِّد عنده أهم الكتب ، ورأيت في مكتبته قدرًا من الكتب التي جلدها سعد خضر ، وكان حريصًا على تجليد أهم كتبه عنده ، ولذلك فهو على معرفة به ويقدِّره .

ويؤكد ذلك أن العلامة محمود شاكر حينما حضر لنيل جائزة الملك فيصل عام ١٤٠٤هـ كنت أزوره في فندق الخزامى ، وأصطحبه معي إلى عمادة المكتبات .

وهو لدي في المكتب أخبرته أن سعد خضر المُجَلِّد يعمل في قسم التجليد في العمادة ، وما أن سمع بذلك حتى طلب مني أن يراه ، فرفعت سماعة الهاتف لأطلب حضوره إلى المكتب ، ولكن العلامة محمود شاكر لم يوافق على ذلك ، وطلب مني أن يذهب إليه هو في قسم التجليد .

فعلاً ذهبنا معًا إلى قسم التجليد ، وتعانقا عناق الأصدقاء ، وبما أن غرفة التجليد لا مكان فيها للجلوس ؛ فقد انتقلنا إلى قاعة المكتبة ، ومكث معه ما يقرب من ربع ساعة .

وقد سر سعد خضر بهذا اللقاء ، وشكر للعلامة محمود شاكر حرصه على رؤيته واللقاء به ، وأخبرته أنه أصر أن يأتي هو إليك ، فزاد سروره بذلك ، وشكر العلامة محمود شاكر على هذه البادرة ، التي تنم عن التواضع الجم ، والحرص على اللقاء بمن لهم صلة به من قريب أو من بعيد .

ولا شك أن هذه البادرة تدل على مدى الوفاء لمن عرفهم وعرفوه .

❊ ❊ ❊

صلاة الجماعة في بيته

كان حريصًا على أداء الصلاة جماعة في بيته ، يؤم أهله ومن يحضر مجلسه ، ولا يخرج إلى المسجد إلا في صلاة الجمعة ؛ وذلك لأن المسجد ليس بقريب من داره .

وقد أدركت الصلاة معه مرارًا ، ومثل هذا الصنيع يحمل من يأتيه في أوقات الصلاة على أن ينهض لأدائها معه ، وقد يكون ممن لا يواظب على الصلاة ، وهذا ما حدث مع بعض زائريه ورواد مجلسه ، ومنهم الأستاذة عايدة الشريف التي أشارت بسلوكه هذا ، وأثره في التزامها بأداء الصلاة ، وعدم الانشغال عنها ، تقول :

« فصلاة الجماعة في بيته هي أروع منسك أديته في حياتي بهذا الخشوع والانغمار ؛ ذلك لأني قبل زيارته ، ورغم أني ابنة عالم أزهري لم أكن أقوم بها بانتظام ، ربما لأن تيارات الوسط الثقافي الفني الذي كنت أحيا وسطه طوَّح بي عنها ، فبدأت مع دخولي إلى بيته أستعيد ما كنت عليه وأنا صغيرة ناسكة »[1] .

وإذا وقف لأداء الصلاة أداها بخشوع تام ، ويدعو الحاضرين للقيام إلى الصلاة .

---

(١) محمود شاكر ، قصة قلم ، لعايدة الشريف ص ٢٩٨ .

أما صلاة الجمعة فكان حريصًا على أدائها في أقرب مسجد إلى داره ، وكان يختار المسجد الذي لا يطيل الإمام فيه الخطبة . وقد شهدت صلاة الجمعة معه أكثر من مرة .

وبعد صلاة الجمعة يتوافد على داره العامرة بعض الضيوف الذين اعتادوا حضور مائدته .

❊ ❊ ❊

إذا تعمل كذا ما تجيش ثاني ، من صور كرمه ورعايته لطلابه

كنت أتردد على داره العامرة كثيرًا إبان تحضيري لدرجة الدكتوراه ، وغالبًا ما تكون زيارتي له ثلاثة أيام في الأسبوع ، أحضر فيها من الساعة الحادية عشرة صباحًا إلى الخامسة مساء .

وفي أثناء هذه الفترة يتناول الشيخ مع أفراد أسرته طعام الغداء ، وشاركتهم في مائدتهم العامرة أكثر من مرة ، وأحسست بشيء من الحرج من جهتي ، فرأيت ذات يوم أن أخرج إلى أقرب مطعم لتناول طعام الغداء ، ثم أعود بعد نصف ساعة ، وصنعت هذا مرتين ، وفي المرة الثانية سألني : أين تذهب وتعود بهذه السرعة ؟ فحاولت أن أهرب من الجواب بشيء من التعميم ، غير أنه ألح لمعرفة الأمر ، وقال لي : أنت بيتك بعيد عن مصر الجديدة ، أنت في حي الدقي ، فلا يمكنك أنت تذهب إلى البيت وتعود بهذه السرعة .

ونزولاً عند إصراره أخبرته أني أذهب إلى أقرب مطعم لتناول طعام الغداء .

وعلى الفور خاطبني قائلاً : « تخرج من بيتي وقت أكل ، إذا كنت تعمل كذا ما تجيش ثاني » .

وإرضاء له صرت أبقى لتناول طعام الغداء معه ، وفعلت ذلك مرتين ، ثم رأيت أن أغير موعد حضوري إليه ، فأصبحت أحضر بعد العصر ، وأمكث إلى قرب أذان العشاء .

وما ذكرته هنا يشي بوضوح ما يتمتع به شيخي من كرم وأريحية ، ورعاية أبوية لطلابه .



الرأفة بالحيوان ، مع القطط في بيته

عرفته يعطف على الحيوانات الأليفة ، ويتجلى ذلك في معاملته للقطط ؛ حيث كان يرأف بها ، كما كانت تصنع زوجته أم فهر .

وقد كانت القطط ترتع في الشقة دون أن يتعرض لها أحد .

وتجلب لها أم فهر من الجزار بقايا ما يتخلص منه ، إلى جانب ما يسمى بالفشة ، وإذا أقبلت أم فهر رأيت سربًا من القطط يمشي خلفها ، وتسمع لهم مواء يتعجلون طعامهم .

رأيت القطط تسرح وتمرح في شقة العلامة محمود ؛ ذلك لأن أم فهر كانت ترعاها وتعطف عليها ، وتحضر لها يوميًا من الجزار ما يسمى بالفشة وما يستغنى عنه ، وإذا حضرت إلى الشقة توجه إليها سرب من القطط ؛ كأنهم يدركون ما تحضره لهم ، وتراهم يستعطفونها بكثرة المواء ، ولا يهدأ لهم بال حتى تضع لهم ما تحمله من طعام ، يلتهمونه بشراهة ، ويتنافسون في تناوله ، وربما تشاجروا حوله ، حيث تسمع أصواتهم في احتجاج بعضهم على بعض .

وقد ألفت القطط الشقة ، ورأيت بعضهم ينام ويتربع على بعض كراسي الصالة ؛ حيث يجلس من يأتي زائرًا ، وحيث الجلسة العائلية ، والأغرب من ذلك ما حدثتني به أم فهر ؛ حيث ذكرت لي أن الشيخ

محمود دخل إلى غرفته لينام ، فوجد قطة قد نامت في سريره ، فأرادت أم فهر أن تبعدها ، ولكنه طلب أن تتركها في السرير ولا توقظها ، وافترش هو الأرض ونام .

أي عطف هذا ، وأي رأفة بالحيوان ، على أن القطط من الحيوانات الأليفة ، ومعاملتها على هذا النحو من أم فهر ومن الشيخ محمود رحمهما الله ينبع من هدي الإسلام في الإحسان إلى مثل هذه المخلوقات ، وعدم التعرض لهم بالأذى إن كانوا ممن يؤمن جانبهم .

ولا يغيب عن البال في هذا الصدد حديث المرأة التي سجنت الهرة حتى ماتت ، كما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان ، قال رسول الله ﷺ : « عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ؛ لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

❊ ❊ ❊

مع العلامة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري في المدينة المنورة

العلامة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري عالم جليل ، متمكن في علم الحديث وأصوله وعلم رجاله ، وعلى اطلاع واسع في هذا الباب ، وله عناية منقطعة النظير في اقتناء ما يقع تحت يده من كتب الحديث وعلومه مطبوعًا ومخطوطًا ، ولديه مكتبة غنية بمحتوياتها في هذا الباب .

وكان العلامة محمود شاكر قدم إلى المدينة ، واستضفته في داري قبل ما يقرب من ثلاثين عامًا ، وكنت على صلة وثيقة بالعلامة حماد الأنصاري ، أرتاد مكتبته العامرة كثيرًا .

وحينما حضر العلامة محمود شاكر بادرت بدعوته ، وحصل بينهما لقاء ودي ، ورأيت مدى إجلال العلامة محمود شاكر والشيخ حماد ، وتقديرهما لأهل العلم ، ودار في تلك الجلسة أحاديث حول تحقيق العلامة محمود شاكر لتفسير الطبري ، وتهذيب الآثار للطبري أيضًا .

وأثنى العلامة حماد على جهود الشيخ محمود في تحقيق الكتابين ، وتساءل عن إكمال تحقيق الطبري ، فوعد خيرًا .

كما دار حديث مع الشيخ حماد حول جهود أخيه أحمد في تحقيق مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وأثنى الشيخ حماد كثيرًا على جهود الشيخ أحمد ، متمنيًا لو أنه أكمل تحقيق الكتاب .

محبوه وأصدقاؤه بين السعودية والكويت

العلامة محمود محمد شاكر شخصية محبوبة ، فرض حبه على كل من عرفه ، أو اتصل به ، وهذا الحب نابع مما يتمتع به من خلق كريم ، وعلم غزير ، وفضل جزيل .

وكل من عرفه وزاره يجد نفسه أمام شخصية فريدة في التواضع وحسن التعامل ، ومحبوه كثيرون ، وقلَّ أن تجد بلدًا عربيًّا ليس له فيه محبون وتلاميذ ؛ إما باللقاء معه ، أو معرفته من خلال مؤلفاته ومقالاته .

وأشير هنا إلى ما يحضرني من الأسماء في السعودية ، وأذكر منهم : الشيخ حسين نصيف ، والأستاذ حمد الجاسر ، والدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، والأستاذ أحمد بن محمد المانع ، والأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، والأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، والأستاذ عبد العزيز الربيعي ، وكاتب هذه السطور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان .

وكل واحد من هؤلاء له معهم لقاءات أخوَّة ومحبة ، وذكريات صفاء ووفاء ، ويُكِنُّ لهم جميعًا كل محبة وتقدير ، ويتعرف بفضل من له فضل عليه منهم .

ومن أوائل هؤلاء الشيخ العالم محمد نصيف ، له مجلس بحضرة كبار العلماء ، ولديه مكتبة خاصة عامرة بنفائس الكتب ، وكان مولعًا

بالقراءة ، توفي سنة ١٣٩١هـ ، وله ترجمة في كتاب أعلام الحجاز ، للمؤرخ محمد بن علي المغربي .

وقد التقى الشيخ محمود شاكر بالشيخ محمد نصيف يوم أن ترك الجامعة سنة ١٣٤٧هـ-١٩٢٩م ، وسافر مهاجرًا إلى الحجاز ، ووجد عنده كل تقدير وكرم ضيافة ووفادة ، وعبر عن ذلك في مقابلة معه حين قال : « الناس هناك أكرموني أشد الإكرام ، وخاصة السيد محمد نصيف ، وهو من عظماء رجال هذه الأمة ، وعنده مكتبة لا مثيل لها في العالم العربي»[1] .

ومن محبيه والملازمين لمجلسه ؛ الأستاذ أحمد بن محمد المانع ، كان مقيمًا في القاهرة بحكم عمله في السفارة السعودية ، وهو شخصية علمية نادرة ، واسع الاطلاع ، ومحب للعلم والعلماء ، ولا غرابة في ذلك ؛ فهو سليل بيت علم وفضل ، والده العلامة محمد المانع ، وقد كان الأستاذ أحمد على علاقة وثيقة بالأستاذ محمود ، يُكِنُّ له كل حب وتقدير واحترام ، ولا يكاد يغيب عن مجلسه ، وله فيه حضور علمي من خلال ما يدور من مناقشات ومطارحات علمية وأدبية ، يشارك فيها بالرأي والعلم المفيد ، وكثيرًا ما كنت أسمع الشيخ حمد الجاسر إذا ذكر الشيخ محمود شاكر يثني عليه ، وعلى سعة علمه في علوم اللغة

(١) ظل النديم ، ص ١٠٢ ، دراسات عربية ، ص ١٤ .

والأدب ، والتاريخ والتراجم ، ويعترف بفضله ، كما يظهر من خلال إعادة الشيخ حمد الجاسر نشر كتاب : « جمهرة نسب قريش وأخبارها » للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) ، فقد أشاد به وبجهده في المقدمة ، وما كان بينهما من تعاون في هذا الصدد .

وكان الشيخ حمد يعرض على الشيخ محمود العمل على تحقيق الكتاب ، وأحضر له مخطوطته ، وحققه ، وصدر منه الجزء الأول عن مطبعة المدني سنة ١٣٨١هـ-١٩٦١م .

ومن محبيه أيضًا الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، وهو من جيل رواد الأدب والثقافة في المملكة العربية السعودية ، وهو أديب وشاعر عشق الأدب والثقافة ، واشتهر بندوته الأسبوعية التي تعد من أشهر الندوات الأدبية ، وصدر له عشرون كتابًا ، ويُكِنُّ للأستاذ محمود شاكر كل تقدير واحترام ، يسعى لزيارته كلما حضر إلى المملكة ، كما حضر الأستاذ محمود شاكر ندوته في إحدى زياراته للملكة .

أما صلتي به وملازمتي لمجلسه ، والإفادة من علمه ؛ فقد تناولته في حديثي عن أول لقاء به ، وفي حديث الشُّرْفَة ، ومعه في العمرة .

أما في الكويت ؛ فكانت تربطه بكوكبة من الأدباء والعلماء والمثقفين علاقات ود صادق ومحبة خالصة ، أحبهم وأحبوه ، وفي مقابلة معه أفصح عن بداية معرفته بالكويتيين وصلته بهم ، يقول في

لقاء معه : « أرسلهم إليَّ الأستاذ سيد صقر ، الذي كان أستاذًا للأدب العربي في المعهد الديني في الكويت ، وعندما أتوا عندي أحببتهم ، وأدخلتهم في بيتي ، وعندما يسافرون إلى الكويت في الإجازات كنت أفتقدهم بشدة ، ونشأت بيني وبينهم مودة ، وكانوا كلهم بمنزلة أولادي »(١) .

وتتلمذ عليه عدد منهم في بعض المجالس العلمية ، ومنها مجلس قراءة الأصمعيات ، وقد وثق ذلك الدكتور يعقوب يوسف الغنيم في كتابه : « قراءة في دفتر قديم - من مجالس العلامة أبي فهر محمود محمد شاكر » ، صدر عن مكتبة الأمل في الكويت (٢٠١١م) .

وأذكر من تلاميذه ومحبيه في الكويت كلاً من الدكتور يعقوب يوسف الغنيم ، والدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، وجمعة ياسين ، والدكتور عبد الله المحارب ، وجاسم المطوع ، والشيخ محمد بن ناصر العجمي .

ويؤكد الدكتور يعقوب الغنيم هذه العلاقة الحميمة حين قال : « لقد عشنا معه أيامًا جميلة ممتعة ، تتلمذنا على يديه ، وما زلت أتذكر عند كل زيارة له للكويت كيف يكون وجوده بيننا فرصة ثمينة » .

---

(١) ظل النديم ،ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

ويقول : « لقد أحب الكويتيين من خلال علاقته الحميمة بأبنائه ومريديه من الكويتيين ، وكان كثير السؤال عنهم ، يتحمل مشاق السفر والتنقل كي يسعد بلقائهم الذي لم يكن لقاء مجاملة ، بل لقاء والد بأولاده .

وما إن يقوم بزيارة أحدهم في بيتهم حتى تلتف بقية الأسرة حوله ، وتراه أكثر حنوًّا على الصغار ، حتى من ذويهم .

وإذا وصل أحد الكويتيين من محبيه ، وهاتفه بحضوره ، يبادره بدعوته إلى تناول طعام الغداء معه يوم الجمعة »[١] .

❊ ❊ ❊

---

(١) قراءة في دفتر قديم ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

وقفات مع رسائله إليّ

التوطئة :

فن الرسائل من الفنون الأدبية والديوانية والشخصية ، لها حضور بارز في تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي .

وتجلى ظهورها ومداولتها بشكل واضح في عصر النبوة ، وعصر الخلفاء الراشدين .

كما كان الرسول ﷺ يبعث بالرسائل إلى الملوك والأمراء والقادة يدعوهم إلى الإسلام .

وقد جمع الدكتور محمد حميد الله قدرًا من رسائل النبي ﷺ والخلفاء الراشدين في كتابه : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة » .

وتحدث الدكتور شوقي ضيف عن الرسائل في عصور الأدب ، من خلال كتابه « العصر الجاهلي » ، و « العصر الإسلامي والأموي » ، والعباسي ، وعصر الدول والإمارات .

وتناول زكي مبارك الرسائل في كتابه : « النثر الفني في القرن الرابع » .

وتمثلت الرسائل في تلك العصور غالبًا في الرسائل الديوانية والأخوية .

وفي الأندلس تحدث عن الرسائل الدكتور مصطفى محمد السيوفي في كتابه : « ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري ، وذكر أن الرسائل الشخصية بين العلماء والأدباء لها أهمية كبرى في الإفصاح عن جوانب شخصية وثقافية وعلمية بين المتراسلين .

وقد حظي العصر الحديث بعناية واضحة في تبادل الرسائل بين العلماء والأدباء .

وهي رسائل تعكس مدى ما بينهم من وشائج الصلة الأخوية والعلمية والأدبية ، ولا تخلو تلك الرسائل من فوائد علمية ، وطرائف ، وأشواق ، ومحبة ، وعتاب ، ولعل من أشهرها رسائل الرافعي ، تحقيق محمود أبو ريه ، وأوراق طه حسين ومراسلاته ، والرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور ، ورسائل الرصافي بينه وبين معاصريه ، جمع عبد الحميد الرشودي ، ورسائل خفت عليها من الضياع لعبد العزيز التويجري ، ورسائلي للأستاذ عثمان الصالح .

ومن فضل الله علي أني حظيت بعدد من الرسائل لكوكبة من العلماء والأدباء المشاهير ، وفي مقدمتها رسائل شيخي وأستاذي الأديب اللامع والمحقق البارع العلامة محمود بن محمد شاكر ؛ فقد حظيت منه بثنتي عشرة رسالة مؤرخة ، تبدأ من يوم الاثنين ٨ ربيع

الآخر سنة ١٤٠٠هـ = ٢٧ فبراير ١٩٨٠م ، إلى الأحد ٣ جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ = ٢٨ مارس ١٩٨٢م ، وتواريخها على هذا النحو :

١ - الاثنين ٨ ربيع الآخر ١٤٠٠هـ - ٢٧ فبراير ١٩٨٠م .

٢ - الأحد ٩ شعبان ١٤٠٠هـ - ٢٢ مايو ١٩٨٠م .

٣ - الاثنين ٢ ذو القعدة ١٤٠١هـ - ٣١ أغسطس ١٩٨١م .

٤ - الثلاثاء ٢٨ ذو القعدة ١٤٠٠ - ٧ أكتوبر ١٩٨٠م .

٥ - الثلاثاء ٢٤ محرم ١٤٠١هـ - ٢ ديسمبر ١٩٨٠م .

٦ - الأربعاء ٢٠ ربيع الآخر ١٤٠١هـ - ٢٥ فبراير ١٩٨١م .

٧ - الاثنين ٧ رجب ١٤٠١هـ - ١١ مايو ١٩٨١م .

٨ - السبت ٣ محرم ١٤٠٢هـ - ٣١ أكتوبر ١٩٨١م .

٩ - الاثنين ٨ ربيع الآخر ١٤٠٢هـ - أول فبراير .

١٠ - الأحد ١٥ رجب ١٤٠٢هـ - ٩ مايو ١٩٨٢م .

١١ - الجمعة ٧ ذو الحجة ١٤٠٢هـ - ٢٤ سبتمبر ١٩٨٢م .

١٢ - الأحد ٣ جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ - ٢٨ مارس ١٩٨٢م .

وهناك رسالتان غير مؤرختين .

على أن هذه الرسائل تحمل في طياتها مشاعر المحبة والأخوة والتقدير ، إلى جانب ما تنطوي عليه من أشواق إلى اللقاء ، ومشاعر أبوية صادقة ، ليس لها من هدف سوى تقوية روح التواصل والتآلف .

كما يتحلى فيها خلق التواضع وروح الدعابة في بعضها .

كما يتجلى فيها الحرص على اللقاء والتزاور ، والوفاء للأصدقاء ، والسؤال عنهم ، والحث على التواصل بينهم وبينه .

ولا تكاد تخلو رسالة من التوجه إلى الله بالدعاء وطلب العفو والرحمة ، وفي بعضها عتاب أخوي وأبوي ، وجل رسائله يستهلها بعبارة : « أخي الدكتور عبد الله » ، وذلك في عشر رسائل ، ورسالتان استهلهما بعبارة : « أخي وولدي عبد الله » ، وهما من أحب الرسائل إلي ، لما تشعر به من إحساس أبوي يخص به أحبابه وطلابه ، وفي رسالة لم تؤرخ استهلها مداعبًا بقوله : « أيها الشيخ الجليل » ، وكل الرسائل يدون في صدرها باليوم والشهر والسنة للتاريخين الهجري والميلادي .

كما يدون فيها عنوان المنزل ، ويوقع كل رسائله بقوله : « أخوك محمود محمد » ، أو : « من أخيك محمود محمد » .

وفي التاريخ بالأشهر يلاحظ أنه وجه نقدًا للدكتور عبد العزيز المانع في رسالة بعث بها إليه جوابًا على رسالة منه في أول رجب عام ١٤٠٤هـ - ٣ أبريل ١٩٨٤م ، قال فيها : « لا تكتب جماد الثاني ، وجماد أول ، ولا ربيع أول ، وربيع ثاني ، بل اكتب : ربيع الأول ، وربيع الآخر ، وجمادى الأولى ، وجمادى الآخرة » .

وجاء هذا التصحيح للعلامة محمود شاكر فيما بعث به إلي من رسائل .

وفي ثنايا بعض رسائل ورد ذكر شخصيات له صلة وثيقة بهم ، ويقدرهم قدرهم ، ويطلب إبلاغ سلامه لمن يتسنى لي اللقاء بهم ، وهم : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، والدكتور عبد العزيز الثنيان ، والأستاذ عبد العزيز الربيعي ، والدكتور عبد الفتاح الحلو ، وأيمن فؤاد ، والدكتور عبد الله الغنيم ، والدكتور يعقوب الغنيم ، والأستاذ محمد أحمد عيسوي ، والحج سعد خضر ، والأستاذ عبد العزيز الربيع ، ومحمود المدني .

وبعض هذه الأسماء جاء ذكرهم عرضًا في أمر يناسب ذكرهم .

وفي السطور الآتية أدون سطورًا مختارة مما بعث به إلي من رسائل تحت عنوانات لما يندرج تحتها من عبارات لها دلالات تنم عن التسامي في تواضعه وأخلاقه السامية وعلمه النافع ، وذلك على النحو الآتي :

استهلال الرسائل :

- الرسالة الأولى : أخي الدكتور عبد الله عسيلان ، مؤرخة في يوم الاثنين ٨ ربيع الآخر ١٤٠٠هـ - ٢٧ فبراير ١٩٨٠م .
- الرسالة الثانية : أخي الدكتور عسيلان .

- رسالة واحدة بدون لقب دكتور : أخي عبد الله ، وهي محبوبة لدي منه .
- الرسالة رقم ٩ يوم الاثنين ٨ ربيع الآخر ١٤٠٢هـ - أول فبراير ١٩٨٢م : أخي وولدي عبد الله . وهي أحب الرسائل إلي ، وكذلك الرسالة رقم ١٣ وهي آخر رسالة منه ، الأحد ٣ جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ ، ٢٨ مارس ١٩٨٢م .
- في رسالة غير مؤرخة ، خاطبني فيها بقوله : « أيها الشيخ الجليل » .

❊ ❊ ❊

التوقيع في نهاية الرسائل :

١ - رقم ٤ : من أخيك محمود محمد .

٢ - رقم ٣ : محمود محمد .

٣ - رقم ٤ : أخوك محمود محمد .

٤ - رقم ٥ : أخوك محمود محمد .

٥ - من أخيك محمود محمد .

٦ - أخوك محمود محمد .

٧ - محمود محمد ، وكذلك رقم ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

٨ - في رسالته رقم (١) : فأرجو أن تفي بوعدك « يا مولانا » حول الوعد بمتابعة أمور كتبه في المكتبة ، ربيع الآخر ١٤٠٠هـ .

٩ - هذا عجيب يا بني ، حول التأخر في إرسال ما صدر من كتب جديدة في عمادة المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرسالة رقم ١ ، ربيع الآخر ١٤٠٠هـ .

* * *

إضاءات من خلال رسائله :

حرصه على التواصل بين الأصدقاء ، في رسالته الأولى المؤرخة ٨ ربيع الآخر ١٤٠٠هـ - ٢٧ فبراير ١٩٨٠م .

يوصي بالتواصل مع الدكتور عبد الله الغنيم ، يقول : هل تتصل بعبد الله الغنيم أم انقطع الأمر بعودتي .

وكذلك في رسالته الثانية المؤرخة يوم الأحد من شعبان ١٤٠٠هـ - ٢٢ مايو ١٩٨٠م ، يقول : لا تقطع الاتصال بعبد الله الغنيم ، وتعاونا على عملكما تعاونًا مثمرًا إن شاء الله ، وإن استطعت أن تدعوه لزيارتك ، أو أن يدعوك لزيارته فافعل . وطلب تبادل الزيارات ، والتعاون العلمي بيننا .

التوصية بالتواصل مع عبد الله الغنيم أيضًا في الرسالة رقم (٥) المؤرخة في ٢٤ محرم ١٤٠١هـ - ٢ ديسمبر ١٩٨٠م : ماذا بينك وبين شيخنا الدكتور عبد الله الغنيم ؟ لا تقطع صلتك به .

وإن كانت صلتي أنا به تكاد تكون منقطعة ؛ لأني أكتب إليه وهو لا يكاد يفكر في الكتابة إلي : خذ سماعة التلفون واطلبه وسلم عليه .

وفي ذلك دلالة واضحة على مدى حرصه على تبادل الرسائل بينه وبين محبيه وطلابه ، وفي بعض رسائله يظهر حرصه على طلابه ، والتوصية بمراعاتهم ورعايتهم ، كما جاء في رسالته رقم (٥) المؤرخة

في الثلاثاء ٢٤ محرم ١٤٠١هـ - ٢ ديسمبر ١٩٨٠م يوصي فيها بالأستاذ العيسوي ، ويشكرني على ما بذلته نحوه ، يقول : أنا أشكر لك ما لقيت به ولدنا .

قال في رسالته رقم (٤) ٢٨ ذو القعدة ١٤٠٠هـ - ٧ أكتوبر ١٩٨٠م : يحمل إليك هذه الرسالة ولدنا الأستاذ محمد أحمد عيسوي ، الذي تعاقدت معه الكلية المتوسطة في الرياض للتدريس ، ووصفه بأنه من أفاضل المشتغلين ؛ فآثرت أن أعرِّفه بك لتصله أولاً ، ثم ليستفيد منك ومن المكاتب في الرياض .

ولا شك أنك معينه حيث توجه ، وميسر له سبل الاستفادة ، وهذا قدر كاف من التعريف ؛ لأني أعلم أنك لا تقصر في بذل الخير والمعونة لطلبة العلم .



إضاءات أخرى من خلال رسائله :

١-حول حماسة أبي تمام وطباعتها :

في الرسالة الأولى يطلب نسخة من الحماسة إن كانت قد طبعت ، يقول في الرسالة رقم (١) : أرجو أن أراك بأحسن حال ، وأن أتمتع قريبًا بنسخة من الحماسة إن كنت قد فرغت من الطبع ، وهذه الكلمة : « أتمتع » أعتز بها من قامة مثله .

٢-وفي الرسالة الخامسة بتاريخ الثلاثاء ٢٤ محرم ١٤٠١هـ - ٢ ديسمبر ١٩٨٠م يقول : أنا أترقب صدور الحماسة ، فإنك لم تخبرني ماذا تم في أمرها بعد الذي أخبرتني أنها معدة في المطبعة ، فما الذي أخرها ؟

٣-في الرسالة الثانية ما يفيد أنه قرأ الحماسة بتحقيقي ، وله ملاحظة في رسالته رقم (٢) الأحد ٩ شعبان ١٤٠٠هـ - ٢٢ مايو ١٩٨٠م .

وفي الرسالة حث على قراءة كتابه : « برنامج طبقات فحول الشعراء » ، يقول : أرسلت لك مع محمود المدني نسخة من « برنامج طبقات فحول الشعراء » ، وهو مهم ، أرجو أن تقرأه بعناية ، واحرص على ما فيه ، ويذكرني هذا بأني رأيتك في نسخة الحماسة أسقطت بيتًا من قصيدة أبي حية النمري الميمية :

رمته أناة من ربيعة عامر نؤوم الضحى في مأتم أي مأتم

والبيت موجود في طبعة الرفاعي من الحماسة ، ولكنك أغفلته ولم تشر إليه ، وكنت أود أن أجد فراغًا كافيًا لقراءة الحماسة ومتابعة ما فيها ، ولكني تعثرت ، ولم أجد وقتًا كافيًا ، فسامحني ؛ فإني وعدتك فأخلفت ميعادي .

في هذه الرسالة اعتذار أستاذ لطالبه عن استكمال قراءة الحماسة ، ويلاحظ كلمة : « سامحني » وفي ذلك سمو أخلاقه مع طلابه وتواضعه الجم .

كنت طلبت منه قراءة الحماسة بتحقيقي ، والإفادة من ملاحظاته قبل طباعتها ، وقد طبعت عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٤-وفي رسالته رقم (٩) الاثنين ٨ ربيع الآخر ١٤٠٢هـ ، أول فبراير ١٩٨٢م يقول في معرض حديثه عن طبعة تهذيب الآثار : طبع طبعًا أنيقًا لا شبيه له في كل ما يطبع ، وهو كما تعلم مطبوع باسم جامعتكم ، فأرجو أن نجد فيه مثلاً يحتذى في إعادة طباعة الحماسة إن شاء الله .

٥-في الرسالة يوم الأحد من جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ - ٢٨ مارس ١٩٨٢م : سلامي مرة أخرى وشوقي وانتظاري لمجيئك في رمضان ، كما حملها لي ذلك محمود بشارة .

٦-الشوق إلى اللقاء : في رسالته الثانية ، الأحد ٩ شعبان ١٤٠٠هـ - ٢٢ مايو ١٩٨٠م جاء في مستهلها : الشوق إليك وإلى حديثك لا ينقطع .

في الرسالة رقم ٦ يوم الأربعاء ٢٠ ربيع الآخر ١٤٠١هـ - ٢٥ فبراير ١٩٨١م جاء فيها : شوقي إليك عظيم ، وأم فهر وزلفى يهدونكم تحيتهم وأشواقهم ، وأرجو أن أراك في أتم صحة وعافية في القريب .

٧-محمود المدني ، ومنزلته عنده :

في الرسالة ٢ في رسالته رقم (٨) ٣ محرم ١٤٠٢هـ - ٣١ أكتوبر ١٩٨١م : ابذل ما تستطيع في مساعدته على هذا وعلى غيره - في سياق معاملة تأمين وزارة المعارف من كتبه - فإنك تعلم منزلته عندي ؛ فإنه بمنزلة ولدي ، ولا تتأخر عن شيء ينفعه .

الشوق إليكم متجدد تجدد الأخوة التي لا تنقطع .

إهداء السلام في كل رسالة إلى الأهل والوالد .

محاولة الاتصال بي من الكويت للاطمئنان على صحتي ، في الرسالة رقم (٤) الثلاثاء ٢٨ ذو القعدة ١٤٠٠هـ - ٧ أكتوبر ١٩٨٠م : حاولت أنا ويعقوب (الغنيم) أن نتصل بك أو بأحد في الرياض أو الطائف أو جدة ، فلم نستطع البتة ، ولا أدري لماذا ؟

كنت أحب أن أسألك عن صحتك ، ولكني سمعت أنك بحمد الله قد برئت واسترحت ، فحمدت الله .

روح أبوية من أب رؤوم ، وفي ذلك دلالة على تقدير لمحبيه ، والحرص على السؤال عنهم والاطمئنان عن أحوالهم الصحية .

٨-وكذلك في الرسالة رقم (٥) ٢٤ محرم ١٤٠١هـ - ٢ ديسمبر ١٩٨٠م : كيف حالك بعد إزالة اللُّوَز ؟ وهل وجدت أثرًا لإزالتها يعينك على ما كنت تجده من المتاعب ، وأنا أسأل الله أن يسبغ عليك نعمه كاملة .

٩-وفي رسالة منه يبدو الحرص التام على تزويده بما يجِدُّ من مطبوعات الجامعة ، وما يصدر من مكتبات المملكة ، كما في الرسالة رقم (٥) ٤ محرم ١٤٠١هـ - ٢ ديسمبر ١٩٨٠م : ماذا عندك من أخبار عن كتب جديدة مهمة ؛ فإن وجدت فيها تعلم كتبًا لا يبلغنا خبرها فأشر على ولدنا محمود المدني أن يحملها إليَّ عند عودته .

طلب الاتصال بالدكتور عبد القدوس حول كتاب العفو والاعتذار : يقول في الرسالة نفسها أيضًا : أرجو أن تتصل بالصديق العزيز عبد القدوس لتسأله عن الكتاب الذي ينشره « العفو والاعتذار » ماذا تم في أمره ، وبلغه سلامي إليه .

في هذه الرسالة مداعبة « أسلوب المداعبة في رسائله » ، منها في الرسالة رقم (٥) السؤال عن الأصدقاء بشيء من الدعابة : « ثم كيف حالك مع أخينا الدكتور عبد الفتاح الحلو ؟ ألا يزال حلوًا ، أم خالطته مرارة . سلامي إليه سلامًا كثيرًا » .

١٠- طلب إبلاغ السلام لأصدقائه ، كما في الرسالة الخامسة ، يوم الثلاثاء ٢٤ محرم ١٤٠١هـ - ٢ ديسمبر ١٩٨٠م : « بلغ سلامي إلى كل من تعرف ، وإذا استطعت أن تخص عبد العزيز الربيعي بتحية فافعل مشكورًا » .

ينتظر مني رسائل ، أو يحثني على مراسلته ، كما في الرسالة الخامسة المشار إليها سابقًا : وأنا في انتظار رسالة منك تحمل أشواقك إلي أيضًا ، والسلام .

١١- الرسالة رقم (٦) يوم الأربعاء ٢٠ ربيع الآخر ١٤٠١هـ - ٢٥ فبراير ١٩٨١م : الشكوى من أيام عصيبة مرت به ، بعد السلام على الأهل والوالد ، قال : وبعد ؛ فقد مرت بي أيام عصيبة ، طويتها في نفسي حتى أذن الله بانجلائها عني بعض الشيء ، وقد ترددت طويلاً في الرحلة هذه السنة ، مع أن الواجب كان يقتضيني أن أسافر إلى الكويت ؛ أولاً : لأن ولدي عبد الله الغنيم قد وُهِبَ ولدًا سماه يوسف باسم أبيه .

وثانيًا : لأن ولدي جمعة ياسين كان قد رشح نفسه للمجلس ، فكنت أحب أن أشهد معركته مع المرشحين ، وقد قرأت اليوم في الصحف أخبار نتائج الانتخابات ، ولا أدري ماذا كان من أمره .

وثالثًا : كان من المتوقع في تأليف الحكومة الجديدة أن يكون يعقوب الغنيم وزيرًا للتربية ، وقد عُرِض عليه المنصب قبل ذلك مرات فاعتذر ، وأنا أحب له أن يعتذر هذه المرة أيضًا ؛ لأنه إذا فعل ؛ فلن يجد وكيلاً يحل محله ، وسيبقى هو حاملاً للعبئين ؛ عبء الوزارة ، وعبء الوكالة ، وهذا أمر لا يصلح ولا يجدي .

ويشير إلى هدفه من زيارة السعودية والكويت ، وذلك لإرضاء من في الكويت ومن في الرياض ، يقول :

كنت أحب أن أحضر إليكم في هذه الأيام لأقضي حق الأخوة عندكم ، وفي الكويت ، ولكن حال دون ذلك ما حدثتك عنه من ترددي وفتور همتي ، أسأل الله أن يعينني ويعينكم ، ويفتح لنا ولكم أبواب رحمته وحياطته .

ويشير إلى سبب السفر إلى الكويت ؛ وذلك لمشاركة أحبابه في المناسبات السعيدة عليه ؛ مناسبة أول مولود له ، وحول

يعقوب الغنيم ولترشيحه لوزارة التربية ، ورأي الأستاذ محمود في هذا الترشح ، وروح الإشفاق على الأحباب .

١٢- وفي بعض توصية منه لتزويده بالكتب التي تهمه من معرض الكتاب بالرياض ، يقول : هذه الرسالة يحملها إليك محمود المدني ، وهو قادم إليكم ليحضر معرض الكتاب ، فعسى أن تكون على ذكر دائمًا من أني أحتاج إلى الكتب الجديدة ، فحاول أن تجد لي شيئًا مفيدًا جديدًا ، ومع محمود قائمة بأسماء كتب أكثرها مما جمع في العراق من دووابن الشعر التي ليست عندي ، وبعضها قديم الطبع ، ولكن ربما وُجِد عندكم ، وربما كان قد طبع طبعة جديدة ، فخذ صورة مما مع محمود ، وحاول أن تدبر لي هذه الدواوين ، وقد ذكرت الآن مما لم أكتبه في القائمة أن ديوان ابن المعتز طبع في العراق ، فهل لك أن توافيني بنسخة منه ، ومن الدواوين التي طبعت ولم أسمع بها .

١٣- وصف حال معرض القاهرة عام ١٩٨١م ، وفقره في المصادر والكتب ، يقول : كان معرض الكتاب عندنا هذه السنة هزيلاً جدًا مع الأسف .

١٤- نقد بعض مطبوعات الجامعة : اطلعت أخيرًا على بعض ما طبع عندكم ، فرأيته جيد الحروف ، ولكن عيبه التصحيح وقلة الذوق ولا مؤاخذة !!

فعسى أن تُعنى أنت أشد العناية بإخراج الحماسة إخراجًا جيدًا ، وليتني زرتكم في الأيام الماضية لأطلع على التجارب كيلا يقع فيها ما وقع في تلك الكتب ، والله المستعان .

١٥- عبارات طريفة يخصني بها :

في رسالته يوم الأربعاء ٢٠ ربيع الآخر ١٤٠١هـ - ٢٥ فبراير ١٩٨١م حول السؤال عن معاني القرآن للأخفش ، وتأمين نسخة منه ، ثم قال : « لا تهمل هذا أيها الفحل العظيم » .

١٦- وعبارات تقدير في رسالة السبت ٣ محرم ١٤٠٢هـ - ٣١ أكتوبر ١٩٨١م ، جاء في مستهلها : « يا سيدي الكريم ... » .

١٧- حرصه على أن يتولى أعماله العلمية بنفسه ، ولا يأمن أحدًا ليقوم بشيء منها ، حتى تصحيح التجارب ، ويتولى القيام بأعماله من أولها إلى آخرها .

جاء ذلك في خطابه إليَّ رقم (٦) ، المؤرخ في يوم الأربعاء ٢٠ ربيع الآخر ١٤٠١هـ - ٢٥ فبراير ١٩٨١م حول طباعة جامعة الإمام لكتاب تفسير الطبري بتحقيقه ليطبع باسم الجامعة ، وطلب الجامعة أن يرسل الكتاب ليطبع في الجامعة ، جاء في رسالته المشار إليها قوله : « سأكتب رسالة إلى الأخ العزيز الدكتور عبد الله التركي في شأن كتاب الطبري ، كنت قد وعدته

بطبعه باسم الجامعة ، وقد أرسل إليَّ رسالة رقيقة في شأن هذا الكتاب ، ولكن فهمت من كتابه أنه يريد أن أرسل له الكتاب ليطبع عندكم ، وهذا بالطبع غير ممكن ؛ لأني لا أستطيع أن آمن أحدًا على عملي ، فإني أتولى عملي كله من أوله إلى آخره ، أي من أول كتابي إلى آخر ملزمة تطبع منه .

١٨ - حرصه على اقتناء ما يَجِدُّ من الكتب ، وطلب ذلك من بعض أحبابه وتلاميذه في الرسالة السابقة : جاء في آخرها وبعد ختامها : « بلغني أن كتاب « معاني القرآن » لأبي الحسن الأخفش ، قد طبع إما في الكويت وإما في لبنان ، فلا بد من البحث عن نسخة أو نسختين ، واتصل بعبد الله الغنيم فاسأله ، وليسأل عبد الحميد البسيوني صديقنا - تذكره فيها أظن ؟! - لا تهمل هذا أيها الفحل العظيم ، والسلام .

وفيها أيضًا التقدير واللطف والثناء على من يقدم له معروفًا .

١٩ - عبارات مداعبة لأولادي عندما يشرفني بقضاء بعض الأيام بيننا .

في رسالته رقم (٧) الاثنين ٧ رجب ١٤٠١هـ - ١١ من مايو ١٩٨١م « سلامي إلى السيدة الفاضلة ، والصغار المعاكسين ، وقد قضيت بين أولادي أيامًا لا أنساها ، ومن الصعب علي أن أشكرها ؛ لأن الشكر يفسد معنى هذا الشعور الذي كنت أجده

بين أولادي جميعًا ، وأسأل الله أن يجمعنا مرة أخرى على خير ، وفي أتم عافية ، إنه سميع مجيب .

انظر الرسالة ١٠ ، الأحد ١٥ رجب ١٤٠٢هـ .

❋ ❋ ❋

أخباره الشخصية

عطفه على أبنائه :

ويبدو عطفه على أبنائه ، وتلبية رغباتهما ومكافأتهما على نجاحهما في الرسالة رقم (٧) ، الاثنين ٧ رجب ١٤٠١هـ - ١١ مايو ١٩٨١م في مستهلها : «أكتب إليك هذه الرسالة ، وأنا على أهبة السفر إلى الإسكندرية في الفجر ، ونحن الآن الساعة التاسعة ليلاً ، وسأقضي هناك أقل من شهر إرضاء لفهر وزلفى بعد نجاحهما وتفوقهما في هذه السنة » .

١- التوصية بالمُجَلِّد سعد خضر ، والسؤال عنه ، والتأكيد بالأخوة والصداقة بينهما ، جاء ذلك في الرسالة رقم (٧) يوم الاثنين ٧ رجب ١٤٠١هـ - ١١ مايو ١٩٨١م ، يقول فيها : « سلامي إلى الجميع إخواننا وأحبابنا ، ولا أوصيك بأخي وصديقي سعد خضر ، فأنت تعلم منزلته عندي ، وبلِّغه بنفسك سلامي ، وهو في رعايتك مأمونًا على هذه الرعاية بلا شك » .

أذكر هنا ما حدث عند زيارته لي في عمادة المكتبات ، وكان سعد خضر يعمل مُجَلِّدًا في العمادة ، ورغب في رؤيته ، وعندما طلبت دعوته إلى المكتب ، أصر على أن يذهب إليه هو في قسم التجليد .

وكذلك في الرسالة رقم (٩) ٨ ربيع الآخر ١٤٠٢هـ - فبراير ١٩٨٢م : « سلامي إلى أخي الحاج سعد خضر ، وكان وعدني أن يمر عليَّ قبل سفره عائدًا إليكم ولم يفعل » .

وكذلك في الرسالة (١٠) ، الأحد ١٥ رجب ١٤٠٢هـ حول سعد خضر ، يقول : « سلام خاص لأخي سعد خضر ، وأرجو أن يكون كما وصفتُه لك ؛ فإنه حبيب قديم » .

٢- المعاناة في تحقيق كتاب تهذيب الآثار ، وطلب مخطوطته : في الرسالة رقم (٨) المؤرخة في ٣ محرم ١٤٠٢هـ - ٣١ أكتوبر ١٩٨١م حول معاناته في تحقيق تهذيب الآثار للطبري ، طلب في هذه الرسالة تأمين نسخة من كتاب تهذيب الآثار للطبري ، مسند عمر بن الخطاب ، طلب تصوير من مكتبة قطر ، فجاءت النسخة سقيمة لا تقرأ و لا تنسخ ، فهي مهزوزة فاسدة جدًا - كما ذكر - وهو يطلب المساعدة في تصوير نسخة مكتبة كوبرلي ، قال : « أرجو أن تُولي هذا الأمر أشد اهتمامك » .

« على كل حال فإن شوقي إليكم جميعًا ، ولكن « تهذيب الآثار » قد اغتالني واغتال ساعات اليوم كله ، فأنا أقضي اليوم كله في العمل بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي » .

٣- العتب على قلة الزيارة له في القاهرة : جاء في الرسالة رقم (٩) :

سلام مني ومن أم فهر ، مع شوقي إليك وإلى لقائك ، ولكنك ضنين بالزيارة ، وأنا عن الزيارة محبوس .

بث الشوق إلى اللقاء ، وحرصه على متابعة ما يطبع من كتاب سير أعلام النبلاء ، وطلب تزويد بما يَجِدُّ منها ، وعتاب عن أبوي على تكرار الزيارة له في مصر .

٤- الشكر على ما أرسله له من كتب في هذه الرسالة ، يقول : وشكرًا على الكتب التي أرسلتها ، ولكن لا تنس تمام أجزاء الكتب ذات الأجزاء (سير أعلام النبلاء وما إليها) .

٥- حول صناعة فهرس جديد من نوعه لكتاب تهذيب الآثار ، يقول : ليس عندي كثير أقوله لك ؛ لأني مشغول بالفراغ من فهرس من نوع جديد صنعته لكتاب تهذيب الآثار يتعلق بالأسانيد ، وهي فكرة قديمة طبقتها لأول مرة في هذا الكتاب .

٦- الحث على قراءة كتاب تهذيب الآثار وفهرس الأسانيد : وجاء أيضًا في رسالة رقم (١٠) ، الأحد ١٥ رجب ١٤٠٢هـ - ٩ مايو ١٩٨٢م ، قال : يحمل إليك ولدنا محمود نسخة من تهذيب الآثار ، مسند علي ، فأرجو أن تقرأه بعناية ، وأن تنظر في تعليقاته ، وأن تنتبه كل الانتباه إلى هذا الفهرس الذي صنفته لأسانيد الكتاب ؛

فهو أول فهرس من نوعه ، وفوائده لا تعد ، وإن كنت أخشى أن لا ينتبه له أصحابنا انتباهًا كافيًا مع ذلك .

رب عمل يخفى بخفي سره ساعة ثم يضيء بعد ذلك .

عبارة هامة وقف عندها وبيان مدلولها .

٧- الثناء على مسارعتي في إرضائه : في الرسالة نفسها : « لك مني أجزل الشكر على مسارعتك في إرضائي ، رضي الله عنك ومتعك بالصحة والعافية .

٨- دعاء في كل رسالة :

السؤال من الله أن يجمعنا قريبًا لنختلس من الزمن أيامًا نستمتع بها وبصفائها .

٩- الرسالة رقم (١٠) ، الأحد ١٥ رجب ١٤٠٢هـ - ٩ مايو ١٩٨٢م : اشتياقه إلى أطفالي الصغار ومعابثاتهم .

في مستهل هذه الرسالة : سلامي إلى السيدة الفاضلة ، وإلى النشء الصغار ، وقد اشتقت إلى معابثاتهم .

كما أيضًا في الرسالة السابقة رقم (٧) ، المؤرخة في يوم الاثنين ٧ رجب ١٤٠١هـ - ١١ مايو ١٩٨١م حرصه على مطالب أصدقائه وأحبابه ، انظر صفحة شخصيات ذكرهم في خطاباته مع أحمد المانع .

١٠- معرفته بالأستاذ عبد العزيز الربيع : تحدث عن الربيع ، وحزنه على وفاته ، ووصفه بالصديق الكريم الجليل في رسالته رقم (١٠) ، الأحد ١٥ رجب ١٤٠٢هـ - ٩ مايو ١٩٨٢م : وقد ساءني ما قرأته في إحدى المجلات ، وأحزنني بوفاة الصديق الكريم الجليل عبد العزيز الربيع رحمه الله وغفر له ، وأسكنه فسيح جنانه .

ملاحظة : في هذه الرسالة أخبار العمل في كتاب تهذيب الآثار ، مسند ابن عباس ، مسند علي ، ومسند عمر ، وكذلك في الرسالة (١١) ٧ ذو الحجة ١٤٠٢هـ - ٢٤ سبتمبر ١٩٨٢م .

في هذه الرسالة طلب كتاب الفتوح ، المطبوع في الهند في ثمان مجلدات فيما أظن .

١١- التطلع إلى زيارة أحبابه في السعودية والكويت في الرسالة رقم (١٣) الأحد ٣ جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ - ٢٨ مارس ١٩٨٢م : التطلع إلى زيارتنا ، والبدء بزيارة الكويت ، وملاطفتي في خطابه بهذا الخصوص : شوقي إليك وإليهم ، ولولا ما في يدي من العمل لفكرت في زيارتكم في هذا الفصل من السنة ، ولا تغضب إذا قلت إني كنت ولا بد بادئًا بزيارة الكويت كالعادة .

١٢- ملاحظة على تحقيق كتاب الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبد الفتاح الحلو : سلامي إلى شيخنا عبد الفتاح (هو عبد الفتاح الحلو) وكان في يدي منذ أيام كتابه الذي نشره للتنوخي (هو كتاب الفرج بعد الشدة) ففي صفحة (٥٢) منه تعليق (١) اعتمد كل الاعتماد على إنباه الرواة وقراءة أبي الفضل له ، وتقسيمه إلى فقرات ، فأحال المعنى ، حيث قال : « قال الزبيدي : وهذا التاريخ لوفاته غلط » ، وصواب العبارة : « وقاله الزبيدي ، وهذا التاريخ لوفاته غلط . فهذا الآخر من كلام القفطي ، ولكن لم يقل لماذا هذا غلط ، وهذا من مكره وعداوته لياقوت ، كما قلت في كتابي أباطيل وأسمار ؛ فإنه لم يعرف الغلط إلا عن ياقوت ، فأغفل ذكره ، وأغفل أيضًا وجه الغلط الذي دله عليه ياقوت ، وقال له : حاذر من طبعة إنباه الرواة ما استطعت .

١٣- رقم (١٤) رسالة بدون تاريخ في عام ١٤٠٢هـ تقريبًا ، إجابة على سؤالي له عن كتاب ، وهو كتاب التشبيهات والطلب ، جاء فيها مداعبة لابني هاني : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى السيدة الفاضلة ، وعلى هيثم وهاني المرسيدس ، ذكر فيها أن اسم المؤلف محمد بن سهل المرزباني الكرخي ، وذكر عن فهرس ابن النديم مؤلفاته .

وفي ختام الرسالة قال : والحمد لله رب العالمين ؛ فقد بان الحق ، ولا تزال هناك بعض الإشكالات ، سأنظر فيها فيما بعد .

* * *

مع مؤلفاته

بدأ العلامة محمود شاكر في التأليف منذ وقت مبكر ؛ فقد ألف أول كتاب له وهو كتاب المتنبي سنة ١٩٣٦م ، ولم يكن يتجاوز السادسة والعشرين من عمره .

ومن الفضائل الظاهرة في مسيرته العلمية مؤلفًا أنه في مؤلفاته التي تتسابق عليها دور النشر ؛ لم يكن يتطلع إلى الكسب المادي ، وإنما كان يقصد الثواب من الله أولاً ، ثم خدمة العلم وطلابه .

وقد أشار إلى هدفه هذا ، وكرره على مسامعنا في داره العامرة كلما جاءت مناسبة للحديث عن جهوده في التأليف والكتابة .

وقد أدركت ذلك عندما كنت عميدًا للمكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ؛ حيث قامت الجامعة بطباعة تحقيقه لكتاب تهذيب الآثار للإمام الطبري ، ولم يكن يشترط على الجامعة أي مبلغ لطباعته .

وفي الصفحات الآتية أعرض ما قمت به من فهرسة لموضوعات مؤلفاته على النحو الآتي :

مسرد لمؤلفاته

١- تحقيق كتاب طبقات فحول الشعراء لأبي سلام الجمحي .

٢- جمهرة نسب قريش ، تحقيق لم يكمله ، الجزء الأول منه ، دار العروبة ، ١٣٨١هـ .

٣- ديوان : اعصفي يا رياح ، وقصائد أخرى ، مطبعة المدني .

٤- برنامج طبقات فحول الشعراء ، قرأه وعلق عليه ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

٥- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، دار المدني والخانجي .

٦- القوس العذراء ، شعر ، دار المدني .

٧- مداخل إعجاز القرآن ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ .

٨- أباطيل وأسمار ، مطبعة المدني ، ١٩٧٢م .

٩- نمط صعب ونمط مخيف ، مطبعة المدني ١٩٩٦م .

١٠- شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد السكري ، راجعه محمود شاكر ، وحققه عبد الستار فراج ، دار العربي ، ١٩٦٥م .

١١- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ، للمقريزي ، صححه وشرحه محمود محمد شاكر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٠م .

١٢- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار، لأبي جعفر الطبري، قرأه وخرج أحاديثه، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٢م.

١٣- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ١٩٨٤م.

١٤- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٥- فضل العطاء على العسر، لأبي هلال العسكري، ضبطه وصححه وعلق عليه، المطبعة السلفية، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م.

١٦- الوحشيات، لأبي تمام، بالاشتراك مع عبد العزيز الميمني، دار المعارف، ١٩٧٠م.

١٧- المتنبي، الخانجي، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٨- المكافأة وحسن العقبى، لأحمد بن يوسف الكاتب، حققه وصححه وشرحه، المكتبة التجارية، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م.

١٩- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، صدر منه ١٦ مجلدًا عن دار المعارف بمصر، ١-١٣ عام ١٩٥٨م، اشترك معه أخوه أحمد شاكر، وأخرج بمفرده الأجزاء ١٤، ١٥، ١٦.

عرض لأبرز موضوعات مؤلفاته

كتاب المتنبي (قصة الكتاب ولمحة من فساد الحياة الأدبية)

---

(١) النغل : تثقب الجلد من سوء الدباغ ، ومعيون : ظاهر الفساد وتراه العين .

* * *

قبس من سيرته في عبارات من مؤلفاته وكتاباته

* * *

تحقيق كتاب طبقات فحول الشعراء

صدر عن دار المدني بالقاهرة

❊ ❊ ❊

أباطيل وأسمار للعلامة محمود محمد شاكر

الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، مطبعة المدني

يقول في المقدمة : « الدفاع عن أمة برمتها هي أمتي العربية الإسلامية ، وجعلت طريقي أن أهتك الأستار المسدلة التي تحمل من رانها رجالاً فيما خلا من الزمان ، همهم جميعًا أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كل الغلبة على عقولنا ، وعلى مجتمعنا ، وعلى ثقافتنا .

في الرد على مزاعم لويس عوض ومناقشته :

اختار لذلك عناوين جاذبة ، وتحتها مادة ثرية وعلمية في مناقشة مزاعم لويس عوض ، والعناوين هي : ليس حسنًا ، بل معيبًا ، بل قبيحًا ، بل شنيعًا ، لا تنقضي ، هذه هي القضية ، وهذا هو تاريخها ، وهذه هي آثارها ، وهذه هي أخبارها ، وهذه هي أخطارها ، وأيضًا ، ما أدراك ما هيه ؟ نار حامية ، أم على قلوب أقفالها ، وأقول نعم ، كاد النعام يطير ، أما بعد ، أمهلهم رويدا ، باب الفحص عن أمر دمنة ، تتمة الفحص عن أمر دمنة ، على نفسها تجني براقش ، ليس الطريق هنالك ، ضفادع في ظلماء ليل ، ثم غلقت الأبواب .

والكتاب ينطوي على علمه الواسع ، ونظرته العميقة في التراث الأدبي شعرًا ونثرًا ، وغيرته عليه وعلى الثقافة الإسلامية والعربية .

١- سبب تسمية الكتاب بيت من شعر أبي العلاء، في صفحة العنوان

٢- غرضه من كتاب أباطيل هو الدفاع عن الأمة العربية الإسلامية ٩، ١١

٣- الموقف من الثقافة العربية ١٠

٤- استلهام شيخ المعرة أبي العلاء المعري في كتابه ١٣

٥- نمط من السخرية في أسلوبه ١١

٦- مقالة لويس عوض - محل النقد في كتابه أباطيل ٢٢، ٢٩

٧- حديث عن المنهج ٢٤ وأهمية مستوى الدارس الذي يطبق المنهج ٢٥

٨- قِصَر نظر لويس عوض ٣٠

٩- التوجه إلى التقصي في البحث ٣٢

١٠- مناقشة المصادر القديمة حول المعري ٣٦

١١- الأسلوب الساخر في نقد لويس عوض ٤٣-١٠٩، ١١١

١٢- نفي مزاعم لويس عوض

١٣- منزلة صحيفة الأهرام ١٣١، صحيفة الأهرام والتبشير ٤٢١

١٤- دور الصحف في الثقافة

١٥- اعتماد لويس عوض على كتاب طه حسين وادعاؤه الاطلاع على مصادر عديدة ١٣٧

١٦- نفي اطلاع لويس عوض على شيء من كتب أبي العلاء ١٣٧

٨٧- حول دلالة ألفاظ اللغة على التفكير، ودلالتها على المعاني ٤١٣، ٤١٤

٨٨- اللغة وتطورها عبر العصور ٥١٥

٨٩- حول المجاز ٥١٦

٩٠- حول لفظ « الدين » ٥١٨ ، ٥٢٦ ، عودة إلى الحديث عن لفظ الدين بشكل موسع ٥٣٢-٥٥٢

٩١- نظام دنلوب في الجامعة والمدارس ٥٦٠

٩٢- حديث عن الكلمة ودورها أهميتها وما يقصد بالكلمة ٥٦٠ ، ٥٦١، ٥٦٢

٩٣- نقد ترجمة لويس عوض لمسرحية « أرسطوفان » ٥٣٢-٥٨١ ، مما يوحي بدراية محمود شاكر باللغة الإنجليزية ، والوعي بالمسرحيات الأجنبية

❋ ❋ ❋

من ألفاظه وعباراته في مؤلفاته

عبارات وألفاظ من كتاب أباطيل وأسمار

١- حالة لطف ٩

٢- أجد ذفرها - الذفر خبث الرائحة ٩

٣- ألمانيا هلو سينا نوريا ١١

٤- الفرفشة ١٢

٥- مطمور على بصلة ١٣

٦- قمامة ١٣

٧- تتعبى قباء ١٤

٨- مخارم الجبال ١٥

٩- سماديره ١٥ ، ٤٢٩ ، لويس عوض صبي المبشرين ١٦ ، واسمه الحقيقي

١٠- في بنية مظلمة « أي بناء » ٤٣

١١- إجراء النقد على لسان أبي العلاء المعري ٤٤ ، أسلوب التجريد

١٢- له شغافة من مظنة ٥٠

١٣- الكوائن - بمعنى المصائب ٥١

١٤- القالة - بمعنى القول ٥٥

٣١- عض كل امرئ لطيته ٣٩٥

٣٢- حلا يا أبا فهر « أي تحليل من قوله ولا تشدد » ٤٢٠

٣٣- شيخ هم : الشيخ الكبير البالي ٤٢١

٣٤- حول لفظ « شرلتان » ٤٢٣ ، معنى الكلمة ٤٢٤

٣٥- التلافيق ٤٢٦

٣٦- بهذه الزعارة ٤٥٣

٣٧- ترة : أي تأمر ٤٦٣

٣٨- الطول : هو الحبل الطويل الذي تربط به الدابة لترعى في نطاق محدود ٤٦٤

٣٩- تخاريج ألوانها : أي تداخل ألوانها وتخارجها من لون إلى لون ٥٢٩

٤٠- حرجة : الشجر المجتمع الملتف لا يقدر أحد أن ينفذ منها ٥٢٩

٤١- لأبي العلاء المعري ، ملحوظة أكثر من الاستشهاد بشعر أبي العلاء ، وأفصح عن ذلك ١٣ ، ١٦ ، ٢١ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٢٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٥٠-٢٥٢ ، ٢٨٧ ، ٣٢٢ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، الاستشهاد بأبيات كثيرة أو قصيدة ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، شاهد على الجب ٤٢٢ ، شاهد طريف ٤٢٧ ، ٥٨١

❋ ❋ ❋

مقدمة الظاهرة القرآنية

❊ ❊ ❊

مداخل إعجاز القرآن، مع إعجاز القرآن

❊ ❊ ❊

مقدمة تحقيق كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني ، وأسرار البلاغة

* * *

نمط صعب يمثل ثقافة العلامة محمود شاكر في علم العروض

٩٦- دراسة الشعر لذاته بصرف النظر عما يشاع حوله وإثبات ما تصدق عليه حقيقته الشعر وروحه ٣٤٩

٩٧- من ملامح المنهج في دراسة الشعر ٣٥٠

٩٨- رأي في تقويم مصادر الشعر ٣٥٣

٩٩- حول مبدأ الشك ٣٥٣-٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، قضية الشك عند مرجليوث ٣٧٠

١٠٠- متى يُسَلَّم للجرح والتعديل ٣٥٧

١٠١- المبرر للحديث عن الشك ٣٥٧

١٠٢- قدح الرواة بالجرح في رواية الشعر ، وعند العلامة محمود شاكر لا يؤثر ٣٥٨

١٠٣- كلام دقيق في الحكم على الأشخاص بالجرح والتعميم في ذلك ٣٥٩

١٠٤- استنباط دقيق حول الاتهام بالفسق والجرح والتعديل ٣٦٠

١٠٥- عبارة : « وعلى هذا القياس لا يسعنا أيضًا أن نبرئ أخبار الرواة لمجرد براءتهم في أنفسهم ؛ فإن الكاذب يحمل الخبر الصادق ، وكذبه في نفسه ليس بقدح في صدق خبره ، وصدق خبره لا يدفع عنه ما جرب عليه من الكذب حتى استحق أن يسمى كاذبًا ، وكذلك الصادق » ٣٦٠ ، ٣٦١

١٠٦- إبعاد الجانب الشخصي عن ما يأتي عنهم من روايات ٣٦١ ، ٣٦٢

الألفاظ والعبارات « نمط صعب »

١- أرض متراحبة مترامية ٣٨

٢- تأخذ بأكظامي : أي بمخارج النفس ٦٥

٣- لقم الطريق : أي وسطه ١٠٩

٤- ألفاظ وعبارات شعبية دارجة « دع عنك بالمرة » ١٠٩

٥- فات فات وفي ذيله سبع لفات ١٠٩

٦- واقعة في حاق ؟ ١١٣

٧- أشداق مهرتة : مشقوقة شقًا واسعًا ٢٧٤

٨- فأستولج في كلامي ألفاظًا ٢٧٨

٩- سلخة من إهاب ٢٩٧

١٠- هكذا بالجملة لا بالقطاعي ٣١٣

١١- من أساليب التعبير عنده « سهل لماذا ؟ هذا لازم ! » ، « ومن المدهش حقًا » ، « من المدهش لا من البديهي نعم » .

١٢- مسكين جوته ٣١٧

١٣- عشرة أجلاد - جمع جلد ٣٣٧

١٤- لا علينا ٣٦٩

❊ ❊ ❊

برنامج طبقات فحول الشعراء

❋ ❋ ❋

العبارات والألفاظ في كتاب برنامج طبقات الشعراء

١- بمرة واحدة ٩

٢- أهيجها عن مجثمها ٩

٣- أغرب « كائنة » ٩

٤- مسجور ضغنًا ١٢٦

٥- الثفروق : هو ما يلزق به القمح من الثمرة

٦- لغة الحكل ؟ ١٤٧ العجم من الطير والبهائم ، وما لا يسمع له صوت

٧- لفظة دارجة أو عبارة دارجة : « فليخطف رجله الكريمة » ١٦٤

٨- غامسته نفسه ١٧٣

❋ ❋ ❋

الشواهد الشعرية في كتاب برنامج طبقات الشعراء

١- صفحة العنوان

٢- شاهد حول الغرض من القيام بأعمال علمية ١٣٠

٣- ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ، شاهد في ثنايا الرد للنقد ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥

❊ ❊ ❊

القوس العذراء

* * *

تحقيق تفسير الطبري، الجزء الأول - المقدمة

* * *

الجزء ١٦

١- ديدنه الدعاء المقدمة ١

٢- مبدأ التخوف من الإقدام على بعض الأعمال العلمية من هاجس الإتقان في العمل ٢

٣- الإقدام والإحجام حول قضية الأحرف السبعة ٣

٤- حول صنيع عبد الصبور شاهين في الأخذ عن محمود شاكر حول الأحرف السبعة ٣

انظر تقدير السقط ٢٤٢ ، وانظر ٥٩٣ ، ٥٩٨



قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام

تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار

لأبي جعفر الطبري

محمد بن جرير بن يزيد

٢٢٤-٣١٠هـ

مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٢)

السفر الأول

قرأه وخرج أحاديثه

أبو فهر

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كرم بني آدم بخلقه إياهم بيديه ، وشرفهم بالعبودية له وحده دون سواه ، وناط عاصيهم ومطيعهم بظاهر ربوبيته ، وشمل مؤمنهم وكافرهم بخفي رحمته ، لم يخلقهم عبثًا ولم يتركهم سدى ، فكلما أنهجت بهم سبل الهدى وخفيت ، بعث إليهم رسولاً يضيء لهم الطريق الذي أظلم ، ويبين لهم معالم النهج الذي درس ، فيخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إليه صراطًا مستقيمًا ، ويرد قلب من أقر له بالعبوية إلى الرشاد بعد الغي ، ويصرف قلب من باء له بالربوبية عن التجبر والطغيان إلى الخشوع والبر والتقوى .

والحمد لله الذي ختم رسالته إلى بني آدم ببعثة رسوله النبي الأمي العربي ، بشيرًا ونذيرًا بلسان عربي مبين ، وآتاه الكتاب - وهو القرآن - ومثله معه - وهو الحكمة حديثه ﷺ - ليبين به للناس ما أجمله فيما أنزله من كتابه ، وخصه دون سائر الأنبياء بذلك ، فآتاه ﷺ ما لم يؤته نبيًا قبله .

فبالكتاب المنزل ، والسنة المبينة عن الكتاب ؛ ترك أمته ﷺ على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يضل من صدَّق بهما ، واهتدى بهديهما ، واستمسك بعروتهما الوثقى ، وعلم بما جاء فيهما ، ولزم

الجماعة ، وترك الفرقة والخلاف ، فإن الخلاف شر كله ، وبه ضل من كان قبلنا من الأمم .

وبعد ، فهذا « مسند عمر بن الخطاب ﷺ » ، من كتاب « تهذيب الآثار ، وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار » ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله ، وهو آخر ما وقفنا عليه من هذا الكتاب الجليل ، الذي ضاع أكثره ، وبقي منه هذه البقية من « مسند عمر » ، والبقية من « مسند علي بن أبي طالب » ، والبقية من « مسند عبد الله بن عباس » رضي الله عنهم .

وبهذا المسند ؛ « مسند عمر » ، ينتهي عملي في نشر كتاب أبي جعفر ، وقد بذلت فيه الجهد ، وأسأل الله أن يغفر لي ما أسأت ، وأن يتغمد خطئي برحمته سبحانه .

في مقدمة « مسند علي بن أبي طالب » ، وصفت مخطوطة البقية من « مسند عمر » وصفًا مختصرًا ، قيدت فيه ما كان مكتوبًا في الصفحة الأولى ، وما كان مكتوبًا في آخر الصفحة الأخيرة منه ، ولم أستطع أن أزيد على ذلك ؛ لأن المصورة التي كانت عندي يومئذ كانت ضعيفة جدًا ، تصويرها غير بين ، لا يستطاع قراءتها إلا في صفحات قليلة منها، ثم يسر الله استخراج صورة مقروءة بينة ، بعد تجارب كثيرة في استخراج هذه الصورة من « الفلم » التي صورت عليه .

فتبين لي أن هذه النسخة صحيحة جدًا ، كاتبها متقن كل الإتقان ، عالم بالحديث ، ضبطها ضبط المصححين ، فهي إذن قليلة الخطأ ، وخطها من خطوط القرن الرابع بلا شك عندي في ذلك ، وهو لا يخالف المعروف من الإملاء المعهود إلا في مواضع قليلة ، نحو كتابته مثلاً : « هكذى » في موضع « هكذا » ، و « عثمن » و « سفين » في مكان « عثمان » و « سفيان » ، وأشباه ذلك ، بعضه أشرت إليه ، وبعضه أغفلته .

وهو يضع علامة الإهمال على « الراء » و « العين » و « الحاء » في مواضع متفرقة ، مخافة الاشتباه ، ويضبط بعض الكلمات ضبطًا صحيحًا ، توثيقًا للرسم ، ونفيًا للتصحيف ، كفعله في الخبر رقم : ١٥٥ (التعليق ص : ٩٥) ، حيث ضبط قوله : « فقد من الناس » ، وقد كتبت عنها في التعليق عن الخبر ، وهو يكتب أحيانًا مثلاً : « وبعضها واهي » بإثبات الياء ، في قوله : « بعضها واه » ، (انظر ص : ١٥٢ ، التعليق : ٣) ، وأشباه ذلك .

وكاتب النسخة يضع رأس صاد (صـ) للدلالة على الشك في مواضع أشرت إليها في التعليق ، وإذا سقط من كتابته شيء ، وضع عنده علامة إلحاق وكتبه في الهامش .

أما بعد ذلك ؛ فليس في الكتاب خطأ فاحش إلا في ص : ٢٠٠ ، حيث كتب « فجاء بعجل حنيذ » ، فخلط بين آية سورة هود : ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ﴾ [سورة هود : ٦٩] ، وبين آية الذاريات : ﴿ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ﴾ [الذاريات : ٢٦] .

ونسخة هذا الكاتب مراجعة ومقابلة على نسخة شيخه ، وهو يكتب في الهامش عند كل موضع انتهت فيه المراجعة والمقابلة : « بلغ » ، وقد أثبتُّ ذلك في المواضع كلها في تعليقي عند موضع البلوغ .

تأريخ كتابه هذه النسخة من مسند عمر بن الخطاب

من خلال قراءتي لهذا الجزء من مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقفت على خبر هداني إلى تأريخ كتابة هذه المخطوطة من « مسند عمر » ، وإن لم أهتد إلى كاتبها . ففي الخبر رقم : ٢٠٤ ، ما نصه :

٢٠٤ حدثني أبو حميد الحمصي ، أحمد بن المغيرة ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن محمد بن مهاجر ، حدثني الزبيدي ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : يا ويح لبيد حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

قالت عائشة : فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟ = ثم قال الزهري : رحم الله عروة ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟.= ثم قال الزبيدي :

رحم الله الزهري ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟ = قال محمد [بن مهاجر] : وأنا أقول : رحم الله الزبيدي ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟ = قال أبو حميد [الحمصي ، شيخ الطبري] ، قال عثمان [بن سعيد] : ونحن نقول : رحم الله محمدًا ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟ قال أبو جعفر [الطبري] : قال لنا أبو حميد [الحمصي ، أحمد بن المغيرة] : رحم الله عثمان ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟ = قال أبو جعفر [الطبري] : رحم الله أحمد بن المغيرة [أبو حميد الحمصي] ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟ = قال الشيخ : رحم الله أبا جعفر [الطبري] ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟

فهذه سلسلة متواصلة من رواة خبر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، كل راو منهم يتلقى شيخه الذي روى عنه بالترحم عليه قبل أن يقول : « فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟ » ، حتى انتهت السلسلة إلى قوله : « قال الشيخ : رحم الله أبا جعفر ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟ » .

فهذا « الشيخ » المبهم هو راوي كتاب « تهذيب الآثار » عن أبي جعفر الطبري ، وهو أحد أصحابه ، هذه إحدى الدلالتين .

أما الدلالة الأخرى التي تدل عليها هذه العبارة : « قال الشيخ » ، فهي أن كاتب هذه النسخة التي بين أيدينا من « مسند عمر » ، من « تهذيب الآثار » ليس ناسخًا ، بل هو كاتبها ومتلقيها عن « الشيخ » الذي تلقاها عن أبي جعفر الطبري .

ومن الدليل على ذلك ، أن هذه النسخة التي بين أيدينا تبدأ هكذا : « حدثنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ﷺ ، قال : حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، ... » (الحديث : ١) ، ثم لا يعيد ذكر « حدثنا أبو جعفر محمد بن جرير » في جميع أسانيد الكتاب بعد ذلك ، وهذه هي عادة رواة الكتب عندنا في جميع تآليف شيوخهم ، يذكرون روايتهم عن المؤلف في أول الكتاب ، ثم لا يعودون إلى ذلك في سائر أسانيده عنه ، في مجلس بعد مجلس ، قراءته على تلاميذه كتاب « تهذيب الآثار » ، بروايته عن أبي جعفر الطبري .

فإذا صح هذا - وهو صحيح بلا شك - وجب علي أن أنظر في تأريخ كتابة هذه النسخة .

فأول ذلك أنه من المقطوع به أن « تهذيب الآثار » ، هو آخر مؤلفات أبي جعفر ، بدليل أنه توفي قبل أن يتمه ، وأنه كان يوصي تلامذته أن يلزموا قراءة كتابين من كتبه ، هما « البسيط » في فقه مذهبه ، و « التهذيب » ، وأن يجدُّوا في قراءتهما ، ويشتغلوا بهما دون غيرهما من كتبه ، كما روى ذلك ياقوت في معجم الأدباء (٦:٤٤٩) ، ومعنى ذلك أنه ألفهما فيما بين سنة ٣٠٣ ، وسنة ٣١٠ ، وهي السنة التي توفي فيها .

وذلك ؛ لأن أبا جعفر قال لأصحابه : « أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : وكم يكون قدره ؟ قال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما

تفنى فيه الأعمار قبل تمامه ! فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة » ، ثم ثم لما فرغ منه قال لهم : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحو مما ذكره في التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال : إنا لله ، ماتت الهمم ! فاختصره في نحو ما اختصر التفسير » [تاريخ بغداد ٢ : ١٦٤ / طبقات الشافعية للسبكي ٣ : ١٢٤] . وقد ذكر البغدادي والسبكي ، عن أبي بكر بن بالويه : أنه كتب التفسير إملاء عن أبي جعفر من سنة ٢٨٣ إلى سنة ٢٩٠ ، ومن الثابت أيضًا أنه فرغ من إملاء تاريخه سنة ٣٠٣هـ ، كما دلت عليه خاتمة كتاب التاريخ ، ففيه : « قال أبو جعفر : قد ضمنا هذا الكتاب أبوابًا من أوله إلى آخره ، إلى حيث انتهينا إليه من يومنا هذا ، فما كان متأخرًا ذكرناه برواية وسماع ، إن أخر الله في الأجل » .

وقد انتهى في تاريخه إلى سنة ٣٠٢هـ ، ومن ذلك قلت إنه ألف « البسيط » و « التهذيب » ، فيما بين سنة ٣٠٣ وسنة ٣١٠هـ .

وإذا صح ذلك ؛ كان « الشيخ » الذي روى « تهذيب الآثار » حين أملاه أبو جعفر على أصحابه قد فرغ من كتابته عنه في نحو سنة ٣٠٩هـ ، أو بعدها .

فلو فرضنا أنه كان في الثلاثين من عمره يومئذ ، وأن هذا الشيخ أملاه على أصحابه ، وكاتب هذه النسخة أحدهم كما مر ، وهو في

الستين من عمره ، صح عندنا أن كتابته كانت في سنة ٣٤٠هـ أو قبلها أو بعدها بقليل ، أي أنها كتبت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، وخط النسخة ، وقواعد كاتبها في رسم الكلمات دال أيضًا على أنها مكتوبة في القرن الرابع .

هذا ما ينتجه هذه الفرض ، ومع ذلك ؛ فالذي وقع في روعي من ممارسة خطوط هذا القرن أنه غير بعيد أن يكون كاتبها كتبها عن « الشيخ » في حدود سنة ٣٢٥ من الهجرة على الأكثر .

وعسى أن تُظهر الأيام تتمة هذه النسخة من « مسند عمر » ، وأن يكون في آخرها ما يقطع بتاريخ كتابتها .

ومع كل ذلك ؛ فالذي لا شك فيه عندي أن خط النسخة من الخطوط القليلة الباقية التي تنتمي إلى الربع الأول من القرن الرابع الهجري ؛ فهي من النفائس الباقية من خطوط هذا القرن ، وكاتبها من أهل العلم بالحديث ، رواها عن « شيخ » متقن ، أخذها سماعًا من أبي جعفر الطبري ، وهي قريبة العهد من سنة وفاة أبي جعفر في بغداد ، ليومين بقيا من شوال سنة ٣١٠ من الهجرة .

والخصوص والعموم ، والاجتهاد ، وإبطال الاستحسان ، وسائر ما هو معروف من مباحث أصول الفقه . أما « كتاب اللطيف » نفسه فيقع في نحو ألفين وخمسمئة أو أكثر ، فهو على الأقل ثلاثة أضعاف

كتابه المطبوع في التاريخ ، ومع ذلك فإنه اعتذر في أوله عن أنه اختصره اختصارًا كبيرًا ، يا سبحان الله ! ثم اختصر كتابه هذا في كتاب سماه « كتاب الخفيف » ، أراد به أن يجعله صالحًا لتَذَكُّر العالِمِ ، وتمهيدًا للمبتدئ المتعلم ، فوقع اختصاره في أربعمئة ورقة ، أي هو أكبر من ثلث كتابه في التاريخ .

ثم ألف في أخريات عمره كتاب « بسيط القول ، في أحكام شرائع الإسلام » ، ولكنه لم يتمه ؛ فقد وافاه أجله قبل أن يتمه ، وذكر فيه اختلاف المختلفين ، واتفاقهم فيما تكلموا فيه ، على وجه الاستقصاء والتبيين ، يذكر فيه الدلالة التي يستدل بها كل قائل منهم ، ثم يتبع ذلك بالصواب عنده من القول في ذلك ، وخرج منه نحو ألفي ورقة ، أي ضعف كتابه في التاريخ .

وكل هذه الكتب الضخمة - كما رأيت - لم يبق منها في أيدينا شيء اليوم ، وعسى أن يظهر منها شيء فيما بعد ، فأي علم ذهب من علم أبي جعفر ، بضياع أصول مذهبه في الفقه .

أما « تهذيب الآثار » - وهو هذا الكتاب - فلا نعلم مقدار ما خرج منه ، ولكني أستظهر من البقية الباقية من المسانيد الثلاثة : « مسند عمر » ، و « مسند علي » ، و « مسند ابن عباس » أنه خرجه منه ما يزيد على ما خرجه من « كتاب البسيط » في الفقه ، وهذا الباقي منه

- على قلته ، والذي أعانني الله على نشره - يتضمن قدرًا كبيرًا من طريقته في الاحتجاج لمذهبه الذي ضاعت كتبه .

وإذا ضم إلى ما تفرق له من الاحتجاج لمذهبه في كتاب الكبير الذي نجا من الضياع ، وهو « جامع البيان ، عن تأويل

❊ ❊ ❊

عبارات خاصة في بعض مؤلفاته « جمهرة المقالات » الجزء الأول

١- وأجدد بعادي ٣٧

٢- كلا ولا ٣٨

٣- العقول المتغضنة - فتجدون النفس المتغضنة ١٨٤

٤- ردغة الخبال ٩٧

٥- احتقب الخير ١٩٩

٦- متخففًا ٢٣٧

٧- في كرب بغتُّه ٢٥٥

٨- كارب الوقت ٢٧٧

٩- لم ينتحلا الكلام ٥٦٠

١٠- اجترمته ٥٧٧ نهيته ٥٧٧

الجزء الثاني

١- لا يشيل بالوافي ٦٦٣

٢- في بلهنية من العيش ٨٥٩

٣- المغمض في سرقته : أي الماضي في سرقته ٨٦٨

٤- تتذاءب بين يدي أصناف الطبائع ٢/ ٩٧٩

❋ ❋ ❋

كتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكار بين تحقيق العلامة محمود شاكر وجهود العلامة حمد الجاسر

علم الأنساب له قيمة كبرى وأهمية قصوى ، وهو علم جليل ؛ إذ به يكون التعارف - كما يقول ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢ -

وهو طريق إلى صلة الرحم ، ووشيجة تربط بين أفراد الأسرة أو القبيلة ، وبه تقوى أواصر الصلة بين الناس وأفراد الأمة .

وجاء الحث على التماسه في حديث الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ؛ فإن صلة الرحمة محبة في الأهل ، ومثراة في المال ، ومنسأة في الأجل ، ومرضاة للرب » . مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٧٤ ، وإسناده جيد كما ذكر الشيخ ناصر الألباني في الأحاديث الصحيحة رقم ٢٧٦ .

وكان الخلفاء الراشدون وبعض الصحابة والتابعين على علم بالأنساب، ومنهم من له قدم راسخة في العلم بجميع أنساب العرب ؛ مثل أبي بكر الصديق ، وأبي الجهد بن حذيفة العدوي ، وجبير بن مطعم .

ومن التابعين : سعيد بن المسيب ، وابنه محمد بن سعيد ، والزهري . انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ٥ .

وقد عني به العلماء الأوائل عناية واضحة ، وألفوا فيه كتبًا كثيرة في الأنساب عامة أو خاصة ، ومن بينها ، بل من أهمها كتاب « جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكار » .

وقد بقي هذا الكتاب القيم طي الكتمان والنسيان ، إلى أن قيض الله له العلامة حمد الجاسر ، الذي وقف عليه وسعى في نشره ، ثم قام بتحقيق القسم الأول منه العلامة محمود محمد شاكر .

وفي هذه العجالة أود أن أقف على جهد هذين العلمين البارعين اللامعين في نشر هذا الكتاب وتحقيقه ، إلى جانب التعريف الموجز بمؤلف الكتاب ، ونهجه ، ومضمون كتابه .

مؤلفه هو الزبير بن بكار بن بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي ثم الأسدي ثم المديني ، من علماء الرعيل الأول في المدينة النبوية ، له قدم راسخة في علم الأنساب وأخبار المتقدمين ، وسائر الماضين كما يقول الخطيب البغدادي .

تحدث عنه العلامة محمود شاكر في مقدمة التحقيق مشيداً بمكانته ومنزلته حين عده أحد أساطين الرواية في القرن الثالث للهجرة ، وأحد الحفاظ المتقنين للأخبار ؛ أخبار العرب في جاهليتها وإسلامها ، ولاسيما أخبار أهل الحجاز (ص٧) .

وهو ثقة ثبت عند كثير من أهل العلم ، ومنهم الخطيب البغدادي ، وأبو القاسم البغوي ، والحافظ الذهبي ، والحافظ ابن حجر ، وقد دافع عنه الأخيران ونفيا ما قيل عنه من جرح مردود لا يلتفت إليه (مقدمة التحقق ص٥٣) .

وأكد العلامة محمود شاكر مكانته في الرواية حين قال : « ورواية الزبير كانت عمدة الناس في زمانه وبعد زمانه لما امتاز به من التقصي والجمع والإحاطة ، وقلَّ أن يخلو كتاب قديم في التاريخ والأدب من رواية مستفيضة عن الزبير بن بكار ، (مقدمة التحقيق ص٧) .

تولى قضاء مكة وله شيوخ وتلاميذ كثر ، ذكرهم الحافظ المزي في تهذيب الكمال . والسخاوي في التحفة اللطيفة ، والبغدادي في تاريخ بغداد ، وابن النديم في الفهرست (انظر مقدمة التحقيق ص٦١-٦٤) .

وله كتب كثيرة تصل إلى تسعة وثلاثين كتاباً ، ذَكَرَتها المصادر التي ترجمت له (انظر مقدمة التحقيق ص٦٥-٦٧) .

ويلاحظ من خلال عناوين كتبه أن له عناية واضحة بأخبار الأشخاص ؛ إذ جُلُّ مؤلفاته حول ذلك مثل أخبار حسان ، وأخبار عمر بن أبي ربيعة ، وأخبار أبي دهبل ، وأخبار حاتم الطائي ، وغيرها .

توفي رحمه الله ليلة الأحد لتسع بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين ، وبلغ من السن أربعاً وثمانين سنة ، دُفن في مقبرة الحجون بمكة .

❊ ❊ ❊

محتوى الكتاب ونهج مؤلفه

يُعد هذا الكتاب من المصادر الأولى للأنساب ؛ إذ إن مؤلفه من أهل القرن الثالث الهجري ، واتجه به إلى قريش ، وعني بأخبار رجالها ، مع التركيز على آل الزبير بشكل واضح .

وقد تحدث العلامة محمود شاكر عن الكتاب في مقدمة تحقيقه ، وألمح إلى شيء من مضمونه وأهميته ونهج مؤلفه حين وصفه بأنه : « كتاب فريد في بابه ، معاين لما عرفه من كتب الأنساب في منهاجه ، قد حوى ذخيرة من ذخائر الأدب والشعر والأخبار ما قل وجوده في كتب أسلافنا » (مقدمة التحقيق ص٨) .

وحينما يتحدث المؤلف عن شخصية أو علم درج على أن يتلمس ما يعرفه من أخبارها وما لها من معقب ، وقد يطول الحديث عن بعض الشخصيات كما حدث في أخبار حكيم بين حزام بن خويلد ؛ حيث استغرق الحديث عنه ما يقرب من ثلاثين صفحة (من ٣٦٦ إلى ٣٩٦) تناول فيها مناقبه ، وما ورد حوله من آثار وأخبار وأشعار ، وبعض ما رواه من أحاديث ، وأفاض المؤلف في ذكر ما وقف عليه من أشعار تدور حول الشخصية التي يتحدث عنها ، وكثير من هذه الأشعار

مما انفرد به المؤلف ، ولم يرد في بعض ما وصل إلينا من الدواوين مرويًا أو مجموعاً ، كما أشار المحقق في بعض حواشيه على الكتاب .

ويتسم الكتاب بمميزات عديدة تطرق لها محقق الكتاب ، واستبانت له من خلال مقارنته بغيره من كتب الأنساب ومن أهمها ما يأتي :

١- أن المؤلف جنح إلى تخير أخبار دالة على عقول أصحابها ونفوسهم ، وصفاتهم وشمائلهم ومنازلهم في الناس ؛ بفضل السمات الظاهرة في أخلاقهم ... ، وأراد بأخباره أن يصور باللمحة الدالة وبالحادثة المبينة معارف شخصية الرجل أو معالم حياته في إطار النسب الحافل برجال القبيلة ونسائها منذ الجاهلية إلى منتصف القرن الثالث ، كما أن نسب البطن من بطن قريش في كتاب الزبير ينبض بالحياة على حين أن سائر كتب النسب كأنها دمى مرصوصة .

٢- أن الكتاب أمدنا بقدر وافر من الوثائق النافعة في الاستدلال على الحياة الاجتماعية في الجاهلية والإسلام تنفي ما حام حولها من زيف ناتج من سوء بصر بعض المتهجمين اعتماداً على سواقط الأخبار وشواذها دون حقائقها .

على أن الكتاب في طبعته الثانية الكاملة يقع في مجلدين تبلغ صفحاتهما (١١٧٠) صفحة . والذي بين يدى الآن وأتحدث عنه هو المجلد الأول ، ويقع في (٥٠٨) صفحات ، وتطرق المؤلف هنا

لعدد من أعلام وشخصيات قريش على النهج الذي أشرت إليه سابقاً وهم بنو أسد بن عبد العزى ، وولد عبد الله بن الزبير بن العوام ، وولد حمزة بن عبد الله بن الزبير ، ويحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزبير وأولاده ، ولد عباد بن حمزة ، وعباد بن عبد الله بن الزبير وأبناؤه ، ثابت بن عبد الله بن الزبير وأبناؤه ، مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وولده ، عامر بن عبد الله بن الزبير وولده ، ولد موسى بن عبد الله بن الزبير ، ولد عبد الله بن الزبير ، ولد المنذر بن الزبير بن العوام ، ولد عروة بن الزبير بن العوام ، ولد مصعب بن الزبير بن العوام ، ولد خالد بن الزبير بن العوام ، ولد عمرو بن الزبير بن العوام ، ولد جعفر بن الزبير بن العوام ، عبيدة بن الزبير ، ولد عبد الرحمن بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، ولد حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، ولد نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، ولد نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ولد الحويرث بن أسد بن عبد العزى ، ولد حبيب بن أسد بن عبد العزى ، ولد الحارث بن أسد بن عبد العزى ، ولد هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، ولد المطلب بن أسد بن عبد العزى ، ولد زمعة بن الأسود .

وقد ذيل الكتاب بفهارس مفصلة تفصح عن محتواه من أخبار وأشعار وأعلام ومواضع ، وغير ذلك من أصناف الفهارس التي يحتاجها الكتاب ، وقام بصنع هذه الفهارس الأستاذ عباس هاني .

٣- تولى تحقيق هذا الكتاب العلامة محمود محمد شاكر ، وهو قمة شامخة في اللغة العربية وعلومها ، وأدبها شعراً ونثراً أوتي حظًّا وافرًا من البصر بأسرارها وأساليبها ، وملك ناصية البيان فيها ، وهام في حبها ، وتفانى في الدفاع عن القرآن ولغته ، وعن تراثنا الإسلامي المجيد الذي كان محط رعايته واهتمامه بحثاً وتحقيقاً ، والتزم في ذلك نهجاً فريداً يتميز بالدقة والعمق ، وسعة العلم والاطلاع .

ومن أشهر أعماله : تحقيقه لتفسير الإمام الطبري ، الذي خرج في ستة عشر مجلداً ، وكتاب تهذيب الآثار للطبري أيضاً في ثمانية أجزاء ، وطبقات فحول الشعراء للجمحي في مجلدين ، وإمتاع الأسماع المجلد الأول ، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني وغيرها .

ويبدو أن خط الكتاب متفاوت عند المحقق ؛ حيث عنى بقسم منه عناية فائقة ، وحققه تحقيقاً كاملاً ، والقسم الآخر لم يكن له نصيب من ذلك سوى أنه نسخة خطية وصححه ، ولم يتسن له استكمال تحقيقه على غرار القسم الأول ، وهذا العمل هو الذي عني العلامة حمد الجاسر بنشره في هذه الطبعة الجديدة التي أتحدث عنها .

وقد ألمح العلامة حمد الجاسر إلى شيء من نهج المحقق ، وأشاد بجهوده وعمله المتميز في تحقيق هذا الكتاب حين قال : « واتجه لهذا العمل متفرغًا دائبًا حتى أبرزه على خير صورة في مدة يسيرة ، وكان عمله أسبغ الله عليه شآبيب المغفرة والرضوان متميزاً في كل جانب من جوانبه ، فلم يكن تحقيقًا للنصوص فحسب ، بل كان شرحًا وافيًا ، أورد النصوص مكملة موثقة بالرجوع إلى كثير من مصادرها الأولى ، ولم يكتف بذلك بل نبه إلى ما وقع في بعضها من أخطاء النشر وغيرها ، وأوضح معانى المفردات والجمل اللغوية ، ولم تفته الإشارة إلى بعض ما أخلت به كتب اللغة منها ، وأبدى ملاحظات قيمة تتصل بالجوانب التاريخية ؛ كتراجم بعض الأعلام ، منبهًا إلى ما له صلة بها من أوهام القدماء ، مع وصف مفصل لمخطوطة الأصل مما قلَّ أن يُعهد مثله فيما علمته منشوراً محققاً من المؤلفات .

ومجمل القول أنه سيتعب من يحاول السير على نهجه في تحقيقه بقية الكتاب ، أو غيره من المؤلفات بمثل ذلك العمل الجليل » (المقدمة ص٣ ، ٤) .

واعتمد المحقق على نسختين خطيتين ، أولهما : نسخة بختيار المحفوظة بمكتبة بودليان بأكسفورد ، والنسخة الثانية : نسخة الجواني ، وهي نسخة مصورة من مكتبة كوبرلي بتركيا .

والنسخة الأولى هي النسخة الأم التي اعتمد عليها المحقق ، وهي ليست كاملة ؛ إذ فيها نقص من أولها ، ذلك أن أصل الكتاب يقع في ثلاثة وعشرين جزءًا ، بينما الذي وصل إلينا من هذه النسخة يبدأ من الجزء الثالث عشر إلى الجزء الثالث والعشرين ، أي هناك نقص بمقدار عشرة أجزاء ، والمقصود بالجزء على التقسيم القديم هو ما يعادل عشرين ورقة ، أما النسخة الثانية فليست سوى قطعة تمثل خمس النسخة الأولى ، وعشر الكتاب كله تقريباً .

وقد أفاض المحقق في وصف النسختين وصفًا دقيقًا ، اشتمل على دراسة توثيقية متأنية يندر أن تجد لها مثيلاً عند من يشتغل في تحقيق التراث ؛ تتبع فيها سند النسخة ، والتعريف بناسخها بقصد توثيقها توثيقًا علميًا ، ومن خلال هذه الدراسة تبين أن النسخة الأولى موثقة ، وتم نسخها سنة : سبع وأربعين وخمسمائة بمدينة السلام ، ورواة النسخة حفاظ ، وكذلك الشأن بالنسبة لنسخة الجواني .

وقد قارن المحقق بين النسختين وأفصح عما تجلَّى له من معلومات وملحوظات هامة جدًا ، تعطى تصورًا شاملاً عنهما ؛ حتى لكأن من يقرأ هذا الوصف يجد أنه يعيش بين النسختين عيانًا ومشاهدة وإن لم يطلع على أصولهما ، إلى جانب ما لهذه الدراسة التوثيقية من أهمية في ترسيخ الثقة بنسخ الكتاب ، وهو أمر تحتاج إليه في تحقيق المخطوطات ،

ويغفله ولا يهتم به كثير من يشتغلون بالتحقيق ، ومن خلال التصفح السريع لعمل العلامة محمود شاكر في تحقيق الكتاب يمكن أن أستخلص بعض المعالم لهذا العمل الجليل مكتفيًا بذكر رقم الصفحة ورقم الحاشية فيما يأتي :

١- التنبيه في الحاشية على ما فات الدواوين من شعر ص٧١ ج٢ ، ص١١٠ ج٤ .

٢- تعليل وتحقيق بعض القراءات لغويًا ونحويًا ص٧٢ ج٦ .

٣- الالتزام بإيراد ما يذكر في هامش الأصل من تعليقات وملحوظات ص٧٣ ج٤ ، ص٧٦ ج٦١ .

٤- ملاحظة ما يقع في نسخة الأصل من تعديلات والتنبيه عليه في الحاشية ص٧٤ ج٤ .

٥- المقارنة بين قراءة الأصل وقراءة بعض المصادر ، وترجيح قراءة الأصل مع التعليل ص٧٥ج٣ ، وأحيانًا قد يرجح قراءة بعض المصادر على ما ورد في الأصل ص٨٦ ج٤ .

٦- تصويب ما يرد في صلب النص من خطأ مع التعليل في الهامش إذا تم التأكد من صواب ذلك وخطأ ما في الأصل ، ص٧٦ ج٤ .

٧- الإبقاء على قراءة الأصل إذا كانت محتملة ، والإشارة في الهامش إلى ما يقدر أنه الصواب ص٧٨ ج٤ .

٨- التنبيه في الهامش على ما فات كتب اللغة من ألفاظ ، أو اختلت في بيانه ص٧٩ ج٤ ، وتكرر ذلك في مواطن عديدة ص٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، وغيرها ، وهو أمر ذو بال يدل على صحة الإحاطة باللغة والتتبع الدقيق للمعاجم اللغوية .

٩- التنبيه على ما يقع فيه بعض المحققين من أخطاء في قراءة النص ، أو اختيارهم لقراءات مرجوحة ، ومناقشة بعض العلماء السابقين في معانى بعض العبارات ص٨٧ ج١ مما يدل على سعة الاطلاع والدراية والعلم ، وانظر أيضًا ص٤٢٠ ج١ ، ص١٢٠ ج٣ .

١٠- التنبيه على الاختلاف في الضبط بالشكل مع التدقيق والتحقيق في ذلك ص٩٥ ج١ ، ص١٢٠ج٢ .

١١- الاجتهاد في قراءة ما ليس واضحاً في المخطوطة ص١٠٦ ج٤ .

١٢- إيراد الإجازات والقراءات التي ترد في النسخة عند نهاية كل جزء ، وذلك في هامش التحقيق ص١٥٦ ج٣ .

١٣- الإبقاء في صلب الأصل على ما في قراءاته شك من ألفاظ ، مما يبدو أنه من قبيل الخطأ عند المحقق ، والتنبيه على ذلك في الهامش ص١٧٤ ج٣ ، أو تقدير ما هو صواب في الهامش ص١٩٦ ج٣ .

١٤- المحافظة على قراءة الأصل في بعض الكلمات ما دام لها وجه في العربية ، وإن وجد ما هو أجود منه ص١٧٧ ج٦ .

١٥- وضع الزيادات على الأصل من النسخ الأخرى في الصلب والإشارة إلى ذلك في الهامش ص٢٠٩ ج٦ .

١٦- الإبقاء على الكلمة التي لا دلالة لها في الأصل ، ومحاولة التوصل إلى القراءة الصحيحة لها في الهامش دون تغييرها في الصلب ص٣١٣ ج٦ ، ص٢١٤ ج٣ .

وعلى هذا النهج الدقيق والعميق من التحقيق سار العلامة محمود شاكر في تحقيق هذا الكتاب ، وفيما حققه من كتب أخرى ، واحتل بذلك مكانة عالية ، ومنزلة رفيعة مرموقة بين العلماء والمحققين .

جهود العلامة حمد الجاسر في نشر الكتاب :

ويعود الفضل أولاً وأخيراً في نشر هذا الكتاب وإخراجه إلى الناس محققاً إلى الله ثم إلى العلامة حمد الجاسر ؛ فهو الذي وقف على مخطوطة الكتاب ، واطلع عليه فوجده - كما ذكر - جديراً بالنشر ؛ لأنه يحوى جزءاً من تراثنا الأصيل شعراً وأخباراً ، وأدباً ونسباً ، مما جعله يحرص على نشره بصورة علمية توازي قيمة الكتاب وأهميته .

وحين عزم على ذلك لم يجد أولى لهذه المهمة من العالم الجليل : الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله ؛ لما عرف عنه من عناية بالغة واتجاه قوي وسعة اطلاع ، وحرص على إبراز هذا التراث بخير صورة

وأصحها ، فما كان منه إلا أن دفعه إليه ومعه نفقة التحقيق التي آثر بها نشر الكتاب على حساب حاجاته الضرورية آنذاك .

وقد قدر العلامة محمود شاكر هذه البادرة من الشيخ حمد أيما تقدير ، وأشاد بفضله في إخراج هذا الكتاب إلى النور حين قال : « وأحق شيء بالتقديم بين يدى هذا الكتاب الجليل ، هو ذكر الرجل الذي كان له الفضل الأول في إيقافي عليه ، ثم في بعث همتي إلى نشره ؛ أخي الأستاذ العلامة الشيخ حمد الجاسر ، أعلم من عرفت ببلاد جزيرة العرب وأخبارها وأنسابها في زماننا هذا ...

ثم لم يقتصر فضل حمد على الهدية والحث ، بل تجاوز ذلك إلى بذل كل ما تطيقه أريحية عالم يذكر حق العلم وينسى حق نفسه ، فكل فضل في نشر هذا الأثر الجليل ، فهو له خالصاً ، فجزاه الله جزاء المحسنين من عباده (المقدمة ص٧ ، ٨) .

وفور اطلاع العلامة محمود شاكر على الكتاب وجد أنه كتاب نفيس وجدير بالتحقيق فعكف على تحقيقه ، إلى أن أنجز القسم الأول منه عام ١٣٨١هـ ثم توقف ولم يواصل تحقيق الكتاب إلى أن وافته المنية في شهر ربيع عام ١٤١٨هـ رحمه الله ، وكان الشيخ حمد يذكره باستكمال تحقيق الكتاب كلما واتته الفرصة ، ثم تحركت عند الشيخ حمد

الرغبة من جديد في العام الماضي لإخراج هذا الكتاب كاملاً بقسميه الأول والثاني .

أما الأول فهو الذي قام بتحقيقه الأستاذ محمود شاكر تحقيقاً كاملاً شاملاً مع التعليقات المفيدة ، أما القسم الثاني فقد ارتأى الشيخ حمد أن ينشره على ما قام به الأستاذ محمود من جهد تمهيدي للتحقيق ، تمثل في نسخ المخطوطة بخطه ، وترتيب جملها وترقيمها ، ومقابلة نصوصها بما وصل إلينا من أصل دون تعليقات أو حواش سوى بعض الإرشادات التي تدل على المقابلة والرجوع إلى بعض المصادر التي تلزم التحقيق ، وكان قصد الشيخ حمد هو المبادرة بإخراج هذا الكتاب النفيس كاملاً مصححًا ومحرراً تحريراً علميًا إلى أن يتيهأ له من يعمل على استكمال ما يتطلبه التحقيق من تعليقات ، وتخريج للنصوص .

ولا بد من الإشارة إلى أن العلامة حمد الجاسر كان له أثر واضح في حواشي القسم الأول ؛ إذ كانت له تعقيبات واستدراكات وضعها بين معكوفين ورمز لها بحرف (ح) وتدور حول أمور عديدة منها ما يأتي :

١- رجع فيها إلى مخطوطة مختصر الجمهرة ، واستكمل منها بعض ما ينقص الأصل . انظر ص٩٠ ج٤ ، ص٩٢ ج٣ .

٢- استكمال شرح بعض الألفاظ كما جاء في ص١٣٩ ج٤ ، أو شرح ما فات المحقق شرحه ص٢١١ ج٤ .

٣- إضافة بعض المصادر على ما ذكره المحقق ص١٣٩ ج١ .

٤- استدراكات على تعريف المحقق ببعض المواضع كما جاء ص١٨٢ ، ٢١٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤ ، ٣٢١ .

وفي نهاية المطاف لا بد أن أذكر بالشكر والتقدير أسرة العلامة محمود شاكر ، وعلى رأسهم ابنه الدكتور فهر ، حيث بادروا بالموافقة على إعادة نشر الكتاب كاملاً دون قيد أو شرط ، فور علمهم برغبة الشيخ حمد في نشره .



قبس من سيرته في عبارات من مؤلفاته وكتاباته

احترام الناس وإنزالهم منازلهم :

وقبل كل شيء ؛ فليس من عادتي أيضًا أن أرفع الناس فوق منازلهم ، ولا أن أضعهم دون منازلهم ، لا نصًّا بكلام أكتبه ، ولا استنباطًا يمكن أن يستنبطه قارئ لما أكتب ، إلا أن يتوهم متوهم أشياء ، فأنا بالطبع غير مسؤول عن هذا التوهم .

كل ما أملك هو قلم ، أعبر به عن رأي أكتبه ، أكتبه بألفاظ محددة صريحة ، بلا رموز ولا إشارات ولا مخاتلة .

هذا كل ما أملك ، وهذا كل ما سأفعله هنا الآن ؛ لأنه غاية قدرتي[١] .

حقيقة ما بينه وبين طه حسين :

فإذا جاء كاتب - كالدكتور المقالح هذا - يقول : إني أتهم الدكتور طه بتهمة تعطيه من التأثير أكثر مما تعطى للاستعمار والصهيونية وقُوَى التخريب المختلفة ، وتمنحه قدرة خارقة لم تكن عفاريت الأساطير تمل بعضًا منها ، فهذا الجائي - بلا شك عندي - لم يقرأ لي شيئًا قط ، أو قرأ

---

(١) جمهرة المقالات (٢/ ١٢٣٧) .

ولم يفهم ، أو فهم شيئًا عن طريق التوهم ، لا عن طريق الاستنباط من لفظي وكلامي[١] .

فأنا قد عرفت الدكتور طه ، وقرأت له منذ كنت صغيرًا في الرابعة عشرة من عمري سنة ١٩٢٣م ، إلى أن توفي سنة ١٩٧٣م ، عرفته قارئًا وتلميذًا له في الجامعة ، ثم رجلاً بيني وبينه من المودة ، مع بُعد الشُّقة بيننا والاختلاف زمنًا أطول من مدة القراءة والتلمذة .

فليس إذن بمستساغ ولا معقول أن أخالف عادتي فأرفعه فوق منزلته عندي .

لا يغضب من النقد الهادف :

فمن أجل ذلك أجدني لا أغضب إذا دلني أحد على خطأ قارفته ، ولا أستنكف أن أعترف بخطأ ارتكبته ، ولا أستتر من عيب اجترحته ، ولا يسوؤني أن ينقدني ناقد ظالمًا أو غير ظالم ، ولا أعده غضًّا لشأني ، ولا وضيعة تحط مني أن يقول قارئ أو كاتب أو ناقد جهارًا وعلانية ووجهًا لوجه : إن كتابي لا يعجبه ، أو إنه كتاب لا قيمة له .

لم أكتب شيئًا قط وأنا أتلفت يمينًا وشمالاً ، أراقب ما يعقبه على كلامي من رضى أو سخط ، ولم أخط حرفًا إلا وأنا على ثقة ويقين من

---

(١) جمهرة المقالات (٢/ ١٢٣٧) .

أن الناس مختلفون فيه لا محالة بين قادح وظالم ، وبين مادح ظالم يظلمني ويظلم نفسه بالغلو في الثناء .

واعلم إذن - إن كنت لا تعلم - أن أحب الأمرين إلي : أن تنقدني مخالفًا لي ، أو مظهرًا لخطأ كان مني ، أو دالاً لي على طريق جُرْت عنه غرورًا بنفسي أو اتباعًا لهواي .

ثم اعلم بعد ذلك أيضًا أني لا أبيت ليلة طاويًا ضلوعي على حفيظة تؤرقني ؛ من إساءة أحد يسيء إليَّ متعمدًا أو غير متعمد(١) .

مناجاة بين النجوم والكتاب :

أيتها النجوم الخاشعة المشرقة في معبد الزمن السرمدي ! أنت دائمًا أُنسي وراحتي وصديقي ، ولكن الكتاب أيضًا صديق يحدثني حديث العقول الناسكة المضيئة في معبد العقل الأبدي .

أفتأذنين - أيتها النجوم ! - أن أخلو إلى شيخي أبي عثمان ساعة من ليلك ؛ أسمع في صمت كتابه صدى لسان المتكلم من أقصى الماضي ؟ قولي : نعم ! وخلاك ذم(٢) .

---

(١) جمهرة المقالات (٢/ ١٠٩٥) .

(٢) جمهرة المقالات (٢/ ٨٧٠) .

تقديره لأساتذته، وشكره لمن وقف معه في إصدار مجلة العصور:

لم يزل هذا القلب يكلفني من عواطفه يومًا بعد يوم، ويطالبني أن أجزي عن كل إحسان بما يعجزني ويعجزه.

وحين أصدرت العدد الأول من «العصور» تجلت له عواطف أصحابه وأحبابه، وأشرق عليه من بشرهم وترحيبهم ما لا وفاء لي ولا له ببعض مثله.

ومن حيَّاني سرًّا فأنا أرد تحيته هنا علانية، ومن قدم إلي من معروفه علانية؛ فأنا أحفظ له الشكر في نفسي ما بقيت.

وأخص في هذا المكان أستاذي الأول، ومرشدي وصديقي الأستاذ محب الدين الخطيب، صاحب المكتبة السلفية ومجلة الفتح، وأستاذي وصديقي الأستاذ أحمد حسن الزيات، صاحب الرسالة والرواية، أخصهما بكل ما أملك من هذه الدنيا التي يتنازع عليها الطغاة البغاة...

أخصهما بقلبي وإن قل[1].

جو الكتابة عنده:

من عادتي - إذا ما استبهم علي نفاذ الرأي - أن أعدل بأفكاري إلى الليل، فهو أحصن لها وأجمع.

---

(١) جمهرة المقالات (٢/ ٨١٣).

فإذا كان الليل ، وهدأت النائرة ، وأوى الناس إلى مضاجعهم ، واستكنت عقارب الحياة في أحجارها ، تفلتُّ من مكاني إلى غرفتي ، أسدل ستائرها ، وأغلق أبوابها ونوافذها ، وأصنع لنفسي ليلًا مع الليل ، وسكونًا مع السكون ، ثم أقعد متحفزًا متجمعًا خاشعًا ، أملأ عيني من ظلام أسود ، ثم أدع أفكاري وعواطفي وأحلامي تتعارف بينها ساعة من زمان ، حتى إذا ماجت النفس موجها بين المد والجزر ، ثم قرت وسكنت ، وعاد تيارها المتدفق رهوًا ساجيًا كسعادة الطفولة ، دلفت إلى مكتبي أستعين الله على البلاء[1] .

النصيحة لقراءة ما كتبه المازني عن طه حسين في كتابه قبض الريح :

وأنا أنصح من يريد أن يفهم ما تنطوي عليه كلمات الدكتور طه في كتبه أن يرجع إلى هذه الفصول التي كتبها المازني في « قبض الريح » فيقرأها ويتدبرها ؛ فإنها من أجود ما يكتب ، وأحسن ما يعينك على التغلغل في أسرار طائفة من النفوس الإنسانية ومنهجها ، وإدراك ما ترمي إليه في أحاديها وأشعارها وأخبارها وتأليفها واختيارها وما إلى ذلك .

---

(١) جمهرة المقالات (١/ ٥٢) .

توجيهه للقراء ونصحه لهم :

لقد أكثرنا من نقل شعر أبي الطيب ؛ إذ كان السياق الآن يقتضي ذلك ، ولئلا نقطع القارئ بالرجوع إلى الديوان ، ثم لنختصر القول من ناحية أخرى ، فعلى القارئ أن يستنبط ويستخرج المعاني على الأصول التي درجنا عليها في كتابنا هذا ، والتدبر والتأمل هما الأصول في العلم والاستنباط ...[(١)]

التواضع واستحضار القارئ والمتلقي :

اعلم أننا لو أردنا أن نقفك عند لفظ من الأبيات ، ونكتب لك الرأي كله مقيدًا ؛ لطوينا بذلك ورقات من هذا الحديث ، ولكان ذلك قاطعًا لنا عن إتمام هذا العدد من المقتطف .

فلا بد لك إذن من النظر ، ثم النظر ، ولعلك بالغ بقوتك ما لم نبلغه بضعفنا ، وفقنا الله وإياك .

تواضع العلماء ، والاعتذار عن احتمال التقصير :

ويجمل بنا هنا أن نعود بك إلى الأبيات التي ذكرناها ، ونبين ذلك فيها ... ونسألك أن تعذرنا إذا قصرنا ، وأن تسددنا إذا أخطأنا ، وأن

---

(١) المتنبي (ص ١٥٨) .

تصبر على ما نستطرد فيه من الكلام بصبر لا يفت منه الملل ، فلا حكم لملول ولا مترع[(١)] .

معاناة الكاتب في التعبير عن فكره :

وأعرف رجلاً من أصدقائي الكتاب ؛ إذا حمل القلم وكتب كلمات ، ألقى قلمه ضجرًا يائسًا متململاً من عسر المدخل الذي دخل به على ما أراد ، فإذا عاد ؛ عاد القلم إلى جماحه وتعذره ، ولا يزال كذلك مرة بعد مرة ، حتى يرى قلمه قد رضي وأطاع ، ومضى إلى آخر حرف من المقالة ، غير متوقف ولا متلعثم[(٢)] .

حالة التأبي وعصيان القلم ، حاله مع الشعر :

وأنا قد جربت نفسي ، فرأيتني إذا أردت أن أكتب أحيانًا شعرًا يدور في قلبي ويلح على خاطري ، فأمسكت أي الأقلام وقعت عليه يدي ؛ فإذا هو عصي عنيد لا تلين له سن أو قناة - على ما يقولون - فإذا ألقيته وحملت القلم الذي اعتدت زمانًا أن أكتب به الشعر ، أو الذي اعتاد هو أن يكتب لي الشعر ؛ انطلق على سجيته طيِّعًا رفيقًا سهل

(١) المتنبي (ص ٢٠٢) .

(٢) جمهرة المقالات (١/ ٢٩٧) .

المقادة ، حسن التهدي إلى قبلة الشعر ، فأحب الآراء إلي أن أجعل للقلم شخصية منفصلة ، تعين الكاتب أو تعانده ، فذلك أشبه بالسلطان العريض العظيم الذي فرضته الأقلام على الحياة ، والذي لولاه لعاش الإنسان ومات وكأنه لم يوجد قط[١] .

تعليله لقساوة ألفاظه :

وقد يشق عليك أن تسمع هذه الألفاظ ملقاة بهذه الصراحة .

ونعم ؛ إنها لألفاظ قاسية شديدة ، ولكن إطلاق مثل لويس عوض على الناس أقسى من ألفاظي وأفتك .

وأنا لا أقولها تلذذًا بإعادتها وتكرارها ؛ فلويس عوض كما هو الآن بيِّن لك ، وإن كنت جعلت ذلك من مقتطفات شتائمي : « ليس له قيمة عندي من حيث هو كاتب » ، لأني لا أعد أمثال « لامنس » ، أو « لويس شيخو » ، أو « زويمر » ، أو « ماسنيون » ، أو من شئت من هؤلاء المبشرين الثقلاء ، المدعين الكذبة ، لا أعد أحدًا منهم كاتبًا[٢] .

هادئ لا يهاجم :

ولقد علم من لم يكن يعلم أني كتبت ما سلف هادئًا لا أهاجم ، إلا

(١) جمهرة المقالات (١/ ٢٩٧) .

(٢) أباطيل وأسمار (ص ٣٨٢) .

أن أترفق وأستأني ، وأتصبر على كلام ينفد معه صبر الحليم ... وأنا - وإن كنت لا أبالي بشيء مما يصف الأستاذ الكامل به كلامي - فأنا لا زلت أحفظ للقراء عهدهم قبل الكتَّاب ، فلا أدع القارئ عرضة لرجل يفهم القول الرفيع بالفهم الوضيع ، ولا لرجل يسيء القول في الناس ، ويأبى عليهم أن يقولوا له : أسأت ، فأجمل ، ولا لرجل يرى الظل ممدودًا له - زمن القيظ - فيتجنبه إلى وقدة الشمس[١] .

مع القلم وفن الارتجال ، والقلم لسانه :

كان مفروضًا - أو هكذا سولت لي نفسي - أن أرتجل كلمة أجعلها مدخلاً إلى ما سوف أحدثكم عنه ، ولكن لما دنا موعد هذا اللقاء خفت وجزعت ، فآثرت أن لا أورط نفسي في أسبوع واحد مرتين ، وحسبي ما ورطني فيه أخي وصديقي أبو فهد ، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي منذ أيام قلائل - كما يعلم بعضكم ، غفر الله لي وله -

فأنا أجد حرجًا شديد الشراسة ، قابضًا على أكظامي ، يأخذني أخذًا عنيفًا إذا ما قُدِّر علي أن أقف في جَمْع من الناس مرتجلاً للكلام . فهذه ليست صناعتي ، لم آلفها ، ولم أمارسها قط .

(١) جمهرة المقالات (١/ ٢١) .

في صدر حياتي ، حين كنت طالبًا في الجامعة ، وحين كنت شابًا صغيرًا أتابع بعض ما كان في المحاضرات في زماني الأول البعيد[١] .

لست محاضرًا ، ولا أستاذًا جامعيًا :

وإذن ؛ فينبغي أن أبرئ ذمتي ، فأقول لكم : إني لست محاضرًا ، ولست أستاذًا جامعيًا دارسًا[٢] .

مخاطبة القارئ وإشراكه في تأمل شعر المتنبي :

أظن أن القارئ ليس في حاجة بعد إلى الوقوف به عند كل مفصل للقول ؛ ففي ما قدمناه من المنهج كفاية له ، وحسبه أن يطمئن عند كل بيت اطمئنان المستغرق في التدبر ، فتنفجر في نفسه المعاني ، وبذلك يرى حقيقة الرجل ممثلة مجسمة في ألفاظه وأبياته[٣] .

ولن تعرف المتنبي إلا أن تفعل ما نريك ما الرأي .

---

(١) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام (ص ٦) .

(٢) السابق (ص ٩) .

(٣) المتنبي (١/ ١٦٩) .

صناعتي هي حمل القلم بين أناملي في خلوة ، بعيدًا عن الناس ، في كنف السكينة والاطمئنان ؛ حيث لا يشغلني عما أريده خوف ولا تردد ، ولا عين تحملق في وجهي ، ولا أذن تصغي تنازعني لساني ، وحيث لا يبلبلني صوت نفسي وأنا أسمع كلامًا قد فصم عني ، ثم لا أملك رده أو تغييره إن أخطأت أو جرت أو تهاويت في زلل .

فإن هذه البلبلة بين البسط والقبض ؛ خليقة أن تتركني كالمخنوق لا يجد مساغًا للتنفس .

نعم ؛ فأنا لا أجد حريتي إلا مع القلم ؛ فهو وحده الذي يستطيع أن يتحدث عن نفسي مُبِينًا عنها ، غير متردد ولا خائف ولا متهيب ولا متلجلج .

أَلِفْتُ هذه الحرية وأحببتها ، حتى بطل عمل لساني وشفتيَّ أو كاد ، وصار القلم وحده هو لساني الذي أتحدث به[١] .

محمود شاكر ليس محاضرًا :

فأنا - بلا شك عندي - لست محاضرًا ، لأني لم أعالج المحاضرة قط في حياتي ، بل يحسن أن أقول لكم : إني لم أستمع إلى محاضرات إلا

---

(١) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام (ص ٥) .

منزلة المتنبي عنده :

إذا قرأت المتنبي على هذا الأصل ، لم تجد الشاعر الذي يذكره الناس ملء الأفواه ، بل تجد شاعرًا فذًّا ، لم يرزق الشعر ولا الحكمة مثله ذا لسان وبيان .

وسنفرد في كتابنا هذا بابًا كبيرًا لبيان هذا الأصل في شعر المتنبي ، وتفسير أكثر شعره على هذا المذهب[١] .

يفصح أحيانًا عن رأيه الخاص بقوله : « عندنا » :

عندنا أن المتنبي بقي في المكتب إلى سنة ٣١٧هـ تقريبًا[٢] .

إشراك القراء في إبداء الرأي من تواضعه العلمي :

ومسألة القبض على المتنبي وحبسه لها عندنا سياق تاريخي آخر استنبطناه ، ولكن يحسن بك أن تهيء في نفسك مرة أخرى ما قلنا به من نسبة المتنبي إلى العلويين ، وما أفضنا فيه من القول في عدة مواضع ؛ ليسهل عليك أن تعيننا على تحقيق ترجمة الرجل .

هذا ؛ ونحن والقارئ في هذا الموضوع سواء ، فمن تبين له وجه ، أو توجه له رأي ، فليكتب لنا به مشكورًا .

(١) السابق (١/ ١٣٢) .

(٢) السابق (١/ ٦٧) .

لقاء العقاد :

وقد حَدَثت بعد ذلك بقليل حادثة أخرى غريبة ، زادتني ثقة بنفسي وبمنهجي .

كنت أَلْقَى الأستاذ العقاد رحمه الله مرارًا في « المترو » ، عند نزولي إلى القاهرة ، أو عند عودتي ؛ فقد كنا جميعًا نسكن مصر الجديدة .

وكنت له محبًا ؛ لطول قراءتي ما يكتب ، فكنت أسلِّم عليه فيرد السلام على عادته من الأدب المحتشم ، ولكني كنت أرى ظلالاً من الجفوة في أسارير وجهه ، وينقبض عني حديثه إذا حدثته ، ولا ريب في أن ذلك كان لما لي من صلة بالرافعي[١] .

التقصي في البحث والاطلاع على كل مصادره :

ولكن قلقي القديم لم يفارقني وأنا أستجمع نفسي للكتابة ، لم أستطع أن أتخلص من الإحساس المُلِح بالنقص في عملي هذا ، فوجدته أمرًا لا مفر منه ؛ أن أفعل ما لم يكن في نيتي أن أفعله يومئذ .

جمعت ما أمكن أن يقع في يدي من تراجم أبي الطيب التي كتبها الأولون ، وما أتيح لي أن أعلمه مما كتبه المحدثون عن أبي الطيب ، ونحيت الديوان جانبًا ، وشرعت أقرأ تراجمه القصار والطوال ، وأرد

---

(١) المتنبي (١/ ١٠٣) .

الأخبار التي فيها إلى أصولها التي نقلت عنها ، فكان لزامًا عليَّ أن أرتب هذه التراجم ترتيبًا تاريخيًا ؛ حتى لا أضل عن مواضع التغيير والتبديل التي لحقت هذه الأخبار في نقل كل مؤلف عمن سبقه .

وكان عملاً شاقًّا طويلاً ، متعدد الجوانب ، متسع الرقعة ، لكنه كان عظيم الفائدة .

قيدت كل ما عنَّ لي وأنا أقرأ هذه التراجم والكتب .

كنت أصطدم دائمًا بما يهزني وما يحيرني ، من الاختلاف الواضح بين صورة أبي الطيب التي تُصوِّرها هذه التراجم والكتب ، وبين صورته التي يصورها لي تذوق شعره مجردًا من تأثير هذه الأخبار التي رويت عنه[١] .

الاعتراف بالحق ، والبعد عن الغرور :

وأنا أعوذ بالأخ أن يعود إلى مثل هذا القول ؛ فإني أكره أن أجزي أخًا لي بالذي أعلم أنه يؤذيه ويرمقه ، فيذهله عن منازل الصبر ، ويستفزه عن مواطن الحلم .

وليس أحب إلى نفسي من أن أهتدي إلى الحق على علم وبصيرة ، وأن أخضع له على الرضى والغضب ، وأن أعمل على إقراره

---

(١) المتنبي (١/ ٥٤) .

ما استطعت إلى ذلك سبيلاً[١] .

حرصه على فهم ما يقرأ :

وأنا لست عروضيًا ، وإنما أنا كمثلك ؛ أحب أن أفهم ما أقرأ ، وإلا لم يكن لقراءة ما نقرؤه معنى ، فأغلق أنا كتابي ، وتغلق أنت هذا الكتاب ، ثم نرمي بهما جميعًا في النار ، فلعلها أعقل منك ومني ، فتحرق هذا الكلام وتأكله ، ربما كان معنى ذلك عندها : أنها تقرؤه وتفهمه ، فتكون أحق مني ومنك بالحياة ، أي بالتوقد والتوهج ! فإذا كنت أنت ، وكنت أنا ممن يستنكف أن ينزل هذه المنزلة ، فدعنا نمضي في النظر في العروض ، حتى نفهم ما يقال لنا[٢] .

التخوف من الدخول في علم العروض ، والتواضع والاعتراف بالفضل لمن له الفضل :

كل هذا قد يجرني إلى الدخول في « علم العروض » ، وأنا إذا فعلت ذلك ؛ فقد ألقيت بنفسي في بحر لا يسلّم عليه سابح ، وما أنا بسابح ! وأَخْوَف من الغرق عندي ؛ أن أهيج على نفسي صاحبًا لي ، طويل

---

(١) المتنبي (٢/ ٢١١) .

(٢) نمط صعب ونمط مخيف (ص ٩٥) .

الأناة في ظاهره ، سريع التفلت في باطنه ، يُقبل عليك بأدبه مستمعًا مُصغيًا ، وهو مُدبر عنك باحتدام نفسه ، رافضًا متحديًا .

حول الجدال مع الحساني في علم العروض :

وهذا الصاحب العزيز ، يجد في مجادلتي لذة ضارية ، تفزعني أحيانًا ! وهو يقوم بعلم العروض ، فجدالي معه غير مثمر .

وهو مني بمنزلة الولد ، ولكنه صاحب فضل علي ؛ لأن جداله هو الذي أقبل بي - بعد هجر طويل جدًا - على علم العروض ، فحببه إلي بعد أن كنت أصدُّ عنه معرضًا ، والأمر بعدئذ لله ، ولا بد مما ليس منه بد .

محمود شاكر وكلمة الرافعي عن كتابه : « المتنبي » :

حين خرج عدد المقتطف [يناير سنة ١٩٣٦م] متضمنًا كتابي عن « المتنبي » ، كنت مطية لحمى عنيفة هوجاء ، فلما أقلعت عني ، وبدأت أفيق من برحائها ، كان أول ما قرأته عن كتابي هو كلمة الرافعي رحمة الله عليه ، منشورة في مجلة « الرسالة » ، [السفر الثاني : ٢٤٣-٢٤٦] هزتني هذه الكلمة هزًا شديدًا عند أول قراءة ، ففرغت منها وأنا لا أدري على الحقيقة ماذا قال الرافعي .

كنت في ميد الإفاقة من الحمى ، [الميد : دوار يميد بالرأس مصحوب بالحيرة ، كالذي يجده السكران أو راكب البحر من الاضطراب] ، فجاء معه فرح غامر ، فماد هو بي أيضًا حتى أعماني عن معانيها[1] .

كان كاتبًا مغمورًا في بداية حياته الأدبية :

كنت في السابعة والعشرين من عمري ، وكنت كاتبًا مغمورًا في الكتَّاب ، لا أتوهم أن أحدًا من القراء يعرفني أو يبالي بأن يعرفني ، ولم يكن مما يخطر ببالي يومئذ أن أكون معروفًا ، وإذا بي أفاجأ بغتة بثناء أستاذ بعيد الصيت في العرب والعربية ، وفي مجلة بعيدة الصيت في كل بقعة تعرف العربية ، فَعَلَت بي هذه المفاجأة فعل الخمر بشارب لم يذقها قط .

وبقيت أيامًا في نشوة مذهلة ، وكنت أعيش يومئذ وحدي ، فلم أجد من أحدثه عن نشوتي ! فلما تملصت من عقابيل الحمى ، بارئًا بحمد الله ، وذهب الميد ، وسكنت النشوة ، راجعت قراءة كلمة الرافعي مرات[2] .

---

(١) نمط صعب ونمط مخيف (ص ٨٦) .

(٢) المتنبي (١/ ١٠١) .

شهادة الرافعي لكتاب المتنبي :

فكنت أتوقف في كل مرة عند قول الرافعي في « المتنبي » :

« كان الرجل مطويًا على سر ألقى الغموض فيه من أول تاريخه - يعني علوية المتنبي - وهو سر نفسه ، وسر شعره ، وسر قوته ، وبهذا السر كان المتنبي كالملك المغصوب ، الذي يرى التاج والسيف ينتظران رأسه جميعًا ، فهو يتقي السيف بالحذر والتلفف والغموض ، ويطلب التاج بالكتمان والحيلة والأمل » .

« ومن هذا السر بدأ كاتب المقتطف ، فجاء بحثه يتحدث في نسق عجيب ، متسلسلاً بالتاريخ كأنه ولادة ونمو وشباب ، وعرض بين ذلك شعر المتنبي عرضًا خيل إلي أنه هذا الشعر قد قيل مرة أخرى من فم شاعره ، على حوادث نفسه وأحوالها » .

أول كتاب يؤلفه ، كتاب « المتنبي » :

وسبب توقفي هو أني يوم فرغت من الكتاب ومن تصحيحه عند الطبع ، وقضي الأمر ، تقاذفني طوال الليل رعب شديد من مخافة ما يقوله الناس فيه إذا هم قرأوه ، وأمسيت على غير بينة من أمري ؛ فهذا أول كتاب كتبته مجترئًا على التأليف ، وأقدمت إقدامًا على كتابته على غير مثال سابق مما عهده الناس في كتابة التراجم .

وقد اجترأت أيضًا على الإتيان فيه بما لم يسبقني إليه أحد ! وفار بي الرعب والشك فيما اجترحت فورانًا أذهب من قلبي كل يقين فيما كتبت ، وكل ثقة بما بذلت من جهد[1] .

باب المقارنة الذي أفنى فيه شبابه وكهولته والتذرع بالأناة والحذر فيما يبحث :

والآن صار لزامًا علي حتى أخرج من شناعة التقصير والتفريط ، وأبرأ من إثم احتجان الأمانة ؛ أن أزيد الأمر وضوحًا وبيانًا .

فإني علمت علمًا ليس بالظن أن « باب المقارنة » من المنهج الذي أفنيت فيه شبابي كله وكهولتي ، باب جليل الخطر مخوف ، وبحر لجي رجاف ، ومقتحمه نهب للغوائل ، إلا أن يدرع الأناة والحذر .

وأنا وإن كنت قد قَصَرْتُ أمره هنا على شعر الجاهلية والإسلام ، إلا أنه باب « جائع » ، يفضي أيضًا إلى « مقارنة » آداب بعض الأمم ببعض ، فهو باب شامل ، ولا ينبغي الاستخفاف بأمره .

بيد أني رأيت - فيما رأيت - أن كل من أطاق الاستخفاف به فعل ؛ لأنه لاتساعه اتساع اليم الذي لا ترى سواحله ، يحتمل هزل الهازلين ، كما يحتمل جد الجادين ، ولجحه المتلاطمة كفيلة بإغراق عيب من هزل ،

---

(١) المتنبي (١/ ١٠٢) .

وبإخفاء إحسان من جد ! وإن كان الاستخفاف به فيما لا حد له جائزًا ؛ فإن الاستخفاف به فيما له حد معروف غير جائز ولا مُرْضٍ[١] .

تسخير مواهبه المكتسبة والفطرية للوصول إلى أسرار البيان :

لا تقل لنفسك : « هذا مجاز لفظي » ! كلا ، بل هو أشبه بحقيقة أيقنت بها ؛ لأني سَخَّرت كل ما فطرني الله عليه .

وأيضًا ؛ كل معرفة تنال بالسمع أو البصر أو الإحساس أو القراءة ، وكل ما يدخل في طوقي من مراجعة واستقصاء بلا تهاون إو إغفال ، سخَّرت كل سليقة فُطِرت عليها ، وكل سجية لانت لي بالإدراك لكي أنفذ إلى حقيقة « البيان » الذي كرم الله به آدم عليه السلام وأبناءه من بعده .

وهذا أمر شاق جدًا ، كان ، ومثير جدًا ، كان ، ولكن المطلب البعيد هوَّن عندي كل مشقة وضنى[٢] .

التواضع :

اكتسبت يومئذ بعض الخبرة بلغة « الشعر » ، وبفن الشعراء ، وبراعاتهم ، ثم انفتح لي - في خلال ذلك - باب آخر من النظر .

---

(١) نمط صعب ونمط مخيف (ص ٣٤٥) .

(٢) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (ص ٧) .

قلت لنفسي : « الشعر » كلام صادر عن قلب إنسان مبين عن نفسه ، فكل « كلام » صادر عن إنسان يريد الإبانة عن نفسه ، خليق أن أُجري عليه ما أجريته على « الشعر » من هذا « التذوق » الشامل الذي وصفته آنفًا .

فأخذت أهبتي لتطبيق هذا « التذوق » على كل كلام ، ما كان هذا الكلام .

القراءة الشاملة ، التزود بالقراءة لكتب السلف ، والعناية بالتراث ، وتنوع ثقافته من خلال قراءاته :

فأقدمت إقدام الشباب الجريء على قراءة كل ما يقع تحت يدي من كتب أسلافنا : من تفسير لكتاب الله ، إلى علوم القرآن على اختلافها ، إلى دواوين حديث رسول الله ﷺ وشروحها ، إلى ما تفرع عليه من كتب مصطلح الحديث وكتب الرجال والجرح والتعديل ، إلى كتب الفقهاء في الفقه ، إلى كتب أصول الفقه وأصول الدين (أي : علم الكلام) ، وكتب الملل والنحل ، ثم كتب الأدب وكتب البلاغة ، وكتب النحو وكتب اللغة ، وكتب التاريخ ، وما شئت بعد ذلك من أبواب العلم[1] .

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (ص ٧) .

كراهية الحديث عن نفسه ...

وأمر كريه أيها القارئ ، وبغيض إلي كل البغض ؛ أن أحدثك عن أعمالي ، ولكن لا بد مما ليس منه بد ، لكي تكون على بينة[1] .

فترة استواء المنهج عنده عام ١٩٣٥م :

قد مضى الشباب وطوي بساطه ، ومضت تلك الأيام الغوابر المضيئة في حياتي ، حتى كانت سنة ١٩٣٥م ، وأنا في السادسة والعشرين من عمري ، حين استوى لي المنهج واستبان ، فكان أول عمل طبقت فيه منهجي في « تذوق الكلام » ، شعرًا ونثرًا ، وأخبارًا تروى ، وعلمًا يكتب أو يستخرج ، هو كتابي « المتنبي » .

مرحلة الشباب والانغماس في الحياة الأدبية ، والحيرة الزائغة ، ورفض سائر المناهج السائدة :

اعلم أني قضيت عشر سنوات من شبابي في حيرة زائغة ، وضلالة مضنية ، وشكوك ممزقة ، حتى خفت على نفسي الهلاك ، وأن أخسر دنياي وآخرتي ، محتقبًا إثمًا يقذف بي في عذاب الله بما جنيت .

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (ص ١٦) .

فكان كل همي يومئذ أن ألتمس بصيصًا أهتدي به إلى مخرج ينجيني من قبر هذه الظلمات المطبقة علي من كل جانب .

فمنذ كنت في السابعة عشرة من عمري سنة ١٩٢٦م ، إلى أن بلغت السابعة والعشرين سنة ١٩٣٦م ، كنت منغمسًا في غمار حياة أدبية ، بدأت أحس إحساسًا مبهمًا متصاعدًا أنها حياة فاسدة من كل وجه .

فلم أجد لنفسي خلاصًا إلا أن أرفض متخوفًا حذرًا ، شيئًا فشيئًا ، أكثر المناهج الأدبية والسياسية والاجتماعية والدينية ، التي كانت يومئذ تطغى كالسيل الجارف ، يهدم السدود ، ويقوض كل قائم في نفسي وفي فطرتي[١] .

العجب ممن يأخذ بقول الجاحظ في تقدير عمر الشعر :

فالعجب كل العجب بعد ذلك لمن يعتمد قول الجاحظ في أولية الشعر وعمره ، وحداثة ميلاده وصغر سنه !

ولم يبق في أيدينا مما يعتمد عليه إلا الذي لم يختلف عليه أحد ، وهو أن مِن أقدَم ما وصلنا من شعر الجاهلية ، شعر مهلهل وامرئ القيس وأقرانهما ؛ فإن شئت ألا تفجع أبا عثمان في قضيته وحسابه ، فزد على ذلك أن الذي بين الرجلين الشاعرين وأقرانهما ، وبين مجيء الله بالإسلام يتراوح ما بين مئة وخمسين سنة إلى مئتي سنة .

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (ص ٦) .

هذا غاية ما يمكن التسليم بصحته ، لا أكثر ولا أقل . ومع ذلك فالأمر على هذا الوجه ليس يقينًا جامعًا ، ولا حقًّا قاطعًا .

وإذن ؛ فقد صار قول الجاحظ الآن لا يعنينا في شيء ، والذي ينبغي أن يعنينا هو ما قاله ابن سلام في رسالة كتابه « طبقات فحول الشعراء » ، فالرجل أشد من أبي عثمان تحريًا وضبطًا ، وأبلغ منه تحققًا وتثبتًا في رواية الشعر ونقده ، وهو بلا ريب أعلم به منه وأخبر .

فمن الحسن إذن أن نُقبِل بوجوهنا عليه ، وأن نحاول أيضًا تحليل أقواله تحليلاً متأنيًا ، يقفنا على أول مدرجة الصواب ، ويجوز بنا طريق الشك إلى قرارة الحق واليقين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، المخرجنا من ظلمات الحيرة والضلال ، إلى نور الهداية والطمأنينة[1] .

منهجه في قراءة كتب القدماء :

وقبل كل شيء ، وقبل النظر في مقالة أبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي في كتابه « طبقات فحول الشعراء » ، أجده لزامًا لا مفر منه ، أن أكشف عن شيء من منهجي في قراءة كتب القدماء من علمائنا رحمهم الله .

---

(١) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام (ص ٢١) .

فقد غبر علي زمان طويل في مدارسة كتبهم على اختلاف موضوعاتها ، واختلاف أزمنة مؤلفيها ، ولقيت العنت وما فوق العنت في التردد ما بين الخطأ والصواب في فهم بعض ما يقولون ، فأسلمني ذلك إلى حالة من الشك تأخذ بأكظامي ، وأنا أقرأ بعض كلامهم ، حتى ما أطيق أن أتنفس ، وأظل حائرًا متهيبًا أو أقول برأي قاطع في فهم ما أقرأ ، وتغلبني غمرة طاغية من قلة الثقة بفهمي وبمعرفتي .

ورب حرف واحد في كلامهم ينقلني من موقف الواثق إلى موقف مناقض ينفي هذه الدقة ، ثم يأتي بعده حرف آخر يحملني من موقفي هذا ، فيطرحني مرة أخرى إلى الموقف الأول في الثقة والاطمئنان[1] .

لا يحب الإبهام في الكلام ، بل الوضوح :

بقي شيء آخر ، أجده لزامًا علي أن أوضحه ، لأني أحب أن أجعل كل شيء بيِّنًا غير مبهم ؛ لأن خطر الإبهام شديد ، مفسد للعقل والعلم جميعًا ، ولأنه آفة هذا الزمان الذي نحن فيه[2] .

---

(١) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام (ص ٢١ ، ٢٢) .

(٢) نمط صعب ونمط مخيف (ص ٧٩) .

محمود شاكر وإلقاء المحاضرات ومواجهة الجمهور :

فأنا بلا شك عندي لست محاضرًا ؛ لأني لم أعالج المحاضرة قط في حياتي ، بل يحسن أن أقول لكم : إني لم أستمع إلى محاضرات إلا في صدر حياتي ، حين كنت طالبًا في الجامعة ، وحين كنت شابًا صغيرًا أتابع بعض ما كان في المحاضرات في زماني الأول البعيد .

ثم بدا لي وأنا في شرخ الشباب أن أعتزل الحياة العامة بعض الاعتزال ، فلم أسمع في خلال هذه العزلة سوى محاضرات قليلة جدًا ، كنت أسمعها أحيانًا غارقًا في الدهشة من قدر المحاضر المرتجل على التدفق في حديثه كأنه يقرأ من كتاب . كيف يتم له هذا ؟ لا أدري .

وكنت أتمنى بيني وبين نفسي أن أكون كمثله ، ولكن العجز كان يقف دائمًا حائلاً بيني وبين ما أتمنى . كنت أقول لنفسي أحيانًا : هذا المحاضر بلا شك قد أوتي قدرًا كبيرًا جدًا من شيء حُرِمْتُه ، وهو شجاعة النظرة ، وإلا فكيف يلقى هذا الجمع الكبير من الناس وعيناه في عيونهم ؟ مئات العيون تنظر في عينيه ، كيف يتلقى هذه السهام النوافذ بلا رهبة ؟ مئات العيون تحيط به وتجسه وتقلبه وتروزه ، تأخذه وترفعه ، وتضعه وتنشره وتطويه[1] .

---

(١) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام (ص ٦) .

تقديره لأستاذه المرصفي :

كان ذلك منذ عشرين سنة ، وكنت فتى لا يمل الدُّؤوب والسعي ، وكانت أول مرة أدخل فيها بيت ذلك الشيخ الضئيل البدن المعروق اللحم ، الذي ينظر إليك أبدًا كالمتعجب .

وكان الذي سعى بي إليه حُبٌّ قد ملأ قلبي له ، وإجلال قد أخذ علي العهد أن أفي لهذا الشيخ ما حييت وفاء الذكرى ، ووفاء العلم ، ووفاء الاقتداء ، وكنت يومئذ قد حضرت بعض دروسه في مسجد البرقوقي ، وقرأت عليه شيئًا من كتاب أبي العباس المبرد ، وكان يعُدُّني كبعض ولده ؛ لسابق معرفته بأبي رحمهما الله[1] .

❊ ❊ ❊

(١) جمهرة المقالات (١/ ٣١٤) .

محمود شاكر في عبارات إهداء الكتب

حظي العلامة محمود محمد شاكر بمنزلة رفيعة، ومكانة سامقة بين الأدباء والعلماء والمثقفين من أبناء جيله ومن بعدهم، ويتجلى ذلك من خلال عبارات الإهداء التي دبجها المؤلفون فيما أهدوه له من مؤلفاتهم وأعمالهم العلمية والأدبية، يظهر فيها التقدير لمنزلته ومكانته العلمية، ويدرك ذلك من يتأمل ما أذكره منها على النحو التالي:

١- كتاب الرسالة، للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، «هدية لحضرة الأخ الأديب الكبير الأستاذ السيد محمود محمد شاكر» الثلاثاء، غرة ربيع الأول ١٣٠٩هـ، ٩ أبريل ١٩٤٠م.

٢- فقه اللغة، دراسة اجتماعية لغوية لفصيلة اللغات السامية وخاصة العربية، للدكتور علي عبد الواحد وافي، سنة ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م: «إلى الأديب الألمعي الأستاذ محمود محمد شاكر، مع خالص التحية».

٣- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية، سنة ١٣٧١هـ-١٩٥٢م: «إلى العلامة الكبير، والأخ الوفي الأستاذ محمود شاكر، اعتزازًا بصداقته، وإكبارًا لفضله. شكري فيصل.

٤- أدب الشافعي ومناقبه ، حديث فقه ، فراسة وطب وتاريخ وأدب ولغة ونسب ، للإمام أبي حاتم الرازي ، تحقيق الشيخ عبد الغني عبد الخالق : « هدية تقدير وإكبار للأستاذ الكبير محمود محمد شاكر » ٩/ ٥/ ١٣٧٢م .

٥- فهارس كتاب سيبويه ودراسة له : « إلى الأستاذ العالم الأديب محمود شاكر ، مع أطيب التمنيات . محمد عبد الخالق عضيمة » ٢٨/ ٨/ ١٣٩٩-٢٣/ ٧/ ١٩٧٩م .

٦- تحقيق ديوان البحتري ، للأستاذ حسن كامل الصيرفي : « مع صادق اعتزازي إلى أستاذي المحقق محمود محمد شاكر ، اعترافًا لفضله على التراث وتحقيقه » .

ويلاحظ أن الإهداءات مؤرخة ، وأقدمها إهداء أخيه أحمد شاكر على كتاب الرسالة للشافعي ، مؤرخ يوم الثلاثاء ، غرة ربيع الأول (١٣٠٩هـ- ٩أبريل ١٩٤٠م) .

ثم إهداء الدكتور علي عبد الواحد وافي سنة ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م .

ثم إهداء شكري فيصل سنة ١٣٧١هـ-١٩٥٢م .

ثم إهداء الشيخ عبد الغني عبد الخالق ، مؤرخ في ٩/ ٥/ ١٣٧٢هـ .

ثم إهداء الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، مؤرخ سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

وتحمل هذه الإهداءات عبارات لها دلالتها في الإفصاح عن مكانة المُهدَى إليه ، ومنزلته في نفوس المُهدِين ؛ فنجد أخاه أحمد شاكر يصفه بالأستاذ المحقق والأديب الكبير .

ويصفه شكري فيصل بالعلامة الكبير ، والأخ الوفي .

ويصفه علي عبد الواحد وافي بالأديب الألمعي .

ونجد حسن كامل الصيرفي يعتز بأستاذيته له ، ويشيد بفضله على التراث وتحقيقه .

ولا شك أن هذه العبارات الصادرة عن علماء وأدباء كبار لها دلالتها على ما يحظى به المُهدَى إليه من مكانة علمية وأدبية .

❊ ❊ ❊

رثاء محمود شاكر

شعر حيدر الغدير

من ديوانه : « من يطفئ الشمس ؟ »

الصقر

كان محمود محمد شاكر أمة وحده ؛ فهو شيخ العربية ، وعاشق العروبة ، وحارس التراث ، وفارس الأصالة .

جمع إلى غيرة المسلم عزة العربي ، وإلى عناد الواثق تواضع القادر ، وإلى عقل العالم البصير براءة الطفل الصغير .

غفر الله له ورحمه رحمة واسعة ، وأنزله منازل الأبرار والصالحين .

صقر على شم الرعان يحلق ... ومداه مغرب شمسها والمشرق

والنجم والأفلاك في تطوافها ... والروح في أسرارها والمطلق

نسجته من أرض الجزيرة ريحها ... وخيولها ونخيلها والأينق

وجبالها ورمالها وجلالها ... وبيانها العذب الشهي المونق

وحراء والآي الزواهر تزدهي ... فيه وتهدي العالمين وتعبق

فأتى أبر رجالها وأعزهم ... وأحب ما يرجو الفخار ويعشق

باق عطاؤك في الزمان مفاخرًا ... كالنيرات زواهرًا تتألق

ستظل للفصحى وإن كره العدا ... العلم يروى والصوارم تبرق

أمـــا عـــداك ففـــي غـــد رايـــاتهم تطوى كما يطوى الظلام وتمحق

فيقـــول راو عـــارهم وشـــنارهم أنظـــر إلـــيهم لا بقـــين ولا بقـــوا

وهبتـــك آيـــات الفصـــاحة ســـرها فـــإذا بـــك القلـــم البـــديع الشـــيق

والضـــاد أنـــت نجيهـــا ونجيبهـــا وعليمهـــا وكليمهـــا المتـــذوق

والحـــارس الشـــاكي يصـــون ذمارهـــا ويصـــول إن حمـــي الـــوطيس ويهـــرق

غضـــبًا لهـــا وحميـــة مـــبرورة وجـــذاه إعصـــار يطـــوف ويحـــرق

فـــإذا انتصـــفت لهـــا رجعـــت مكلـــلاً بالنصـــر وهـــو مزغـــرد ومصـــفق

ورجعـــت بالرضـــوان أنـــك صـــنتها أمـــا الجـــبين فبـــالجلال مطـــوق

وعلـــى محيـــاك الأبـــي وضـــاءة تســـري فيـــأتلق الحجـــا والمفـــرق

والضـــاد تهـــديك الثنـــاء متوجًـــا والمســـك أكـــرم طيبـــه والزنبـــق

وطويـــت عمـــرك عالمًـــا ومعلمًـــا والعلـــم أجـــدر بالـــذكي وأليـــق

وحزمـــت أمـــرك صـــابرًا ومرابطًـــا ونهـــدت للجلـــى وصـــبرك أينـــق

أبـــدًا رواقـــك للمعـــارف أفـــيح وعليـــه مـــن سمـــت الجلالـــة رونـــق

والطـــالبون الرفـــد فيـــه قوافـــل ترنـــو إليـــك محبـــة وتحـــدق

يـــأتون مـــن كـــل الـــبلاد دنـــانهم ظمـــآى ليســـتبقوا لـــديك ويســـتقوا

فعلـــى خوانـــك وهـــو دان لـــين حشـــد مـــن النجبـــاء فيـــه تـــألقوا

يأتيـــك من أقصـــى الـــبلاد مغـــرب فـــإذا مضـــى بالعلم جـــاء مشـــرق

وتقيل عثرة مخطئ في أمره … وسلاحك الحلم الجميل الأرفق
ولربما تقسو فأنت أبوة … ترضى على أبنائها أو تحنق
بك يدرك الشادون كل عويصة … فتبوح بالسر الخفي وتنطق

وجعلت دارك موئلاً يهب الندى … للواردين تجمعوا وتفرقوا
معن عليه مرحب متهلل … وفد يزايله وآخر يطرق
وذووك مثلك ليس يرخى عندهم … ستر ولا باب لديهم يغلق
وضيوفه هذا غني مكثر … وإزاءه عاف مقل مملق
وعميده إرث السماحة حاتم … بالمكرمات وقد زهون مخلق
ورث المروءة كابرًا عن كابر … وأخو المروءة والحياء مرهق
ومرزأ في ماله ومحسد … ومبرأ ومسدد وموفق
ويصون كل كريمة محمودة … ويخاف مما قد يشين ويفرق
ويقول لا كان التلاد وأهله … إن لم يسودوا بالتلاد ويرتقوا

ولقد عرفتك في فؤادك حرقة … نزت جراحات تفيض وتفهق
أدمنت حزنك إذ رثيت لأمة … هي منك قلبك في الجوانح يخفق
وجعلت همك أن تكون بشيرها … ونذيرها العريان وهو المشفق
والسيف سل فما يعود لغمده … والحادي الهادي يقول ويصدق

وجعلتها عِرضًا يصان ويفتدى ... بالغاليات الطيبات ويصدق

عاينتها فوجدتها مصروفة ... عن رشدها والجهل شر مطبق

فهتفت من قلب يكابد لوعة ... والحزن عاصفة ونار تحرق

أبناء إسماعيل أنتم أمة ... في التيه مرهقة الخطا تتمزق

أنتم أسارى الجهل يدعوكم له ... لسن يقول ومدع يتشدق

أو سامري في الجهالة خابط ... يسعى به حقد قديم أزرق

أو مستكين قاده مستغرب ... أو قاده لضلاله مستشرق

تتراكضون وراءه وشروره ... فيكم أشد من الزعاف وأرهق

لما جفوتم دينكم وتراثكم ... ساد الجهول بداركم والأخرق

وعدا عليها جاهل ومنافق ... ومبادئ كالموت أو هي أزهق

حتى أتى يوم مشى بجموعكم ... للردة النكراء شؤم ينعق

فيها مسيلمة الكذوب وكفره ... وسجاح وهي أضل منه وأفسق

فإذا بميراث الخلافة والهدى ... يسطو على الدارين منه عفلق

ويقام سوق للجهالة والهوى ... فتروج فيه الموبقات وتنفق

ولقد رحلت وفي فؤادك غصة ... والعين يغشاها الذهول المرهق

أبصرت أمتك الكريمة قصعة ... وحمى مباحًا في المذلة يغرق

عبثت بها أدواؤها وبلاؤها ... فيها ومنها غاشيات تطرق

والمسلمون من الهوان كأنهم   دمن صواد بالبلى تتمزق

نتن يعيث بهم ويعلم أنهم   لن يثأروا مهما رغوا وتشدقوا

يقضي عليهم غائبين فإن أتوا   لن يغضبوا أو يأنفوا أو ينطقوا

لا يا أبا فهر فأمة أحمد   ستظل كالشمس المنيرة تشرق

إن الذي حفظ الكتاب وصانه   نورًا يفيض وجدولاً يترقرق

سيظل يحفظها ويعلي شأنها   ويقيل عثرة أمرها ويوفق

منها اللياذ به ومنه حفظها   وهو القدير ومنه جل الموثق

ألا تموت وإن كبت في سيرها   بل تستجيش ومن جديد تخلق

فتعود بالبعث الجديد فتية   كالغاب من بعد اليبوسة تورق

والله واق من يؤوب لأمره   وهو الحفي بمن أتوه الأرفق

ولقد كتبت قصيدتي بلواعجي   والعهد داع والوداد الأسبق

والعهد أكرمه القديم زمانه   والود أكرمه الأصيل المعرق

فعساك تمنحها وشاحًا من رضا   وعساك تبصرها بمجدت تخلق

فتعود وهي قلادة وضاءة   تزهو بمانحها رضاه وتعبق

شـعري أبـا فهـر وحـبي دمعـة مهراقـة والصـدق مـني موثـق

وعليـك تبكـي أعـين وقصـائد وتطـول أحـزان وليـل يـأرق

نم حيـث أنـت فـدار مثلـك رحبـة فيحـاء والـدنيا فنـاء ضـيق

جدة - الجمعة ٩/٦/١٤١٨هـ - ١٠/١٠/١٩٩٧م

* * *

قصيدة للشاعر أحمد الشامي

زلفى إلى أبي فهر محمود محمد شاكر

من أحمد بن محمد الشامي

على ربع سلمى عج مع الركب زائرا ... وحي به من كان للعهد ذاكرا

وسل ظبيات البان ؛ هل « مفرج » الهوى ... على حاله ؟ أم قد تبدلن آخرا ؟

و « نبع الصفا » ؛ هل لا يزال كعهدنا ... به جاريًا ؟ أن أنه نش غائرا ؟

وأسماءنا في الحي ؛ هل يذكرونها ؟ ... وأشعارنا .. هل ما يزلن سوائرا ؟

و « تالوقة » الوادي ؛ أما زال ظلها ... ظليلاً ، وتؤوي السائحات الجآذرا ؟

فإن سألوا عنا ، فصف ما رأيته ... ولم تر إلا مستهامًا مصابرا

أعيش كأني لم أربح ديارهم ... « أزال » و « ووادي الظبيتين » و « حاجرا »

أنادي « حريثًا » أو أخاطب « عامرًا » ... وأهذي بسلمى أو أناجي تماضرا

شخوص شبابي في منامي ويقظتي ... تعيش معي مستفهمًا أو محاورا

تهاويل من صنع الخيال تروعني ... إذا بت وحدي ساهم الفكر ساهرا

كأنا جمدنا والزمان ولم يدر ... بنا فلك ما انفك بالناس دائرا

كأني لم أفقد رفاق شبيبتي ... كأني ما غادرت وكري مهاجرا

زمان الصبا لو في العيون بقية ... من الدمع هلت كاللئالي هوامرا

لقد عشت أيامي أودع راحلاً ... وأرثي شهيدًا أو أبكي المقابرا

إذا ما نبا بي موطن لم أقم به ... وإن رابني أمر نزحت مسافرا

وإن أنس لن أنس اقتناص سوانح ... من الأنس كانت كالظباء نوافرا

بأكناف واد ما جرى مثل نهره ... على الأرض نهر ساحر الموج زاخرا

هو النيل - صنو الدهر - بورك منبعًا ... وبورك ما يسقي قرى وحواضرا

وبورك قوم للعلى شيدوا الصوى ... بها ، وأشادوا للعلوم منابرا

فما إن فقدناهم ؛ إمامًا وقائدًا ... همامًا ، وفنانًا عظيمًا وشاعرا

لأزهرهم في قلب كل موحد ... مكانة إجلال تهز المشاعرا

وشاعرهم قد كان أكبر شاعر ... وزاهدهم أسما الأنام سرائرا

ومن مثل من جئنا اعترافًا بفضله ... نصوغ المعاني لؤلؤًا وجواهرا

فتى شب في حضن الهدى واغتذى به ... وشاب نقي القلب ما تعرض طاهرا

عليم بأسرار البيان كأنما ... توارثها عمن وعوها بصائرا

فحينًا أبو عثمان إن صال ناقدًا ... وحينًا أبو حيان إن قال ساخرا

وكابن دريد حين ينشد شاعرًا ... وليس يبارى إن ترسل ناثرا

أبا فهر ركن الدين هد وصرحه ... تهدم والآساس أضحت دواثرا

أرى الشرق مثل الغرب ظلمًا تآمرا ... علينا وباحا بالعداء وجاهرا

وحاخام تلمود الضلال وصنوه ... لويس على الإسلام بغيًا تآزرا

ونحن بوادي التيه نبني من المنى ... قصورًا ونستجدي الحظوظ العواثرا

بلا رائد ؛ ما بين حيران ضائع ... يفتش عن درب ويسأل حائرا

وبـين غـبي يـدعي الفهـم ضـلة وصـاحب جهـل يـزعم العلـم كـافرا

ويـا طالمـا حـذرت مـن كـان غـافلاً ويـا طالمـا أنـذرت مـن ظـل سـادرا

وهـاهم علـى إسـلامنا قـد تكـالبوا ويوشـك أن يضـحي غريبًـا محاصـرا

فهـل يـا تـرى ممـا قضـى الله مهـرب ؟ وهـل غـيره نلقـى مغيثًـا وناصـرا ؟

أبـا فهـر قـد كنـا أشـداء عنـدما غزانـا الأعـادي يحشـدون العسـاكرا

وكنـا هـم في أرضـنا يظلموننـا نثـور ، ولا نخشـى الـردى والمجـازرا

فمـا بالنـا لمـا جلـوا وتقوضـت خيـامهم ... صـرنا نطيـع الأوامـرا

تـرى هـل كفـاهم أنهـم قـد تمكنـوا بتغـييرهم أفكارنـا والـدفاترا

أبـا فهـر لـولا الـود مـا قمـت منشـدًا ولا جئـت مـن أعلـى الجزائـر طـائرا

عرفتـك محمـود الخصـال محمـدًا وللحـق قـوالاً ولله شـاكرا

أبـا فهـر فاعـذرني فمـا جئـت مادحًـا ولكنهـا زلفـى تناشـد غـافرا

وأنـت الـذي قـد كنـت للشـر منكـرا وبـالخير والمعـروف مـا زلـت آمـرا

أخوك : أحمد محمد الشامي الرياض ٢١/ ٥/ ١٤٠٤هـ - ٢٣/ ٢/ ١٩٨٤م

❋ ❋ ❋

صوري مع شخصيات علمية وأدبية

حضرت مناقشة رسالتي للدكتوراه في جامعة الأزهر

عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م



مع العلامة محمود محمد شاكر والدكتور محمود الطناحي
والدكتور عبد العزيز الربيعة عام ١٣٩٧هـ



من اليمين إلى اليسار الأستاذ حسن كامل الصيرفي، والدكتور حسن جاد
عضو مناقشتي للدكتواره وكذلك الأستاذ المحقق عبد السلام محمد هارون
والعلامة محمود محمد شاكر، والأستاذ حمزة عابد
والدكتور محمد السعدي فرهود المشرف على رسالة الدكتوراه
عام ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م



مع العلامة محمود محمد شاكر عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م



مع العلامة محمود محمد شاكر والملحق الثقافي الأستاذ حمزة عابد

عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م



من اليسار إلى اليمين: العلامة محمود محمد شاكر، والأستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات وجهة اليمين الأستاذ حسن كامل الصيرفي عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م



من اليمين والدي وابني هيثم، والعلامة محمود محمد شاكر، والأستاذ حسن كامل الصيرفي، والأستاذ قاسم الخطاط، والأستاذ أحمد المانع عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م في مناقشة رسالة الدكتوراه

صور من رسائله إليّ

الأحد ١٥ من رجب ١٤٠٢
٩ من مايو ١٩٨٢

مصر الجديدة
٦ ش الشيخ حسين المرصفي
ت ٨٦١٦٧٠

أخي الدكتور عبد الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وسلامي إلى السيدة الفاضلة، وإلى النشء الصغار، وقد اشتقت إلى معابثتهم، ولكن تطغى العمل في هذه السنة، منعني من الخروج من مصر، إلى الكويت أولاً (!!) ثم إليكم، وأسأل الله أن يعينك (أنت) على زيارتنا هذه السنة - في رمضان كما وعدت.

ويحمل إليك ولدنا محمود نسخة من تهذيب الآثار، مسند علي، فأرجو أن تقرأه بعناية، وأن تنظر في تعليقاته، وأن تنتبه كل الانتباه إلى هذا الفهرس الذي وضعته لأسانيد الكتاب، فهو أول فهرس من نوعه، وفوائده لا تعد، وإن كنت أخشى أن لا ينتبه له أصحابنا انتباهًا كافيًا، ودع ذلك، فرب عمل يخفى سنوات عدة، ثم يظهر بعد ذلك، وأرجو أن يكون هذا نصيب عملي إن شاء الله.

وأما الجزء الذي يليه، فهو مسند ابن عباس، وهو جزءان، والجزء الأول من مسند ابن عباس في طريقه إلى المطبعة في خلال أيام قلائل، وسيتم إن شاء الله طبعه في أواخر شعبان، والعمل فيه خير من العمل في مسند علي، كما سترى، وسيكون أفخم طبعًا وأتقن وأجمل، ويبقى مسند عمر بعد ذلك، فالله المستعان عليه، لأن مصورته مشوهة صعبة القراءة، فادع الله أن ييسر لي قراءته ونسخه.

هذه رسالة موجزة، لأني أكتبها ومحمود في طريقه إلى المطار، ومعه مطالب للأستاذ أحمد المانع، فأرجو أن لا تقصر في إجابتها بكل حذافيرها، ولا تنس أن تتم لي «سير أعلام النبلاء»، فيما بعد الجزء الثامن. ولا أدري ماذا فعلت فيما كنت سألتك أن تبحث عنه من كتاب الفتوح (المطبوع في الهند، في ثمان مجلدات فيما أظن)؟

أنا في شوق إليك، وفي انتظار زيارتك، وقد ساءني ما قرأته في إحدى المجلات وأحزنني بوفاة الصديق الكريم الجليل عبد العزيز الربيع، رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جنانه.

سلامي إلى السيد الوالد، وإلى الأهل، وسائر أحبابنا عندك، وسلام خاص لأخي سعد خضر، وأرجو أن تكون وجدته كما وصفت لك، فإنه حبيب قديم، والسلام

محمود محمد شاكر

الأحد ١٧ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ
٢٨ مارس ١٩٨٦م

مصر الجديدة
٢ شارع الشيخ حسين المرصفي

أخي وولدي الدكتور عبد الله عسيلان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وسلامي إلى السيدة الفاضلة والأولاد جميعًا، وشوقي إليك وإليهم، ولولا ما في يدي من العمل، لفكرت في زيارتكم في هذا الفصل من السنة (ولا تغضب إذا قلت إني كنت ولا أزال نافرًا من زيارة الكويت!! كالعادة). وقد شغلني «مسند علي»، ثم جاء بعده «مسند ابن عباس»، وأرجو أن أفرغ منه قريبًا جدًّا إن شاء الله، فالعمل ماضٍ فيه على أحسن وجه بعون الله.

لم أسمع منك جوابًا عن شيء مما حدثتك عنه في رسالتي السالفة، وأظنك غارق في أعمالك حتى يشق عليك كتابة أسطر قلائل. طلبت منك فيما أظن تتمة «سير أعلام النبلاء» بعد الجزء الثامن، وما عسى أن يكون قد وقع في حيازتكم من الكتب التي يعسر علينا اقتناؤها هنا. فافعل إن استطعت كل ما تستطيع!

لا أدري ما قصة «التويجري» الذي يريد أن يعاملنا معاملة غريبة! ومع ذلك، فبلغه تحيتي، وإن شاء أن يطلب شيئًا فليطلبه من «محمود المدني»، على الأساس الحق والمعروف الذي أخبركم به محمود. غرائب وعجائب يا سيدي عبد الله، يا شيخنا.

سلامي إلى سعد [illegible] أولاً، وإن كنت عاتبًا عليه لأنه سافر دون أن يمر بي، مع أنه وعدني بالمرور عليّ، وسلامي إلى شيخنا عبد الفتاح، وكان في يدي منذ أيام كتابه الذي نشره للتنوخي، في صفحة ٥ منه تعليق: ١، ٢ اعتمد كل الاعتماد على إنباه الرواة، وقراءة أبي الفضل له، وتقسيمه إلى فقرات في حال المعنى حيث قال: «قال الزبيدي، وهذا التاريخ لا شك غلط»، وصواب العبارة «وقال الزبيدي = وهذا التاريخ لا شك غلط»، والتعليق؟ هذا الأخير من كلام القفطي، ولكنه لم يقل لماذا هو غلط (!!) وهذا من مكره وعداوته لياقوت (كما قلت في كتاب أباطيل وأسمار) فإنه لم يعرف الغلط إلا من ياقوت، فأغفل ذكره، وأغفل أيضًا وجه الغلط الذي دله عليه ياقوت. وكل [illegible] قدر [illegible] طبعة إنباه الرواة ما استطعت.

أطلت، ومحمد الخانجي ينتظر فراغي من الرسالة، فسلامي مرة أخرى وشوقي وانتظاري لمجيئك في رمضان، كما حمل إليّ ذلك محمود بشارة، وسلامي إلى السيدة والأولاد والأهل جميعًا، والسلام.

مصر الجديدة
٨ شارع الشيخ حسين المرصفي

السبت ٣ من المحرم ١٤٠٢هـ
٣١ من أكتوبر ١٩٨١م

أخي الدكتور عبد الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وسلامي إلى السيدة الفاضلة والأولاد جميعًا، وسلام أم فهر والأولاد، والشوق إليكم متجدد، تجدد الأخوة التي لا تنقطع ما دمنا.

يا سيدي الكريم، قبل كل شيء، أريد منك معونة صادقة في أمر أكلفك به. تعلم، أو لا تعلم، لا أدري، أني أطبع باسم الجامعة كتاب «تهذيب الآثار» لأبي جعفر الطبري، وقد أعددت «مسند علي رضي الله عنه» للطبع بعد قليل، وفرغت من جزء مهم من «مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما»، وسيحدثك محمود الدني عن العمل، ولكن بقي من الكتاب «مسند عمر»، وقد كنت طلبت من مكتبة قطر العامة، قبل أن أسافر بيوم، أن يصوروه لي، فصوروه وأرسلوه بريدًا، فأرسلت الطائرة، وجئت به ولم أفتحه حتى مضيت شوطًا في «مسند علي»، فاتضح أن الصورة لا تقرأ ولا تنسخ، فهي مهزوزة فاسدة جدًا. وهي مصورة من مكتبة كوبرلي رقم ٤١٢، فالآن أحب أن تبحث في مصوراتكم ومخطوطاتكم هل عندكم (ميكروفلم) لهذا الجزء من «تهذيب الآثار» لأبي جعفر، فإن كان عندكم، فهل تسمح بالبدء فورًا في تصويره صورة نظيفة مقروءة (لأن المصورة التي عندي فاسدة من التصوير، لا من الأصل)، وإلا، فهل يمكنك أن تتصل بقطر، ليستخرجوا منه نسخة نظيفة مقروءة صالحة؟ أرجو أن تتولى هذا الأمر أشد اهتمامك، وعلى كل حال هو جزء من عملك، لأن الكتاب سيطبع باسم جامعتك، فلا أقل من أن تؤدي الواجب عليك في تيسير الأمر لي، حتى أظفر منه بما أطلب. أليس كذلك؟

ولكن لا تكن مواعيدك كمواعيدك في الكتب التي وعدت بإرسالها إليّ، ككتاب سير أعلام النبلاء وغيره مما وعدت بإرساله، ولم تفعل حتى الساعة! أم تراني لا بد أن أحضر بنفسي إلى الرياض حتى أظفر بالكتب التي أحتاج إليها، والتي لا [illegible] يلحقني علم بأنها طبعت أو نشرت، ثم لا أجد من أحد منكم معونة على الظفر بها.

وعلى كل حال، فأنا في شوق إليكم جميعًا، ولكن كتاب «تهذيب الآثار» قد أخذ أوقاتي واغتال ساعات اليوم كله، فأنا أقضي اليوم كله في العمل، بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي، وسأفرغ منه بأسرع ما يمكن، فأعني على ذلك، تكن متفضلًا أعظم الفضل.

وهذه رسالة مختصرة، مع ولدك محمود الدني، فاسأله يحدثك عن كل ما تريد أن تسأل عنه من أموري، وأنا في انتظار رسالتك، وانتظار الوفاء منك بمواعيدك.

سلامي إلى الأهل والأولاد، وقبل كل شيء إلى الوالد الكريم حفظه الله. وتبلغ سلامي إلى سعد خضر، وإن كان قد بلغني أنه جاء إلى مصر، ثم لم يتصل بي، ولا عرفت ذلك إلا بعد سفره، فيا له من عاق، ولكن شيمة زماننا العقوق، والسلام

محمود محمد شاكر

الثلاثاء ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٤٠٠هـ
٧ من أكتوبر سنة ١٩٨٠م

مصر الجديدة
٧ شارع الشيخ حسين المرصفي

أخي الدكتور عبد الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فأسأل الله لك تمام العافية، وقد كنت منذ أيام في الطائف ثم عدت إلى الكويت وقضيت بها يومين، وحاولت أنا ويعقوب أن نتصل بك أو بأحد في الرياض أو الطائف أو جدة، فلم نستطع البتة، ولا أدري لماذا؟ فكنت أحب أن أسأل عن صحتك، ولكني سمعت أنك بحمد الله قد برئت واسترجعت صحتك الحمد لله، فسلامي إليك وإلى الأهل والأولاد وسائر الأحباب.

يحمل إليك هذه الرسالة ولدنا الأستاذ محمد أحمد عيسوي وقد تعاقد مع الكلية المتوسطة بالرياض، وهو أصلاً محرر أول في مجمع اللغة العربية، وقد نال الماجستير في هذه السنة في موضوع «تفسير ابن مسعود، جمعه وتحقيقه»، وهو من أفاضل المشتغلين، فآثرت أن أعرّفه بك، لفضله أولاً، ثم ليستفيد منك ومن المكاتب في الرياض التي لا يعرف عنها شيئاً، وذلك لإعداد الدكتوراه، ولا أشك في أنك معينه حيث توجهه وتيسّر له سبيل الاستفادة. وهذا قدر كافٍ من التعريف، لأني أعلم أنك لا تقصّر في بذل الخير والمعونة لطلبة العلم.

وأخيراً، كنت أتمنى أن أوفق للمرور بالرياض، في عودتي من الطائف التي لم أقم بها سوى يوم واحد، ولكني على كل حال توقفت في مطار الرياض بضع ساعات في داخل الطائرة، وأنا في طريقي إلى الكويت. وأسأل الله أن ييسر لي زيارتكم في قريب دان. وأرجو أيضاً أن تبلغ تحيتي وشكري للأخ الفاضل الذي استضافني على غير معرفة سابقة، وهو الأخ الأستاذ عبد العزيز التنيان، وهذه أمانة فبلغها إياه مع شكري، والسلام عليك وعلى الأهل جميعاً والإخوان، وخصّ السيد الوالد بالتحية ونحن ندعو له بالصحة والعافية، والسلام.

أخوك

الأربعاء ٢٠ من ربيع الآخر ١٤٠١هـ
٢٥ من فبراير ١٩٨١م

مصر الجديدة
٤ شارع الشيخ حسين المرصفي

أخي الدكتور عبد الله

السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته، وسلامي إلى السيدة الفاضلة والصغار الأحباء، وأخصّ سلامي إلى السيد الوالد حفظه الله ورعاه. وبعد، فقد مرّت بي أيام عصيبة، طويتُها في نفسي حتى أذن الله بانجلائها عني بعض الشيء. وقد تردّدتُ طويلاً في الرحلة هذه السنة، مع أن الواجب كان يقتضيني أن أسافر إلى الكويت، أولاً، لأن ولدي عبد الله الغنيم قد رُزق ولدًا سمّاه يوسف، باسم أبيه، وثانيًا لأن ولدي جمعة ياسين كان قد رشّح نفسه للمجلس، فكنتُ أحبّ أن أشهد معركته مع المرشحين، وقد قرأت اليوم في الصحف أخبار نتائج الانتخابات، ولا أدري ماذا كان من أمره، وثالثًا، كان من المتوقع في تأليف الحكومة الجديدة، أن يكون يعقوب الغنيم وزيرًا للتربية، وقد عُرض عليه المنصب قبل ذلك فاعتذر، وأنا أحبّ له أن يعتذر هذه المرة أيضًا، لأنه إذا فعل، فلن يجد وكيلاً يحلّ محلّه، وسيبقى هو حاملاً للعبئين، عبء الوزارة وعبء الوكالة، وهذا أمر لا يصلح ولا يجدي، وهو لعبءٌ ثقيل ينبغي أن يتنصّل من حمله. ولعل عندك الآن من أخبار الكويت ما لا أعلم. وأظنك تعلم أيضًا أن عبد الله الغنيم، قد حُمّل عبئًا شديدًا بتوليه عمادة كلية الآداب. فهل اتصلت به؟

كيف حالك أنت؟ وما حال أخيك عبد الفتاح؟ وهل تيسّرت الأمور على وجهٍ مرضيّ؟ لا أدري، كنت أحبّ أن أحضر إليكم في هذه الأيام لأقضي حقّ الأخوة عندكم وفي الكويت، ولكن حال دون ذلك ما حدّثتك من تردّدي وفتور همّتي، أسأل الله أن يعينني ويعينكم، ويفتح لنا ولكم أبواب رحمته وحياطته.

وهذا الرسول الذي يحملها إليك محمود المدني، وهو قادم إليكم ليحضر معرض الكتاب، فعسى أن تكون على ذُكرٍ دائمًا من أني أحتاج إلى الكتب الجديدة، فحاول أن تجد لي شيئًا مفيدًا جديدًا، ومع محمود قائمة بأسماء كتب، أكثرها مما طُبع في العراق من دواوين الشعر، التي ليست عندي، وبعضها قديم الطبع، ولكن ربما وجد عندكم، وربما كان قد طُبع بعضها طبعة جديدة، فخذ صورة مع محمود، وحاول أن تدبّر لي هذه الدواوين، وقد ذكرتُ الآن ما لم أكتبه في القائمة: أن ديوان ابن المعتز قد طُبع في العراق، فهل لك أن تواتيني بنسخة منه، ومن الدواوين التي طُبعت ولم أسمع بها (كان معرض الكتاب عندنا هذه السنة هزيلاً جدًا، مع الأسف). وإذا كان في نيتك أن ترسل لي شيئًا من الكتب التي تحوزها العادة عندك، فأرجو أن تجنبني الكتب (أو المطبوعات على الأصح) التي لا خير فيها، كما حدث في المرة السابقة. أريد منك أن تبحث لي عما تجده العادة من الكتب التي تشتريها، وكذلك لما تتابع الأمر على الوجه الصحيح، إنما كنت نبيًّا أظنّ.

أما مرقّمة الطبعة الخامسة، فلعلك قد كدت تفرغ منها، وأرجو أن تخرج على وجه لائق، فقد اطلعت في شيءٍ على بعض ما طُبع عندكم، فرأيته جيّد الحروف، ولكن عيبه التصحيح وقلة الذوق، ولما قرأت هذه اطمأنت نفسي أن تكون أنت أشد العناية بإخراج الخامسة إخراجًا جيدًا، وليتني كنت عندكم في الأيام الماضية لأطلع على التجارب، كيلا يقع فيها ما وقع في هذه الكتب، والله المستعان على كل حال.

سأكتب رسالة أخرى هذه إلى الأخ العزيز الدكتور عبد الله، في شأن كتاب المطرق، وكنت قد وعدته بطبعه باسم ابني محمد، وقد أرسل إليّ رسالة رقيقة في شأن هذا الكتاب، ولكنني خرجت من كتابه أنه يرغب أن أرسل إليه الكتاب ليطبع عندكم، وهذا بالطبع غير ممكن، لأنني لا أستطيع أن آمن أحدًا على عملي، فإني أتولى على كل صغيرة من أوله إلى آخره، أي من أول كتابته، إلى آخر ملزمة تطبع منه. وكنت أتمنى أن أحادثه في ذلك مشافهة، ولكن العائق الذي حبسني هذه السنة، كان ثقيلًا، وأسأل الله أن يوفقني ويوفقكم إلى ما يحبه لنا ويرضاه.

شوقي إليك عظيم، وأم فهر وفهر وزلفى يهدونكم تحياتهم وأشواقهم، وأرجو أن أراك في أتم صحة وعافية في القريب، وسلامي إلى جميع أحبابنا وأصحابنا، وأنا في انتظار رسالة منك، حفظك الله وغفر لنا ولك، والحمد لله رب العالمين، والسلام.

مع أخيك

محمود شاكر

بلغني أن كتاب «معاني القرآن» لأبي الحسن الأخفش قد طبع، إما في الكويت وإما في لبنان، فلا بد من البحث عن نسخة أو نسختين، واتصل بعبد الله الحبشي، فاسأله، وبالسيد عبد الحميد البسيوني، صديقنا، تذكره فيما أظن. لا تهمل هذا أيها الخل العظيم، والسلام

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات



المؤلف في سطور

• ولد في المدينة المنورة ، ودرس فيها المراحل الأولى من التعليم ، كما دَرَس في المسجد النبوي .

• حصل على شهادة الدكتوراه من كلية اللغة بجامعة الأزهر عام 1397هـ في الأدب والنقد ، ثم عمل أستاذًا في كلية اللغة العربية ، وحصل على درجة أستاذ عام 1407هـ ، وأشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في عدد من جامعات المملكة .

• عمل عميدًا للمكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وشارك في عضوية عدد من الجهات العلمية والثقافية ، كما عين عضوًا في مجلس الشورى ، الدورة الثالثة ، وعضوًا مراسلاً بمجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضوًا عاملاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ورئيسًا للنادي الأدبي بالمدينة المنورة ، ورئيسًا لمجلس أمناء مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية بالرياض .

• له مؤلفات عديدة ، بلغت عشرين كتابًا في الأدب والنقد وتحقيق التراث وتاريخ المدينة المنورة ، منها : تحقيق كتاب حماسة أبي تمام ، وكتاب الوحشيات أو الحماسة الصغرى ، وله كتاب معاني أبيات الحماسة للنمري ، وكتاب البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الإشبيلي ، وكتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي ، وكتاب سهيل في ذكر الخيل لعثمان بن بشر ، وتحقيق مخطوطة عباس باشا في أصول الخيل العربية ، وله كتاب تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل ، وكتاب البديع لابن المعتز دراسة وتحليل ، وكتاب حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل ، وكتاب المدينة المنورة في آثار الباحثين والمؤلفين قديمًا وحديثًا ، وكتاب قصة مكتبة ، وغيرها .





